

آباءُ الصَّحابة

حياتهم * آثارهم



رقم الإيداع

١٧٤٢١/٢٠١٧م



توزيـــع

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية - أبو سليمان ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



الإسكندرية - مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧



حياتُهم * آثارُهم

تأليف

د/ أحمد خليل جُمعة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمةُ وعرضُ الكتاب

* الحمدُ لله الذي بعثَ النَّبيينَ مُبَّشرين ومنذرين لئلا يكونَ للنَّاسِ على الله حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُل، وختمَهم بخيرتهِ مِنْ خلقِهِ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تركَ النَّاسَ على طريقٍ مستقيمٍ هو المحجَّةُ وأفضلُ السُّبُل.

* وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً تنجينا يومَ العرضِ عليه، وأنَّ سيّدنا محمدًا الرسولُ المنتقى، والحبيبُ المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحبٍ وآل، مطالع العزِّ ومشارق المجد والجلال والكمال، وسلَّم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

* اللهم إنا نعوذُ بكَ من نزغات الشَّيطان ومكائدِه، وغرورِه ومصائدِه، اللهمَّ اعصمْنَا منه بحسنِ رعايتك، وجميلِ هدايتك، وحوِّلْ سُلطانه عنَّا، واقطعْ رجاءَه منَّا، واهزمْ جُندَهُ، وأبطلْ كيدَهُ، واهدمْ كهفَه، وأرغم أنفه، وزوِّدْنا من التَّقوى، ومتِّعنا منَ الهدى.

* أمَّا بعدُ: فإنَّ العلماءَ وأهلَ التَّواريخ قلَّ أنْ تركُوا منهجًا ما سَلكُوه، أو بابًا ما دخلُوهُ، أو فنًّا لطيفًا ما ابتكرُوهُ، وأبرزُوهُ بالتَّأليف ودوَّنوهُ، فَلَهُمُ الفضلُ والسَّبْقُ في هذه المقاماتِ المفيدة، والإرشاداتِ السَّديدة، لكنَّه جَالَ في خاطري أنْ أبتكرَ كتابًا في معرفةِ آباءِ الصَّحابة، ممَّنْ تشرَّفُوا بالصُّحبة والقرابة، إذْ إنَّني لمْ أَجِدْ أحدًا سَبَقني إلى ذلك، ولا سَلَكَ هذه المسالك، وهذا من فضل ربي، فَلَهُ الحمدُ والشّكرُ وهو حسبي.

أهميَّةُ الموضوع:

* الصَّحابة كنزُ الإيمان، وجُنْدُ الرحمن، وهم الذين اختارهم المنَّان، لصحبةِ النَّبيِّ العدنان، المبعوثِ بجوامع الكَلم الشَّاملة لأنواعِ البيان، فاستنُّوا بِسُنَّته، واهتدوا بهديه، ومنهم: سادُاتنا آباءُ الصَّحابة:

ومَــا أرانِــي بِمـسْـتَـوفٍ مناقبهم ولـو نظمتُ لهم زُهْـرَ الـنُّـجوم حَلا

* وهؤلاءُ الآباء الأصحابُ هم معدنُ العلْم، فلم يطمع الشيطانُ أنْ يضلَّهم كما أضلَّ غيرهم من أهلِ الأهواءِ والبدعِ والضَّلال، لذلك ينبغي أن نعرفَ حقَّهم، ونتمسَّكَ بهديهم، فقد كانوا على الهدى المستقيم:

انـظُـرْ إلى هَـدي الـصَّحابةِ والذي كـانـوا عـلـيـه في الـزَّمـان الخالي

تـاللّهِ مـا اخـتـاروا لأنـفسِـهم سوى سُـبُـلِ الهـدى في الـقـولِ والأفـعـال

دَرَجُـوا عـلـى نـهـج الـرسـولِ وهديهِ وبـهِ اقـتـدوا في سـائـر الأحـوال

ولـقـد أبـانَ لـكَ الـكـتـابُ صفاتهم في ســورة الـفـتـحِ المُـبـين العالي

دواعي الكتابة في هذا المضمار:

* هذا البحثُ ذو أهميةٍ واضحةِ المَعالم، ولكتابتِهِ دواعٍ عديدةٌ، ومنها:

١- محبَّةُ اللهِ ورسولهِ والصَّحابة؛ فهمُ الذين بلَّغُوا الدِّين؛ وتربُّوا في مدرسة النُّبوة، ارتضاهم اللهُ لصحبةِ نبيِّه فكانوا أئمةً سادةً قادةً عُدولًا، أثروا الدنيا بالعطاء.

٢- بيانُ فضْلِهم، وتبيينُ آثارهم، فهم خيرُ أمةٍ، وقرنُهم خيرُ القرون، وكلُّهم ثقاتٌ عدولٌ مأمونون بِنَصِّ القرآن الكريمِ، والسُّنَّة الغرَّاء.

٣- الرَّدُّ على الذين استطالُوا عليهم، واخلولقُوا ينتقصونَهم، وركبوا مَراكبَ الغواية، وتركوا شواطئَ الهداية، ومَنْ قَرأَ فكْرهم، وعلمَ مكْرهم، يراهُ مُتخمًا بالثَّرثرة والغثاثةِ والتَّدليسِ والغِشِّ والفجورِ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف:٨]، وقد ثبتَ أنَّ جميعَ الصَّحابة من أهل الجنَّة مشهودٌ لهم بها، فقد بشَّرهمُ اللهُ برحمةٍ منه، ورضوان وجنَّات لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ خالدين فيها أبدًا.

٤- قصصُ هؤلاء الآباء زادٌ مفيدٌ لتربيةِ أخلاقِ الأبناءِ والأحفادِ، فينبغي علينا إظهار مناقبِهم وعِلْمهم وعمَلهم، فقد غدونا في زمنٍ عجيب؛ ظهرت فيه ألسنةٌ مُرَّةٌ تنبعثُ من أفواهٍ مريضةٍ؛ تبغي الفسادَ في الأرضِ، وتعكِّرُ الأجواءَ، وتذكُرُ كبارَ الصَّحابة بسوء مع عِلْمهم بقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبُّوا أصحابي**»، فلابدَّ من دحضِ شُبَهِ المُغرضين، وتفنيد آراء المفترين وبيان الحقيقة بلسان مبين، وإذاعة خصائص هؤلاء الصحابة الأعيان الميامين.

٥- من دواعي كتابةِ هذا البحث: إعراضُ كثيرٍ من النَّاس، عن قراءة سير الصَّحابة والتَّابعين مع العلم أنَّ هذا البحثَ إذا حُوضِرَ به في المحافل فهو بَهاء، وللأفاضل شفَاء، لأنَّ بين دفتَيْه سيرةَ أهل الصَّفاء.

٦- ظهورُ فئةٍ من المُتعالمين جعلوا العِلْم عضين، وعبثوا بسيرِ الماضين؛ وصارت بمتناول الفارغين، يرسلون عجزها وبجرها إلى فلانٍ وعلان، بهذه الوسائلِ الحديثةِ، التي تحملُ كثيرًا من البلاوي الخبيثة.

خُطَّةُ البحث:

* اقتضتْ طبيعةُ البحث إلى مقدمة، وخمسةِ أبواب، وخاتمةٍ، وفهارس، وسأجملُها على النحو التالي:

- **المقدمةُ**: تتضمَّنُ سبَب اختيارِ البحث، وخطَّته، ومنهجَه، وأهميتَه.
- **وأمَّا الأبواب**: فكانت مقسَّمة إلى خمسة؛ مدروسة دراسة دقيقة جدًا، وهي:
- **الباب الأول**: آباء مشهورون بكُناهم، وفيه ترجمتان.
- **الباب الثاني**: آباء من آلِ البيت، وفيه ثلاثُ تراجم.
- **الباب الثالث**: آباء من قريش، وفيه خمسُ تراجم.

- **الباب الرابع**: آباء من الأنصار، وفيه ستٌّ تراجم.

- **الباب الخامس**: آباء من قبائل مختلفة، وفيه ستٌّ تراجم.

- **الخاتمة**: ذكرتُ خلالها أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها في البحث.

منهجُ البحث:

* كان المنهجُ واضحًا، والأسلوبُ حيويًا متجدِّدًا متألقًا، والمعلوماتُ موثَّقة، والأخبارُ والتَّراجم شطرها جديدة وجَلَية، ويمكنُ إجمال ذلك كلَّه بما يأتي:

(أ) بيانُ مواضع الآياتِ في المصحف، وعزوها إلى السُّورة ورقم الآية.

(ب) تخريجُ الأحاديثِ النَّبوية تخريجًا علميًّا، والإشارةُ إلى أرقامها، وأبوابها، وصحائفها.

(جـ) الاهتداءُ بالوحيَيْن: القرآن والسُّنة، ثم بأقوال الصَّحابة، فالتَّابعين، فأهلِ العِلْمِ الثّقات.

(د) إثراءُ الهوامش بترجمة بعض الصَّحابة، وبعض المواضع التَّاريخية؛ والأماكن الأثرية، من أجلِ زيادة الفائدة.

(هـ) إبرازُ الفوائد النَّادرة في المتن، وفي الهامش كيما يُؤتي البحثُ أُكُله، ويساعدُ القارئ على الفهم والاستيعاب.

(و) استقراءُ المعلومات وتحليلها وتوضيحها، ثم تفسيرها على منهجِ الأدلَّة المرجحة المقنعة، وخاصة ما جاء في الباب الثاني عن آل البيت، مع الحرص على التزام الأمانة العِلميَّة في العزوِ إلى المصادر والمراجع.

(ز) الاختصارُ المفيدُ، وعدمُ الإسهاب في التَّراجم، والإشارة إلى الجوانب التَّربوية والتَّعليمية التي سلكَها هؤلاء الآباء، وسرّ نجاحهم وخلودهم.

(ح) بيانُ معاني بعض الكلمات، وشرحُ معاني بعض أسماء الآباء بغية إثراء البحث بالمفيد والجديد، وضبط سائر البحث بالشَّكل، والعناية بعلامات التَّرقيم، وكلّ ما يتعلَّق بموضوع التَّصنيف، ليخرجَ الكتابُ بصورة لائقةٍ نافعةٍ مفيدة للخاص والعام.

مصادُر البحث وينابيعُه:

* لم تخضعْ مصادرُ البحثِ للمزاجية أو الانتقائية، وإنَّما خَضَعَت للمنهج العلميِّ النَّقديّ، فالهدفُ المنشودُ هو إظهارُ الحقّ في إطار الصِّدق، فالمكتبةُ الإسلاميةُ والعربيةُ تحتوي كثيرًا من المصنَّفات التي تتباين في مساربِها ومشاربِها.

* لهذا جميعِهِ استقيتُ المعلوماتِ من مصدرَين صحيحين هما: القرآنُ الكريمُ، والسُّنةُ المُطهَّرةُ، مع شروحهما وعلومهما.

* أمَّا سائرُ المصادر -وهي كثيرةٌ- فإنَّها تسهمُ في بناءِ صرحِ البحث، وتقدِّمُ بعضَ الأمور المهمة والمفيدة، ومن المصادر الأساسية:

١- السِّيرةُ النبويةُ، وشروحُها ودروسُها.

٢- التَّراجمُ والطبقاتُ وعلمُ الرِّجال والأنساب والمعاجم.

٣- التَّاريخُ الإسلاميُّ والعَربيُّ مع تواريخ البلدان.

٤- الفقْهُ الإسلاميُّ والأحكامُ والرّقائق.

٥- الأدبُ واللغةُ والمحاضراتُ ودواوينُ الشِّعر.

٦- البلدانُ والجغرافيا والرحلاتُ.

٧- مصادرُ متنوعةٌ.

* وختامًا؛ فيا أيها القارئُ لهذه السُّطور، الناظرُ فيما قدمته لكَ في هذا البحث عن آباء الصَّحابة وذريّاتهم، إذا وجدْتَ تقصيرًا منّي، فإنَّ أخا البصيرة يعذرُ، وإنْ ظفرتَ بزلَّةٍ فافتحْ لها باب التَّجاوز، وانصحْ لي، فما حوى أحدٌ الكمال:

غير الحبيبِ المصطفى الهادي الذي يفنى الزَّمانُ وفضلُه لا يحصر

* اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد معلِّم النَّاس الخير...

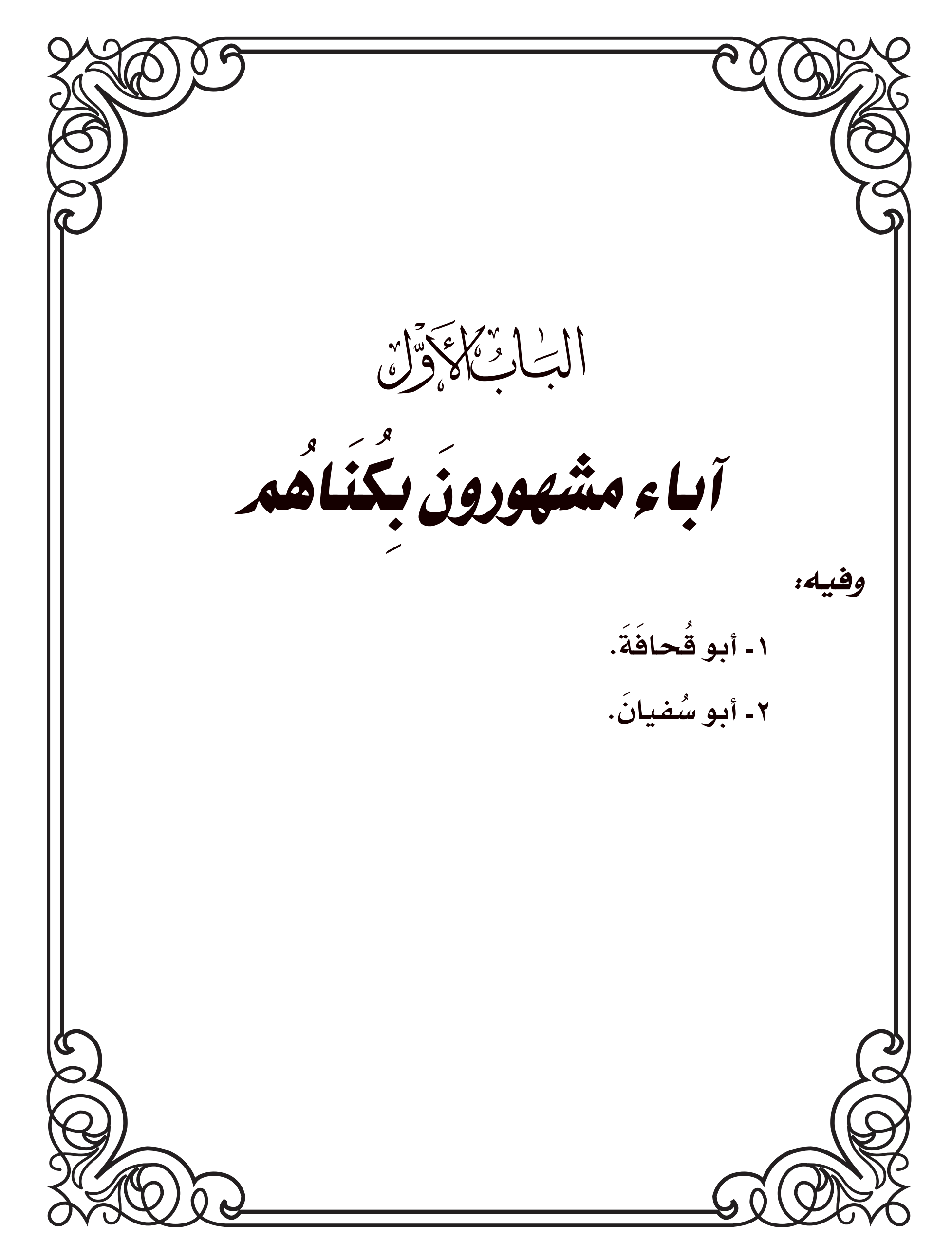
* اللهمَّ ثبِّتْنا بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وكتب

مُحبُّ الصحابة وخادمُهم

أحمد خليل جمعة الحرستانيُّ الدمشقيُّ

غرة ربيع الأول ١٤٣٧هـ



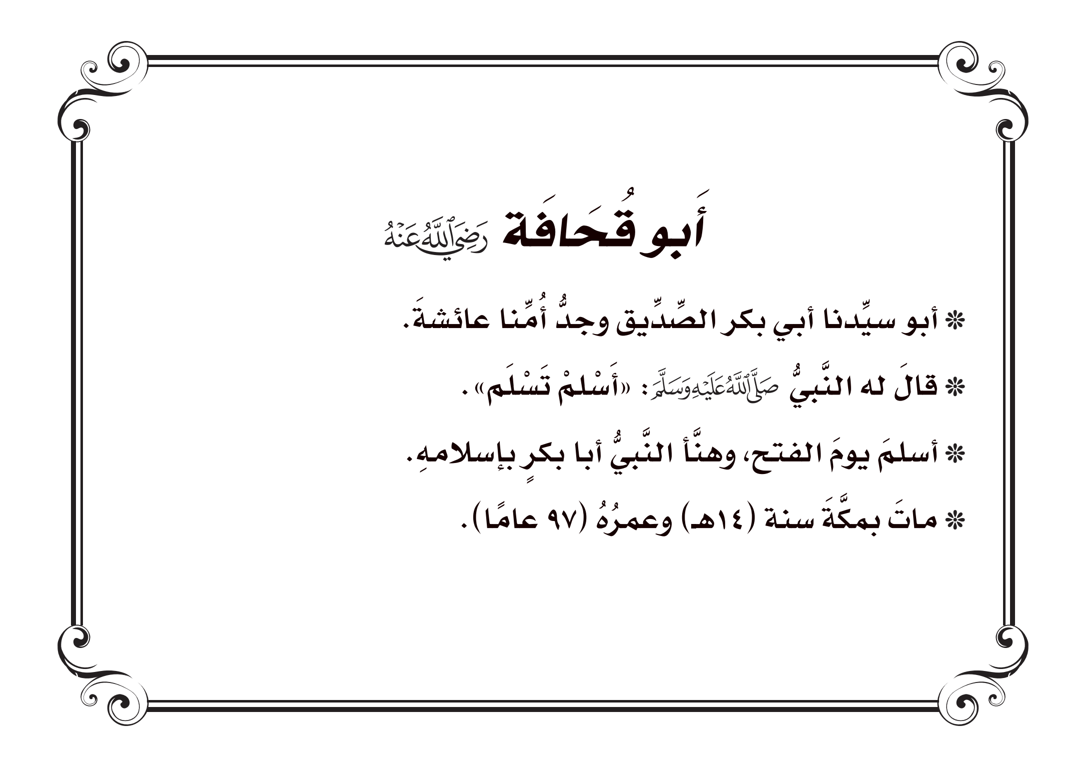
البَابُ الأَوَّلُ

آباء مشهورون بِكُنَاهُم

وفيه:

١- أبو قُحافَةَ.

٢- أبو سُفيانَ.



أَبو قُحَافَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ أبو سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق وجدُّ أُمِّنا عائشةَ.

❋ قالَ له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلِمْ تَسْلَم».

❋ أسلمَ يومَ الفتح، وهنَّأ النَّبيُّ أبا بكرٍ بإسلامهِ.

❋ ماتَ بمكَّةَ سنة (١٤هـ) وعمرُهُ (٩٧ عامًا).

أَبو قُحَافــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

منقَبةٌ فريدةٌ:

* تنعشُ سيرةَ هذا الرَّجُلِ القلوبَ بريَّاها، فهي بركةٌ في بركةٍ في بركات، وهو أَبٌ لأكْرمِ رجلٍ وأحبِّهِ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* دَلفَ الإسلامُ إلى قلبهِ يومَ الفتح ببركةِ دعاءِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وصرنا نقرأُ اسمَه بفخرٍ واعتزازٍ، ذلكم هو: عُثمانُ بنُ عامر بنِ عمرو القُرشيُّ التَّيميُّ المكِّيُّ، أبو قُحافَة، أبو سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق، وجدُّ أمِّنا عائشةَ أُمِّ المؤمنين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[1].

* يُعَدُّ أبو قُحافة من ساداتِ قريشٍ وأشرافِها في الجاهلية، ومولدُهُ في مكَّةَ قبلَ البعثةِ بحوالي سبعين عامًا، وأُمُّهُ قرشيَّةٌ، اسمُها: قيلةُ، أو: أمينةُ[2].

* تزوَّجَ أبو قحافة ابنةَ عمِّهِ سلمى بنتَ صخر بنِ عامر، فولَدَتْ له أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وكان لأبي قحافة أبناءُ غير أبي بكر، ومنهم: أُمُّ فروة، وأُمُّ عامر، وقريبةُ، وآخرون[3]، بَيْدَ أنَّ ابنَه أبا بكر طالتْ شهرتُه الجوزاء، وبلغتِ الثُّريا ونجومَ السَّماء، فهو خليفةُ خاتم الأنبياء، وصاحبُهُ في الغار بشهادة ربِّ الأرض والسَّماء، ثمَّ ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما؟!

* طوَّقَتْ أبا قحافة منقبةٌ نادرةٌ، وفريدةٌ باهرةٌ، إذا إنَّه وابنُهُ وحفيدُهُ عبدُ الرَّحمن، وابنُ حفيدِهِ محمدُ بنُ عبد الرحمن أربعتُهم صحابيّون، وليستْ هذه المنقبةُ لأحدٍ من الصَّحابةِ القُرشيين غيره[4].

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ٢٨)، والعقدُ الثمين (٦/ ٢٤)، وأسدُ الغابة (٣/ ٥٧٥، ٥٧٦)، ونكتُ الهميان (ص١٩٩)، وطبقاتُ ابن سعد (٦/ ٧٨) و(٨/ ١٢)، ومصادرُ كثيرة جدًّا.

(٢) تاريخ خليفة (ص١٢٢)، والأعلامُ (٤/ ٢٠٧)، مع الجمع والتَّصرُّف.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٧٨)، ومختصر تاريخ دمشق (١٣/ ٣٥)، مع الجمع والتصرف.

(٤) ذكرَ السُّيوطيُّ وغيرُهُ: أنَّه لا يُعرفُ أربعةٌ توالدوا صحابة سوى أبي قحافة، وزيدِ بنِ حارثة، وأشارَ له =

* قلتُ: «لأبي قُحافة مناقبُ أخرى تفرَّدَ بها، ومنها: أنَّه والدُ خليفةِ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأوَّلِ العشرةِ المبشَّرين بالجنَّةِ، وأنَّه الصَّحابيُّ الوحيدُ في آباءِ الخلفاءِ الراشدين، إذ أنَّه ما أسلمَ غيرُهُ منهم، واللهُ تعالى أجلُّ وأعلم».

أَتعجبينَ مِنْ هذا؟!

* تركنُ بعضُ كتبِ الأخبارِ والأسمارِ إلى أنَّ أبا قحافة كان مُغرمًا بالأصنامِ، ويرغبُ في غرسِ محبَّتِها بنفوسِ أبنائِهِ، لكنَّه لم يُوفَّقْ لهذا الأمر.

* زعمَ الصِّقِلِّيُّ أنَّ المهاجرين والأنصار اجتمعوا عند النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنَّ أبا بكر روى أقصوصةً عن الأصنامِ مع أبيه، ومبتدؤُها وخبرُها قولُه: «يا رسولَ الله، ما سجدتُ لِصَنمٍ قطُّ؛ لأنّي حينما ناهزْتُ، أخذَني أبو قحافة إلى مَخْدعٍ فيه الأصنامُ؛ فقال لي: هذه آلهتُك الشُّم العَوالي، فاسجدْ لها، ثمَّ خلَّاني وذَهَبَ، فدنوتُ من الصَّنم، وقلتُ له: إنِّي جائعٌ فأَطعِمْني، فلم يجبْني، فقلتُ: إنِّي عطشانُ فاسقني، فلم يجبْني، فقلتُ: إنِّي عارٍ فاكْسني، فلم يجبْني، فأخذتُ صخرةً وقلتُ: إنِّي مُلْقٍ عليكَ هذه الصَّخرة؛ فإنْ كُنْت إلهًا فامنعْ نفسَكَ؛ فلم يجبْني، فألقيتُ عليه الصَّخرة، فخرَّ لوجهِهِ، فأقبلَ أبي وقال: ما هذا يا بُنيَّ؟! فقلتُ: هو الذي ترى، فانطلقَ بي إلى أُمِّي فأخبرَها، فقالت: دَعْهُ، فهذا الذي نَاجَاني به اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ!!؟!! فقلتُ: يا أُمَّاه، ما الذي ناجاكِ به اللهُ تعالى؟! فقالت: ليلةَ أصابني المخاضُ؛ لم يكنْ عندي أحدٌ، فسمعتُ هاتفًا يهتفُ، فأسمعُ الصَّوتَ؛ ولا أرى الشَّخص، وهو يقولُ:

=في «نظم الدرر» بقوله:

وأربعٌ تَوالَدوا صَحَابة ... حَارثةُ المولى أبو قحافة

فإنَّه وُلِدَ لأسامةَ بنِ زيد وَلَدٌ اسمُهُ محمدٌ على عهد رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وحارثةُ شاهَدَ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.
إنارة الدجى (ص٥٧٥) بتصرف يسير.

يــا أَمَــةَ اللهِ عــلــى التَّحقيق ... أَبْــشـــري بــالــولــدِ الـعَـتــيــق

اسمُـــه في الــسَّــمــاء الـصِّـدِّيــق ... لمحـمـدٍ صـاحـب ورفـيــق»[١]!!

* وزعمتْ أقصوصةٌ نشوى أنَّ أبا قحافة دخلَ مرَّةً على زوجتِهِ، وهي تهتفُ مسرورةً بابنها أبي بكر -وكان صغيرًا وتكلَّم بعباراتٍ أعجبَتْها- فقال لها: «أتعجبينَ منْ هذا؟! فوالذي يحلفُ به أبو قحافة؛ ما نَظَرتُ لابنكِ قطُّ، إلا وتبيَّنْتُ السُّؤددَ في حماليق عينيه» [٢]!!!

أخبارٌ وأحداثٌ:

* كان أبو قحافة يرتادُ مجلسَ عبدِ الله بنِ جُدْعَانَ -أحد أجواد قريش- وكان لابن جدعانَ مُناديان يُناديان لِطَعامِهِ بأسفلِ مكَّة وأعلاها، وكان المناديان أبا سفيان بن عبد الأسد، وأبا قحافة[٣]، وكان أحدُهما ينادي: ألا مَنْ أرادَ الشَّحمَ واللحمَ فليأْتِ دارَ عبدِ الله ابن جدعان، وهو أوَّل مَنْ أطعمَ الفالوذ -الحلواء- بمكَّةَ، وله يقولُ الشَّاعر:

لــه داعٍ بمـكَّــةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ ... وآخــرُ فــوقَ دارتــهِ يــنــادي[٤]

* وتوضحُ بعضُ الأخبارِ القُحافيةِ، أنَّه أسهمَ في إعلامِ أهلِ مكَّةَ بأصحاب الفيل، وذلك أنَّ أبرهةَ الحبشيَّ لما قدمَ مكَّةَ، ونزلَ المُغَمَّسَ[٥]، كان أبو قحافة، ومعمرُ

(١) انظر: أنباء نجباء الأبناء (ص٤٢، ٤٣)، والمصباح المُضي (ص٣٨، ٣٩) مع الجمع والتَّصرف اليسير. وفي النَّفس أشياءُ من هذه الأقصوصة!!!

(٢) أنباء نجباء الأبناء (ص٤٤).

(٣) المُفصَّلُ في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٩٨).

(٤) المنمقُ (ص٣٧١، ٣٧٢)، بتصرف يسير. وقوله «مشمعلٌّ»: مشرفٌ. و«دارتهُ»: داره.

(٥) «المُغمَّس»: مكانٌ شرقُ مكة على مسافةِ عشرين كيلًا، وهو الموضعُ الذي ربضَ فيه الفيلُ حين جاءَ بهِ أبرهةُ، وقد مات أبو رغال في المغمَّس، وقبرُهُ يُرجَمُ، لأنَّه كان دليل صاحبِ الفيل، فمات هناك. معجم البلدان (٥/ ١٦١).

وقال أميةُ بنُ أبي الصَّلت وهو شاعرٌ جاهلي يذكرُ هذه الحادثة في شعره:

إنَّ آيـــاتِ ربّـنــا بـيِّـنــاتٌ ... مـا يُمــاري فـيـهـنَّ إلا الـكـفـورُ

حـبَسَ الـفـيـل بـالمغـمَّس حتَّى ... ظــلَّ يحـبـو كـأنَّــه مـعـقـورُ =

ابنُ عثمان، وعميرُ بنُ جدعان في إبلِ عبد الله بنِ جدعان هناك، فجاؤوا وأخبروا النَّاسَ بقدومِ أبرهةَ، فخفَّ الناسُ، ولحقوا برؤوسِ الجبالِ، وبالشِّعابِ، وبطونِ الأودية(١).

«أَوَفَعَلْتَه»؟!

* تأخَّرَ أبو قحافة عن الإسلامِ، وازورَّ عنه، بينما كان ابنُه أوَّلَ مَنْ صدَّقَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* وذات مرَّةٍ كان لأبي قحافة موقفٌ أعوجُ، فصحَّحَ أبو بكر مَسَارَهُ، وأصلحَ عوارَه.

* روى ابنُ جريج قال: «حُدِّثْتُ أنَّ أبا قحافة سَبَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَكَّهُ أبو بكر صكَّةً سقطَ منها على وجههِ ثمَّ أتى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكَرَ ذلك له، فقال: «أَوَفعلْتَه؟!» فقال: نعم، قال: «**فلا تَعُدْ إليه**» فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيًّا، لو كان السِّيفُ مني قريبًا لَقَتَلْتُه»(٢).

أراك تعتق رقابًا!

* يوم أنْ أسلمَ ابنُ أبي قحافة، كان في منزلِهِ أربعون ألف درهم، فأنفقَها في نُصرةِ الإسلام، وفي إعتاقِ الأرقَّاء والضُّعفاء، ممَّا جعل أبوهُ يقولُ له بلسان العتْبِ والإشفاق: «يا بنيَّ؛ إنِّي أراكَ تعتقُ رقابًا ضعافًا، فلو أنَّكَ إذ فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ أعتقتَ رجالًا جُلَداء يمنعونَكَ ويقومون دونَك»! فقالَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يا أبتِ أريدُ ما أريدُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فنزلَتْ هذه الآياتُ فيه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ إلى آخر السورة: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل:٥-٢١](٣).

= المجالسةُ وجواهر العلم (٤/ ٨٦)، والروضُ المعطار (ص٥٥٥، ٥٥٦)، وديوان أمية بن أبي الصَّلت (ص٣٩١، ٣٩٢)، وفيه: ثاقباتٌ بدل: بيّنات. والمغمَّس: اسم مفعول من غمستُ الشَّيء في الماء؛ إذا غيّبته فيه.

(١) انظر: إمتاع الأسماع (٤/ ٧٧) بتصرف.

(٢) أسبابُ النزول للواحديّ (ص٦٥٣)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٢٩)، والدُّرّ المنثور للسيوطي (١٤/ ٣٢٩).

(٣) الدرُّ المنثور (١٥/ ٤٧٧)، والدررُ (ص٤٦)، وإمتاعُ الأسماع (١/ ٣٦)، مع الجمع والتصرف.

* وقال سعيدُ بنُ المسيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلَتْ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ [الليل:١٩]. في أبي بكر، أعتقَ ناسًا لم يلتمسْ منهم جَزَاءً ولا شُكورًا، ستةً، أو سبعةً، منهم: بلالُ[١]، وعامرُ بن فُهيرة»[٢].

* حملَ أبو بكر لواءَ المكارمِ، فكان منْ أُولي الفَضْل والنُّبل، وجميعُ الصَّحابةِ اعترفوا بفضله وسَبْقه، وأنَّه بيتُ الصِّدق والتَّصديق ومعدنهِ. قال سيِّدُنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لولا أبو بكر لهلكتْ أُمَّةُ محمّد عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نبيِّها»[٣].

مِمَّ تَعجَّبَ أبو قُحافةَ؟

* تزخرُ سيرةُ أبي قحافة بمواقف إنسانيةٍ كريمةٍ، تشيرُ إلى الأُبوَّةِ الحانية مع ابنهِ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* روتْ أمُّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما بلغَ الصَّحابةُ ثمانيةً وثلاثين رجلًا، ألحَّ أبو بكر في الظُّهور، وقامَ خطيبًا في الناس، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ في المسجدِ الحرام، فثارَ المشركون على أبي بكر؛ وضربوهُ ضربًا شديدًا حتى كادت تتلفُ مهجتُهُ، فجاء قومُهُ وحملوهُ وقالوا: واللهِ لئنْ ماتَ أبو بكر لنقْتُلَنَّ مَنْ ضَرَبَهُ، وجعلَ أبو قحافةَ يكلِّمهُ حتَّى أجابَ آخر النَّهار؛ فقال: ما فعلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فعجبَ أبو قحافة

---

(١) قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جازَ أبو بكرٍ رضي الله تعالى عنه على بلالٍ وهو يُعَذَّبُ فجذبَ مغناطيسُ صَبْرِ بلال حديدَ صِدْقِ الصِّدِّيق، ولم يبرحْ حتى اشتراه وكسَرَ قَفَصَ حبسهِ... تعِبَ في المكاسب فَنَالها حلالًا، وقالَ له الرَّسولُ أسلمْ؛ فكان نَعَم بِلا، لا، ولو لمْ يفعلْ في الإسلام إلا أنَّه أعتق بلالًا:

أبـو بـكـر حَـبَـا في اللهِ مـالا ... وأعـتـقَ في محـبَّـتـه بـلالا
وقـد واسـى الـنـبيَّ بـكـلِّ فضْلٍ ... وأسـرعَ في إجـابـتـهِ بـلا: لا
لـو أنَّ الـبـحـرَ يـقـصـدُهُ ببُغْضٍ ... لَمـا تـرك الإلـهُ بـه بـلالا»

التبصرة (١/ ٤١٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٩، ٤٨٠).

(٣) إنارة الدُجى في مغازي خير الورى (ص٧٦٩). وصدق أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وقومُهُ؛ ودُهِشُوا منه، وقالوا لأُمِّه: أطعميه شيئًا، فلمْ يتناولْ شيئًا حتَّى علمَ أنَّ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سالمٌ صحيحٌ، فأتاهُ مع أُمِّه، وأسلمتْ أُمُّهُ يومئذ...»[١].

فقد أحسن:

* اشتُهِرُ موقفٌ طريفٌ لأبي قحافة يوم الهجرة مع حفيدته أسماء، وقد رسمتْ ذلك بالكلماتِ فقالت: «لمَّا صنعتُ لرسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبي سفرتَهما، وَجَدَ أبو قحافة ريحَ الخبز، فقلتُ له: هذا خبزٌ عملناه نأكلُه، فلمَّا خرجَ أبو بكر جعلَ أبو قحافة يلتمسهُ ويقولُ: أَقَدْ فَعَلَهَا؟! خرجَ وتركَ عيالَه عليَّ، ولعلَّه قد ذَهَبَ بماله -وكان أبو قحافة قد عَمِيَ- فقلتُ: لا، فأخذتُ بيده، فذهبتُ به إلى جلْدٍ فيه أَقِطٌ، فمسَستُه، فقلتُ: هذا مالُه»[٢].

* وأُثِرتْ روايةٌ أخرى عن أسماءَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «... فأخذتُ أحجارًا، فتركتُها فوضعتُها في كُوَّةِ البيت كان أبي يَضَعُ فيها مالَه، ثمَّ وضعتُ عليها ثوبًا، ثم أخذتُ بيده فقلتُ: يا أبتِ، ضَعْ يدكَ على هذا المال، فوضَعَ يَدهُ عليه، فقال: لا بأْسَ إنْ كان قد تركَ لكم هذا فقد أحسنَ، وفي هذا بلاغٌ منكم. لا واللهِ ما تركَ لنا شيئًا، ولكنّي أردتُ أنْ أسكِّنَ الشَّيخ بذلك»[٣].

«أسلمْ تَسْلَم»:

* آوى أبو قحافة يومَ فتحِ مكَّة إلى الجبلِ، فرماهُ بعضُ النَّاس فشجَّه، فأدركه ابنُهُ أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومسحَ الدَّمَ عن وجههِ، وقال: «رحمَ اللهُ مَنْ فَعَلَ بكَ هذا»[٤]، ثم أسلمَ أبو قحافة، وغدا من أشهرِ آباء الصَّحابة وأعيانِهم...

(١) البدايةُ والنهايةُ (٤/ ٧٥، ٧٦) باختصار وتصرف.
(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٣/ ٥٤).
(٣) المسندُ (١٨/ ٢٧٧)، ومعجمُ الطبراني الكبير (٢٤/ ٨٨)، والمستدركُ (٣/ ٥، ٦)، والمنتظمُ (٣/ ٥٢) وغيرها كثير.
(٤) الشَّيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما (ص٨٨) بتصرف يسير.

* ونسمعُ من أسماءَ بنتِ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كيفَ دخلَ أبو قحافة صَرْحَ الإسلام، قالت: «لما كان يومُ الفتحِ نزلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذا طُوى[1]، قال أبو قحافة لِبنتٍ له: أَيْ بُنيةُ، أَشْرِفي بي على جَبَلِ أبي قبيس -وقد كُفَّ بصرُهُ- فقال: ماذا تَرَيْن؟ قالت: أرى سَوادًا مُجتمعًا، فقال: تلك الخيلُ... ثم قال: ماذا ترين؟ قالت: أرى السَّوادَ قد انتشرَ، قال: دُفِعَتِ الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي؛ فأسرعَتْ به... فلما دخلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجدَ خرجَ أبو بكر حتى جاء بأبيه يقودُهُ لِكِبَره لأنه ضريرٌ، فلما رآهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هلّا تركتَ الشَّيخَ في بيتِه حتى أكونَ أنا آتيهِ فيه**» -وذلك تكرمةً لأبي بكر- قال: يا رسولَ الله، هو أحقُّ أنْ يمشيَ إليك من أنْ تمشيَ أنتَ إليه، قال: «**إنا لنحفظُهُ لأيادٍ لابنِهِ عندنا**»، ثم أجلسَهُ بين يديه، ثمَّ مسح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وقال: «**أسلمْ تَسْلَم**»، فأسلمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...»[2].

تَهنئةٌ نبويَّةٌ:

* احتفى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي قحافة، وأكرمَهُ، وكان الصِّدِّيقُ مسرورًا بإسلامِ أبيه، لكنَّه أحبَّ أنْ يُدخلَ السُّرورَ على الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمْرٍ لطيفٍ أخرجَهُ الطبرانيُّ بسندهِ عن ابنِ عمرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاءَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبيهِ أبي قحافةَ إلى الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقودُهُ شيخٌ أعمى يومَ فتحِ مكَّة، فقال له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تركتَ الشَّيخ حتى نأتيه؟**» قال: أردتُ أنْ يُؤْجَرَ، واللهِ لأنَّا كنتُ

---

(١) «**ذو طوى**»: ويُقال: طوى، ورَدَ في السِّيرة النَّبوية أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتَ يوم الفتح بذي طوى، وهو وادٍ من أوديةِ مكة، وهو اليومُ وسطَ عمرانها، ومن أحيائه: العتيبية، وجرول. و«بئر ذي طوى» لا تزال معروفة بجرول، وهي في المكان الذي باتَ فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ الفتح. المعالم الأثيرة في السُّنة والسِّيرة (ص١٧٦).

(٢) أسدُ الغابة (٣/ ٥٧٥، ٥٧٦)، باختصار وتصرف. وللحديث أصلٌ عند أحمد في المسند (١٨/ ٣٧٦، ٣٧٧) برقم (٢٦٨٣٥)، والطبراني (٢٤/ ٨٨، ٨٩). وانظر: إتحاف الورى (١/ ٥٠٧، ٥٠٨)، ودرر السحابة (ص٥٢٤)، وتخريج الدلالات السمعية (ص٣٨٢).

بإسلامِ أبي طالب أشدَّ فرحًا منِّي بإسلام أبي، ألتمسُ بذلك قرَّة عينَيك، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدقْتَ**»(١). وقد هنَّأ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر بإسلام أبيه»(٢).

* داعَبَتْ هذه الأقصوصةُ اللطيفةُ وجْدان «أحمد محرم» فأنشأ قصيدةً طويلةً منها:

شَيخٌ يُقَادُ إلى النَّبيِّ على يَدٍ ... هِيَ للنَّبيِّ إذا رمى أعلى يَدِ
هذا أبو بكر يُقدِّمُ شَيخَهُ ... يهديه إنَّ الألمعيَّ لَيَهتدي
قالَ النَّبيُّ ألَا رثيتَ لِضَعْفِهِ ... وتركتَه في دارِهِ لم يجْهَدِ
لو لمْ يجئْ لمشيتُ أشهدُ أمرَهُ ... وأجلُّه شيخًا كريمَ المشهدِ
يا والدَ الصِّدِّيقِ خُذْها نعمةً ... سِيقَتْ إليك من النَّبِّي محمّدِ

ومنها قولُه:

مَنْ كان يَسْعَدُ في الرجالِ بِوَالدٍ ... فَبِمَنْ ولدتَ أبا قحافة فاسْعَدِ
قالَ النَّبيُّ اهنأْ فقالَ وددتُها ... كانت لِعَمِّكَ ذي الفعَال الأمجدِ
هذا هو الإيثار فاعجبْ واعتبرْ ... وأعدْ على الدهرِ الحديثَ وَرَدِّدِ(٣)

«جَنِّبوهُ السَّوادَ»:

* أسلمَ أبو قحافة وهو شيخٌ كبيرٌ في أرذلِ العمر، قد وهَنَ عظمُه، ورقَّ جِلْدُه، وبايعَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رأسُهُ أبيض كلَّه ليس فيه شعرةٌ سوداءُ، فأمرَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَه أنْ يخضبوا شَعرَهُ، وعلَّمهم فقال: «**غيِّروا هذا الشَّيبَ بشيءٍ، وجنِّبُوهُ السَّواد**» فكان أبو قحافة أوَّلَ مخضوبٍ في الإسلام(٤).

---

(١) المعجمُ الكبير (٩/ ٢٨، ٢٩) برقم (٨٣٢٣)، وتاريخُ مدينة دمشق (٦٦/ ٣٢٦، ٣٢٧)، والإصابةُ (٧/ ١٢٤)، ودرُّ السَّحابة (ص٥٢٤) وغيرها كثير.

(٢) المستدركُ (٣/ ٢٢٤).

(٣) ديوان مجد الإسلام (ص٢٩١)، دار المعرفة، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

(٤) تهذيبُ الأسماء واللغات (١/ ٣٢١)، وأسدُ الغابة (٣/ ٥٧٥)، ونكتُ الهميان (ص١٩٩). =

يا عتيقُ هؤلاء الملأُ:

* لأبي قحافةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبساتٌ تربويةٌ، ولَفَتَاتٌ توجيهيَّةٌ؛ تحملُ بين طيَّاتها العبرةَ والفائدةَ؛ فقد كان هذا الأبُ من عُقلاء الرجالِ، خبيرٌ بأحوالهم ومكانتهم.

* نظمَ ابنُ الجوزي في «منتظمه» قصَّةً في حوادث سنةِ (١٢هـ) فقال: «اعتمرَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجب، فدخلَ مكَّة ضحوةً، فأتى منزلَه؛ وأبو قحافة جالسٌ على بابِ داره ومعه فتيان يحدِّثُهم، فقيل له: هذا ابنُك، فنهضَ قائمًا؛ فقال أبو بكر: يا أبَه لا تقمْ؛ فلاقاهُ فالتزمه، وقبَّلَ بين عينَيه، وهو يبكي فرحًا بقدومه، وجاءه والي مكَّة عتَّابُ ابنُ أَسِيْد، وسهيلُ بنُ عمرو، وعِكرمةُ بنُ أبي جهل، والحارثُ بنُ هشام، فسلمَّوا عليهِ بالخلافة: سلامٌ عليكَ يا خليفةَ رسولِ الله، وجعلَ أبو بكر يبكي حين يذكرونَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ سلَّموا على أبي قحافة، فقال لابنِهِ: يا عتيقُ؛ هؤلاءِ الملأُ فأَحْسِنْ صحبتَهم، فقال أبو بكر: يا أبه؛ لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، طُوِّقْتُ عظيمًا من الأمرِ لا قوّة لي بهِ، ولا يَدَان إلا بالله. ثم أدَّى العمرة، وجلسَ قريبًا من بابِ النَّدوة، وقال: هل أحدٌ يشتكي ظلامة؛ أو يطلبُ حقًّا؟ فما أتاه أحدٌ، وأثنى النَّاس على واليهم عتَّاب خيرًا، ثمَّ رجعَ أبو بكر إلى المدينة...»[(١)].

= ولله درّ صاحب التغريدة الذي عبّر عن قصة أبي قحافة يوم الفتح بهذه الهمسات:

المسلمون جمعُيهم دخلوا	لمكَّة فاتحين
والمصطفى مِنْ فوقِ ناقتِهِ	وراءَ الداخلين
متواضعًا للهِ شكرًا	إنَّه النَّصرُ المبين
وأبو قحافة كان أعمى	لم يكنْ في المبصرين
قد كان شَعْر الشَّيخ أبيض	ذاك من فعلِ السنين
قال الرسول فغيّروا	من لونّه للناظرين

(١) المنتظمُ (٤/ ١١١) بشيء من التصرف، وانظر: مختصر تاريخ دمشق (١٣/ ١٤).

* وتوضح قصةٌ أخرى أنَّ أبا قحافة ذو معرفة برجالات مكَّة؛ وكان يوجِّه ابنه إلى النَّظر إلى أقدارهم، تقول القصةُ: «حجَّ أبو بكر ومعه أبو سفيان بنُ حرب، فكلَّم أبو بكر أبا سفيان؛ فرفعَ صوتَه، فقال أبو قحافة: أَخْفِضْ صوتَك يا أبا بكر عن ابنِ حرب. فقال أبو بكر: إنَّ اللهَ بنى بالإسلامِ بيوتًا كانت غير مبنية، وهدمَ به بيوتًا كانت في الجاهليَّة مبنية، فكان بيتي فيما رُفعَ، وبيتُ أبي سفيان ممَّا هدم!!!»(١).

أبو الخَليفة:

* لعلَّ أبا قحافة من الآباء الذين سادوا بأبنائهم، وكان أبناؤهم خيرًا منهم، فسيِّدنا أبو بكر خيرٌ منْ أبيهِ ومن أبنائِهِ، وأهلِهِ، ومن الصَّحابة أجمعين، فهو خليفةُ الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصَدِيقُه، وصِدِّيقُه، وصاحبُه في الهجرة والغار:

وَصَديقُك الصِّدِّيقُ حَولَكَ حِرصُهُ ... أنْفَاسُهُ لَكأَنَّها الأَنْسَامُ
ويَودُّ لو تفْديكَ مهجتُه ولا ... يُؤْذي نِعالَك في المسيرِ قَتَامُ

* كما أنَّ الصِّدِّيق مكارمه لا تُحصى، وفضائله لا تستقصى:

ولقد أشاد بذكره ربُّ العلى ... فبناؤُهُ في المكرماتِ مُسدَّدُ
نطقَ الكتابُ بمجدِهِ الأعلى ففي ... آي الحديدِ مناقبٌ لا تنفدُ
لا يستوي منكم وفيها مقنعٌ ... «والليلُ» يَثْبُتُ فَضْلَه ويؤكِّدُ
هذا أبو بكر بصدقِ عزيمةٍ ... وثباتِ إيمانِ ورأي يُحْمَدُ

* أُثرتْ عن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آراءٌ سديدةٌ، ونظراتٌ رشيدةٌ، وكلماتٌ مفيدةٌ في موضوعِ الخلافة.

* قال سعيدُ بنُ المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما قُبِضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتجَّتْ مكَّةُ بصوتٍ عالٍ، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ فقالوا: قُبِضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال:

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦٨)، والوافي بالوفيات (١٦/ ١٦٥)،مع الجمع بينهما!!!

فَمَنْ استخْلَفَ النَّاسُ بعده؟ قالوا: ابنُكَ، قال: فهل رضيَتْ بذلك بنو هاشم، وبنو عبد شمس، وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: فإنَّه لا مانعَ لما أعطى اللهُ، ولا مُعطي لما منعَ اللهُ. ثم ارتجَّتْ مكَّةُ حين مات أبو بكر رجَّةً دون الأولى، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: ماتَ أبو بكر، قال: رَزْءٌ جليلٌ، مَنْ قامَ بالأمرِ بعده؟ قالوا: عمرُ، قال: هو صاحبُهُ، أَفَرضيتْ بنو عبد مناف بهذا؟ قالوا: نعم، قال: يفعلُ اللهُ ما يشاء»[1].

وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحق:

❋ لما مات أبو بكر ورِثَهُ أبو قحافة، ثمَّ ردَّ ميراثَه على وَلَدِ أبي بكر[2]، ثم لم يعشْ أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستَّةَ أشهر وأيامًا، وتوفيَ بمكَّةَ سنة (١٤هـ)، وعمره (٩٧ سنة)، ودُفِنَ بالمُعلا[3]...

❋ هذه قطراتٌ نديةٌ من سيرة أبي قحافة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

تتغذَّى بها المسَامعُ منَّا فهي نِعْمَ الغذاءُ للأبدانِ

❋ رضي الله عن أبي قحافة وابنِهِ وأولادِهِ وأحفاده، وجَمَعَنا معهم في الجنَّة دار المقامة والسَّعادة.



(١) المستدركُ (٣/ ٢٤٥)، والتبيينُ (ص٢٨٢)، ومختصر تاريخ دمشق (١٣/ ١٢٩، ١٣٠)، مع الجمع بينهما.
(٢) قال النووي: «وهو أوَّلُ مَنْ ورثَ خليفةً في الإسلام، إلا أنَّه ردَّ نصيبه من الميراث، وهو السُّدس على أولاد أبي بكر». تهذيب الأسماءواللغات (١/ ٣٢١).
(٣) المستدركُ (٣/ ٢٤٤)، وتحصيلُ المرام (ص٥٦٣)، مع الجمع بينهما. وانظر: العقد الثمين (٦/ ٢٤)، والاستيعاب (ص٥٥٥)، والمجالسة وجواهر العلم (٢/ ١٦) وغيرها.



أَبو سُفْيَان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* هو وزوجتُه وأبناؤُهُ من الصَّحابةِ والمشاهيرِ.

* حَمْو النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفضائِلهُ في صحيحِ مسلم.

* ذو شخصيَّةٍ عاقلةٍ وله حِكَمٌ وأقوالٌ نافعةٌ.

* صاحبُ أوَّلياتٍ ميمونةٍ نادرةٍ وماتَ سنَة (٣٢هـ).

أَبو سُفْيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَبٌ رئيسٌ:

* أبٌ من أشهرِ مشاهيرِ عصره، وأخبارُهُ تملأُ رحْبَ الصَّحائفِ، كان زعيمَ قريش يومَ أُحُد، ورئيسَ الأحزاب يومَ الخندق؛ أسلمَ عامَ الفتح، وكان شيخَ مكَّة إذ ذاك؛ ورأسَ قريش، وشهدَ غزوةَ حُنين والطَّائف، وحَسُنَ إسلامُهُ، وتعدَّدَتْ مناقبَهُ، وسَمَتْ مكارمُهُ، وسجَّلَتْها كتبُ الصَّحيح وغيرُها من المصادرِ الموثوقة:

إنْ تَسَلْ أينَ قُبور العُظَما فَعَلى الأفواهِ أو في الأنفُس

* عُرِفَ بكنيتِهِ واشتُهِر بها أكثر من اسمِه، وترجمت له كتبُ الصَّحابة في الكُنى والأسماء، وها نحنُ أولاء نقرأ الكنيةَ والاسمَ... أبو سفيان، صخرُ بنُ حرب بنِ أميةَ بنِ عبد شمس القرشيُّ الأمويُّ المكِّيُّ(١). وأمُّهُ: صفيَّةُ بنتُ حزن، وهي عمَّةُ ميمونةَ بنتِ الحارث بنِ حزن أمِّ المؤمنين زوجةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* كان أبو سفيان من أشرافِ قريشٍ وساداتها وشيخها ودهاتها، ومن أهلِ الرأيْ والشَّرف فيهم. وفي السُّطور الآتية نعيشُ مع مواقف وضيئةٍ من حياتهِ الأُسرية.

أبو الصَّحابة:

* إذا ذُكِرَ السَّادة فيأتي أبو سفيان في مقدمةِ سادة النَّاس وكبرائهم، بل هو أبو أعيان الصَّحابة ومشاهيرهم؛ فهو والدُ يزيدَ، ومعاويةَ، وأُمِّ حبيبةَ أُمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

---

(١) المصادرُ التي ترجمت لسيدنا أبي سفيان لا تُستقصى، ومنها: معجمُ الصَّحابة لابن قانع (٢/ ١٩) برقم (٤٦٠)، وتهذيبُ الكمال (١٣/ ١١٩-١٢١)، وأسدُ الغابة (٣/ ٩، ١٠)، والمنتظم (٥/ ٢٧)، والتبيين (ص١٧٣-١٧٥)، وغيرها كثير جدًا.

* ولأبي سفيان أبناءُ غيرهم، وهم: حنظلةُ -وقد قُتِل يوم بدر كافرًا ولا عقب له- وعتبةُ، ومحمدُ، وعنبسةُ، وعمرو[١]، وعمرُ، وله بناتٌ وهنَّ: أميمةُ، وجويريةُ، وأَمُّ الحكم، وهندُ، وصخرةُ، وميمونةُ، ورملةُ[٢] من أُمَّهاتٍ شتَّى؛ ومعظم أبنائِهِ أسلمُوا، وشهدوا بالرسالة[٣]. قال المقريزيُّ: «وأمَّا إخوةُ أُمِّ حبيبة، فإنهَّم سبعةُ رجالٍ، وسبعُ نساء»[٤].

* كان يزيدُ بنُ أبي سفيانَ القُرشيُّ الأُمويُّ؛ الصَّحابي ابنُ الصَّحابي؛ أحدَ العُقلاء الأَلبَّاء، والشَّجعان المذكورين، وكان جليلَ القَدْر، شريفًا سيّدًا فاضلًا، أسلمَ يوم الفتح، وحَسُنَ إسلامُهُ، وصار من كُتَّاب الوحي، ومن القادة الفاتحين، وهو من أفضلِ أبناءِ أبي سفيان، وكان يُقَال له: يزيدُ الخير. توفي بالشَّام سنة (١٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

* وأمَّا معاويةُ؛ فهو الصَّحابي ابنُ الصحابي ابن الصَّحابية، مَلِكُ الإسلام، وأميرُ المؤمنين، وكاتبُ وحي ربِّ العالمين، وهو من الموصوفين بالحْلم والعلم، رُويَ له عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٦٣ حديثًا)، ودعا له بأنْ يجعلَهُ اللهُ هاديًا مهديًّا؛ وكان من أجوادِ الصَّحابة، قال عبدُ الله بنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما رأيتُ أحدًا بعدَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجودَ من معاويةَ، وهو أَوَّلُ مَنْ أعطى ألفَ ألفَ -مليون- في صِلَةٍ، وكان يعطيها للحسنِ والحسينِ وعبدِ الله بنِ جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[٦]. وأخبارُ معاويةَ تزدانُ بها المصادرُ والكتبُ،

---

(١) عمرو بنُ أبي سفيان، أُسِرَ يوم بدر، فأبى أبوه أنْ يفديه، وقال: أُصَابُ بمالي وولدي، فوجَدَ سعدَ بنَ النُّعمان ابن أَكَال معتمرًا، فلما قضى عمرته، أخذهُ ففدى به عَمْرًا. التبيين (ص١٧٥).

(٢) انظرهنَّ في طبقاتِ ابن سعد (١٠/ ٢٢٧-٢٢٩)، وغير ذلك من مصادر كتب الصحابة.

(٣) انظر بالتفصيل: إمتاع الأسماع (٦/ ٢٦١-٢٦٩).

(٤) إمتاعُ الأسماع (٦/ ٢٦١).

(٥) اقرأ سيرةَ يزيد مفصّلة في الباب الأوَّلِ من كتابنا: أبناء الصَّحابة (ص٢٦٣-٢٨٧)، ففي سيرته فوائد مجموعة.

(٦) من مستجادِ فعلاتِ الأجواد ما رووا أنَّ سيّدنا معاوية أعطى حملَ بعيرٍ مالًا لسيّدنا الحسن بن علي. فقد ورد أنَّه: «كان مع الحسن يتحادثان، إذ مرَّ بختيٌّ -بعيرٌ- قد أعياهُ حمله منَ المال، فقال معاويةُ: كم عليه؟ قالوا: ثمانون ألفَ دينار يا أميرَ المؤمنين، فقال: اصرفوها للحسن بن عليّ... وليزيد بن معاوية أخبارٌ ماتعةٌ في الجود مع أبناءِ الصحابة» غرر الخصائص الواضحة (ص٣١٣) بتصرف.

توفي بالشَّام سنة (٦٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[١].

* أمَّا ابنتُه أُمُّ حبيبة أمُّ المؤمنين فتدعى: رملةُ بنتُ أبي سفيان القرشيَّةُ، وهي من عالماتِ نساءِ أهلِ البيت؛ روت (٦٥ حديثًا)، وكان لها حرمةٌ وجلالةٌ، ولذا قيل لمعاوية أخيها: خَالُ المؤمنين، توفيتْ بالمدينة سنة (٤٤هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢]...

* وابنُه: عتبةُ أخو معاوية لأبويه، وُلِدَ على عَهْدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وولَّاهُ عمرُ بنَ الخطَّاب الطَّائف وصدقاتها، ثمَّ ولَّاهُ معاوية بعد موت عمرو بنِ العاص، فأقامَ بها سنةً وتوفي بها (٤٤هـ)، وكان فصيحًا خطيبًا، لم يكن أخطبَ منه، وله أخبارٌ جميلةٌ، ووصاية نبيلةٌ، منقوشةٌ في المصادر[٣].

* وأخبارُ أبناءِ أبي سفيان وبناتِهِ[٤] منثورةٌ في بساتين الكُتبِ، وحدائقِ المصادر، ولو شئنا أنْ نستقصيَ لك سِيرهم لأسمعناكَ العَجب العُجاب، فحسبنا ما قرأنا...

وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ:

* إنَّ مَنْ يتتبَّع السِّيرة السُّفيانيةَ؛ أيامَ الدعوةِ الإسلاميةِ، ويعلم جَوَّ العداوةِ المحموم للإسلام، يجدْ أنَّ أبا سفيان ذو شخصيةٍ متَّزنةٍ عاقلةٍ، فقد كانت نفسُهُ تنازعُهُ إلى التَّصديق برسالةِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَّ ارتباطَه بعليةِ الملأ الوثنيِّ القرشيِّ؛ كان يثبِّطُ من عزيمتِهِ، وحينما قُتِلَ الزُّعماءُ في بدر، ألفى نفْسَه زعيمًا كبيرًا لقريش... وعلى الرغمِ من هذا كلِّه، ما كان سفيهًا في عداوتِهِ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما أعلنَهُ وصرَّحَ به لزوجتِهِ هند إبَّان الدَّعوة في مكَّةَ المكرمةِ.

---

(١) اقرأ سيرتَه في الباب الثالث من كتابنا: علماء الصحابة (ص٦٣٦-٦٨٨).
(٢) اقرأ سيرتها في الباب الأوَّل من موسوعتنا: نساء أهل البيت (٣٨١-٤١٣). ط(٧).
(٣) أسدُ الغابة (٣/ ٥٥٤)، والاستيعابُ (ص٥٦٨)، والتبيينُ (ص١٧٩-١٨١)،وغيرها كثير... وقد ترجمَ له ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٨/ ٢٦٢-٢٧٣).
(٤) من بنات أبي سفيان: الفارعة، كانت زوج أبي أحمد بن جحش الأسدي، وهو من قدماء المسلمين.

* روى ابنُ عساكر، عن حُميد بن مُنْهب، أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خرجَ أبو سفيان إلى بادية له مردفًا هندًا، وخرجتُ أسيرُ أمامهما وأنا غلامٌ على حمارة لي، إذ لحقَنَا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو سفيان: انزلْ يا معاويةُ حتى يركبَ محمَّدٌ، فنزلتُ عن الحمارة، وركبها رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسارَ أمامهما هنيهةً، ثم التفتَ إليهما، فقال: «**يا أبا سفيان بنَ حرب، ويا هندَ بنت عتبة، واللهِ لتموتنَّ، ثم لتبعثنَّ، ثم ليدخلنَّ المُحسنُ الجنَّةَ، والمسيءُ النارَ، وإنَّ ما أقول لكم لحقٌّ، وإنكم لأوَّلُ مَنْ أُنذرتم**» ثمَّ قرأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. حتَّى بلغ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١-١١]، فقال له أبو سفيان: أفرغتَ يا محمدُ؟ قال: «**نعم**»، ونزلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحمارة وركبتُها، وأقبلتْ هندُ على أبي سفيان، وقالت: ألهذا السَّاحر الكذاب أنزَلْتَ ابني؟ قال: لا واللهِ ما هو بِسَاحرٍ، ولا كذَّابٍ»(١).

الدَّارُ السُّفيانيَّةُ:

* أخلاقُ أبي سفيان وسجاياه معروفةُ بالاتِّزان أيام جاهليَّته، فلا يتصوَّرَ منصفٌ أنَّه كان ممَّن يؤذون النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما كان يهبُّ إلى نصرةِ مَنْ يلوذُ به وينصفُه.

* قال أبو ميسرة: «إنَّ غلامًا من بني المُغيرة شجَّ فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي جُويريةٌ، فنادت: يا آلَ عبد مناف، فخرجَ أبو سفيان يشتدُّ أَوَّلُ النَّاس»(٢).

* وروى ثابتُ البُنَاني أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أُوذيَ وهو بمكَّةَ، فدخلَ دارَ أبي سفيان أَمِنَ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ فتح مكة: «**مَنْ دخلَ دار أبي سفيان فهو**

(١) كنزُ العمال (١٣/ ٦١٣) برقم (٣٧٥٦٦)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٤٠).
وقد ذكر محقق الكتاب أنَّ الآيات من سورة السَّجدة، ونقلَ هذا الغَلَط عن مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٥٢) دون تحقيق. فما هذا التحقيق يا عبادَ الله؟ وما هذا الإهمال؟!!! نسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يصلحَ أمورنا.
(٢) تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٢٤١).

آمن»[(١)]، وشرَّفَهُ بهذه المنقبةِ الكبيرةِ، إذ إنَّ الدَّار السُّفيانية كانت ملجأً له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إيذاء مشركي قريش له، ونلاحظ أنَّ الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردَّ الجميل بأحسن منه، ممَّا جعلَ أبو سفيان يومها يعلنُ إسلامه، وينتظمُ في سلْكِ دُررِ الصَّحابة، ويغدو أحد أعيانهم وأعلامهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

أَوَّليَّاتٌ سفيانيةٌ:

* لعلَّ أوَّلَ مَنْ يمتُّ إلى النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمودة في القُربى: أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أَحَدُ المخاطبين في قولِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشَّورى:٢٣]، وكان لهذه المودَّةِ مظاهرها اللطيفة بعد الهجرةِ النَّبويةِ إلى المدينة، إذ ظلَّ أبو سفيان مُقيمًا على شركه بمكَّة قبل إسلامه. ومع هذا فقد ذكر ابنُ سعد: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ لأبي سفيان -قبل أنْ يُسلم- بمالٍ يقسمُه في قريش، لما بلغَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حاجتهم»[(٢)]. بل إنَّ عكرمةَ مولى ابنِ عبَّاس أفادَ بأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهدى إلى أبي سفيان بن حرب تمرَ عجوة، وكتبَ إليه يستهديه أدمًا، فقبلَ هديته، وأهدى إليه»[(٣)].

* وفي المطالعِ البدريةِ الجميلةِ مع الأوائلِ نطَّلع على هذه الفرائدِ السُّفيانية، والقلائدِ الأموية، والأوَّليات المَنافية، وهي قتالهُ أهلَ الرِّدَّة على إقامة دينِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

* عن ابنِ شهاب الزُّهريّ: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعملَ أبا سفيان بنَ حرب على بعضِ اليمن، فلمَّا قَبِضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبلَ فلقيَ ذا الخمار[(٤)] مرتدًّا

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٩)، بتصرف يسير.
(٢) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ٧، ٨).
(٣) المنتظم (٥/ ٢٧).
(٤) «ذو الخمار»: الأسودُ العنسيُّ، واسمه: عبهلةُ بنُ كعب، وكان يُقالُ له: ذو الخمار؛ لأنَّه كان يخمرُ وجهه، وقيل: هو اسم شيطانه. فتح الباري (٨/ ٩٣).

فقاتَلَه، فكان أوَّلَ مَنْ قاتلَ في الرِّدَّة، وجاهَدَ في الدِّينِ، وهو فيمن أنزلَ اللهُ فيه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]»(١).

* وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كانتِ المودَّةُ التي جعلَ اللهُ بينَهم تزويجَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أمُّ المؤمنين، وصار معاويةُ خالَ المؤمنين»(٢).

* إنَّ منجمَ الأوَّليَّاتِ السُّفيانيةَ غنيٌّ بفرائد القلائد، فأبوهُ حربُ بنُ أميَّةَ كان أوَّلَ مَنْ كتبَ بالعربية(٣)، وعلَّمَ أبا سفيان الكتابةَ، فكانَ منْ كَتَبَةِ الوحي(٤)، كما كان ابناهُ: يزيدُ ومعاويةُ منْ كَتَبَةِ الوحي(٥)، وكان أكثرهم مداومةً على كتابةِ الوحي: زيدُ بنُ ثابت، ومعاويةُ بنُ أبي سفيان(٦).

مَكَارِمُ ومنَاقب:

* اختُصَّ أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببعضِ المكارمِ النَّبوية، ومنها: أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعمله على إجلاء اليهود، وأنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبى يومَ حُنين ستَّة آلافٍ بين

---

(١) تفسيرُ ابن كثير (٨/ ١١٨)، وانظر: تفسير الماوردي (٤/ ٢٢٢).
(٢) الدُّر المنثور (١٤/ ٤١١)، وتاريخ مدينة دمشق (٣/ ٢٠٧، ٢٠٨).
(٣) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ٧)، وتاريخ الخط العربي (ص٨٥-٦٠).
(٤) المصباحُ المضي (ص١٠٨).
(٥) التراتيب الإداريةُ (١/ ١٥٢).
(٦) المرجعُ السَّابق ذاته... وذكرَ العِراقيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أسماء كُتَّاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أرجوزةٍ مفيدةٍ ساقَ خلالها اسمَ معاويةَ، ويزيدَ، وأبا سفيان، فكان ممَّا قال:

كُتَّابُهُ اثنانِ وأربعونا ... زيدُ بنُ ثابت وكانَ حينا
كاتُبُهُ وبعدَه مُعَاويه ... ابنُ أبي سفيان كانَ واعيه
حذيفةٌ بريدةٌ أَبَانُ ... ابنُ سعيد وأبا سفيان
كذا ابنُه يزيدُ بعضَ مَسْلَمه ... الفتح مع محمّد بنِ مَسْلَمة

ألفيةُ السِّيرة النبوية (ص١٢٣). وقال أهلُ العلم: «المداومُ على الكتابةِ: معاويةُ، وزيدُ بن ثابت». التراتيب الإدارية (١/ ١٥٧).

غلامٍ وامرأةٍ، فجعلَ عليهم أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

* دلَّتِ الأحاديثُ والآثارُ النَّبويَّةُ المروية عن كبارِ علماء الصَّحابة على مكانةِ أبي سفيان وفضائله. فعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يدخل النَّار مَنْ تزوَّجَ إليَّ أو تزوَّجتُ إليه»**[٢].

* ومن المحاسنِ الزَّاهرة التي تُحلَّى بها السِّيرةُ السُّفيانيةُ: معيَّتُه للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبنائِهِ في المناسكِ، قال إسماعيلُ بنُ أمية: «أفاضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يمينه أبو سفيان بنُ حرب، وعن يساره الحارثُ بنُ هشام[٣]، وبين يديه يزيدُ ومعاويةُ ابنا أبي سفيان على فَرَسَيْن»[٤].

* ويومَ حُنين غنمَ المسلمون مالًا عظيمًا، ولما جُمعتِ الغنائمُ بين يدي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاءه أبو سفيان فأعطاهُ أربعين أوقيةً من الفضَّة، ومئةً من الإبل، وكذلك أعطى ابنه يزيد، فقال أبو سفيان مسرورًا: «يا رسولَ الله؛ إنَّك لكريمٌ، فِداكَ أبي وأمّي، واللهِ لقد حاربتُكَ فَنِعْمَ المُحَارَبُ كُنْتَ، ثم سالمتُك فَنِعْمَ المُسَالم أنتَ، جَزاكَ اللهُ خيرًا»[٥].

* يُضافُ إلى ذلك كلِّه أنَّ سيدنا أبا سفيان كان حَمْوًا للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكان يمازحهُ. حدَّثَ أبو الهيثم عمَّنْ أخبره أنَّه سمعَ أبا سُفيان يمازحُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتِ ابنته أمِّ حبيبة، ويقولُ: واللهِ إنْ هو إلا أنْ تركتُك، فتركتْكَ العربُ... ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحكُ ويقولُ: **«أنتَ تقولُ ذلك يا أبا حنظلة»**[٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦٠).
(٢) تاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦١، ٤٦٢).
(٣) اقرأ سيرته في هذا الكتاب.
(٤) إمتاع الأسماع (٢/ ١١٤)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦٢، ٤٦٣).
(٥) تاريخُ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦٢) بتصرف يسير. ونكتُ الهميان (ص١٧٣)، والمنتظم (٥/ ٢٩).
(٦) تاريخُ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦١، ٤٦٢)، وإنارة الدجى (ص٦٤٤).

«احفظُوني في أَصْحَابي»:

* من أحاسنِ المحاسنِ المنيفةِ أنَّ أبا سفيان من الذين اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ للصُّحبةِ النَّبويةِ، فعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. قال: «هم أصحابُ محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اصطفاهم الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم»(١).

وقال سفيانُ الثَّوري: «نزلَتْ في أصحابِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة»(٢).

* وقال أبو جعفر الطَّبريُّ: «﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: الذين اجتباهم لِنبيِّه محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلَهم أصحابَه ووزراءَهُ على الدِّينِ الذي بعثَه بالدَّعاء إليه»(٣).

* جاءتِ الوصاةُ النبويةُ بأبي سفيان والصَّحابة، حيثُ قال: «**احفظُوني في أصحابي، فَمَنْ حفظني في أصحابي رافَقَني وَوَرَدَ عليَّ حوضي، ومَنْ لم يحفظْني فيهم لم يَرِدْ عَليَّ حوضي، ولم يَرني إلا منْ بعيد**»(٤).

* واقرؤوا هذه المكرمةَ المدهشةَ التي تُبرزُ أُبوَّةَ أبي سفيان ومكانتَهُ وفضْلَهُ، فعن معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَرط من ربِّي شروط ألا أصاهرَ إلى أحد، ولا يصاهرُ إليَّ أحدٌ إلا كانوا رفقائي في الجنَّة، فاحفظُوني في أصهاري وأصحابي، فَمَنْ حفظني فيهم كان عليهم من اللهِ حافظٌ، ومَنْ لمْ يحفظْني فيهم تَخَلَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **عنه، ومَنْ تَخَلَّى الله عنه هَلَكَ**»(٥).

---

(١) الدرُّ المنثور (١١/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٢) تفسيرُ الطبري (١٨/ ٩٨)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٨١، ١٨٢)، وغيرهما كثير.

(٣) تفسيرُ الطبري (١٨/ ٩٨).

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٢٣/ ٤٦٣).

(٥) مختصرُ تاريخ دمشق (١١/ ٦٣). من الجدير بالذكر أنَّ بعضَ مَنْ ركبَهم الغرورُ، وركبوا الغواية، وركنوا إلى الذين ظلمُوا، طفقوا يتطاولون على الصَّحابة، ويتحدثون عنهم باستهتارٍ وقلَّة أدب، فاقرأْ ما قال =

اللهمَّ أنزلْ نَصْرَكَ:

* سِمَةُ الشَّرف سمةٌ سُفيانيةٌ في الجاهليةِ والإسلام فأبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **ممَّن عُرِفَ** بالسِّيادة والرِّيادة، فقد ذكر ابنُ الأثير: «أنَّ أبا سفيان كان من أشرافِ قريش، وكان تاجرًا يجهزُّ التُّجَّار بمالِهِ وأموالِ قريش إلى الشَّام وغيرها من أرضِ العجم، وكان يخرجُ أحيانًا بنفسه، وكانت إليه رايةُ الرؤساء التي تسمَّى العُقَاب، وإذا حميتِ الحربُ؛ اجتمعت قريشٌ فوضعَتْها بيدِ الرئيس، وهو الذي قادَ قريشًا كلَّها يوم أُحد... وكان صديقَ العبَّاسِ ابنِ عبد المطَّلب، وأسلمَ يوم الفتح، وشهد حُنينًا، والطائف مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففُقِئتْ عينُه يومئذ، وفُقئتِ الأخرى يومَ اليرموك، ولو لم يكن قريبًا من العدوّ ويقاتلُ لما فُقئتْ عينُه، وكان قد شهدَ اليرموكَ تحتَ رايةِ ابنه يزيدَ يقاتلُ ويقولُ: يا نصرَ اللهِ اقتربْ، اللهمَّ أنزِلْ نَصْركَ على عبادكَ»(١).

=أحدهم: «... فقد تزوَّج النَّبيُّ ابنتَه أمَّ حبيبة، وأخذا يتبادلان الهدايا والمراسلات، وأعتقد أنَّ أبا سفيان رأى في هذهِ الفترةِ ما بين صُلْح الحديبية وفتح مكة أنَّ الكفَّة تميلُ لصالح النَّبي، فتحالفَ معه!!؟!!».
وقال هذا المتطاول في موضع آخر: «... أمَّا في مرحلة فتح مكة وما بعدها، كَحُنَين والطَّائف، فقد بدا جليًا أنَّ أبا سفيان كان قد أصبحَ مهمًا للنَّبيِّ، فقد أعطاهُ النَّبيُّ حصةً كبيرةً من الغنائم تثبتُ مكانته في صفوف المسلمين، لذلك لم يَعُدْ بعضُ المؤرخين المتحيّزين قادرين على تصويره برأسِ الكفْر، فعمدوا إلى تحقيره!!؟!! وأعتقدُ أن أبا سفيان قد سبَّبَ للنَّبيِّ إرباكًا في هذه المرحلة!!؟!!». أبو سفيان بن حرب في المصادر الإسلامية المبكرة (ص١٣٧)!؟!
قلتُ: «إنَّ هذا الكاتبَ لم يذكرْ مَنْ أوَّلِ الكتابِ إلى آخره مرةً واحدةً: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما دائمًا يقولُ: النَّبيُّ، وإذا ذكرَ أي صحابي لا يترضَّى عنه، في حين أنَّه توجَّه بالشكر لمن أشرفَ على كتابه -وبعضهم ليس من أهل الملّة- وذكر أنَّهم عرَّفوه القدرةَ على النَّظر إلى التَّاريخ من زوايا مختلفة، وصححوا رؤيته ونظرته إلى التَّاريخ والأخبار، و... و... و...».
نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يقينا شرَّ الكائدين، وأن يُخزي المتطاولين.
(١) أسدُ الغابة (٦/ ١٤٤، ١٤٧) بتصرف يسير، ونكت الهميان (ص١٧٣)، وغيرهما كثير.

* روى الزبيرُ من طريقِ سعيدِ بن عُبيد الثَّقفيِّ قال: «رَمَيْتُ أبا سفيان يومَ الطَّائف، فأصبتُ عينَه، فأتى النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: هذه عيني أُصيبتْ في سبيلِ اللهِ، قال: «**إنْ شئتَ دعوتُ اللهَ فَرُدَّتْ عليك، وإن شئتَ فالجنَّة**» قال: الجنة».

* قال الزُّرقانيُّ: «وفي هذا قُوَّةُ إيمانِه، وثباتُ يقينِه، بعدما كان من المؤلَّفة»(١).

* قلتُ: «جاءت فضائلُ أبي سفيان في صحيح مُسْلم».

* وَلْنمتعِ النُفُوس بريحانِ الأدب، ونقرأْ ما صاغَه أحمد محرم في قصَّة أبي سفيان حيث قال منْ قصيدة:

هَنيئًا أبا سفيان لا الذُّخرُ هَيِّنٌ ... ولا الأجرُ ممنونٌ ولا أنتَ مغبونُ

حَملتَ أبا سفيان عينَك في يدٍ ... بها الخير في كلِّ المواطنِ مقرونُ

وجئتَ رسولَ الله لا الوجهُ شاحبٌ ... ولا العطفُ مزورٌّ ولا القلبُ محزون

تقولُ له عيني التي أنتَ ناظرٌ ... مضَتْ في سبيلِ اللهِ والحافزُ الدِّينُ

فقالَ إذا أحببتَ فالرَّدُّ ممكنٌ ... بقدرةِ ربٍّ أمرهُ الكافُ والنُّونُ

وإلا فأُخرى عنده إنْ لقيتَه ... وذلك وعدٌ عند ربِّك مضمونُ

فآثرتَ هذي ثم ألقيتَ بالذي ... حملْتَ وما في الحِّق أنْ يؤثر الدُّونُ

هنيئًا أبا سفيان لا الرمحُ آسفٌ ... ولا السَّيفُ مكروبٌ ولا العزم موهونُ

عطاؤُك في الهيجاء لم يُعْطَ مثلُه ... من النَّاس إلا صادق الناس مأمون(٢)

من كلماتهِ الماتعةِ وحِكَمهِ السَّاطعة:

* لأبي سفيان كلماتٌ نفيسةٌ سارت مسرى الأمثال وكان لها وقعٌ عظيم عند العرب، وذلك يوم أنْ نجا بالعير فقال مُخاطبًا بني زُهرة وبني عَديّ: «لا في العيرِ ولا في النَّفير»

(١) شرحُ مواهب اللدنية (٤/ ١٥).

(٢) ديوانُ مجد الإسلام (ص٣١٥) بانتقاء. وقوله: «ممنون»: مقطوع.

فهو أوَّلُ مَنْ قالَ هذه الكلمة[١].

* وكان أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حليمًا وقورًا عاقلًا، قال عبدُ العزيز بنُ عمران: «قيل لأبي سفيان بن حرب: ما بلغَ بكَ منَ الشَّرف ما نرى؟ قال: ما خاصمتُ رجُلًا إلا جعلتُ للصُّلح بيني وبينَه موضعًا»[٢].

* ولله دَرُّ مَنْ قالَ:

وَمَا دامَ ذِكْرُ العبدِ بالفَضْل باقيًا فذلكَ حيٌّ وهو في التُّربِ هَالِكُ

وَداعًا أبا سُفْيَانَ:

* عاشَ أبو سفيان[٣] قرابَة تسعين عامًا، وتوفي في عام (٣٢هـ) بالمدينةِ المنورة، وصلَّى عليه سيِّدنا عثمان، ودُفِنَ بالبقيع، وروى له الجماعةُ -سوى ابنِ ماجه- حديثَ هرقل، وفيه أنَّ أبا سفيان قال: «فما زلتُ مُوقنًا أنَّه سيظهرُ، حتَّى أدخلَ اللهُ عليَّ الإسلام».

* وأخرجَ ابنُ قانع عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره: أنَّ هِرقلَ أرسلَ إليه في نَفَر من قريش، وقد كتبَ إليهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا: «**من محمدٍ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إلى هرقلَ عظيمِ الرُّوم، السَّلامُ على مَنِ اتَّبعَ الهُدى، أما بعد:...**»[٤].

* ومعَ وداع سيرةِ أبي سفيان، تعالوا نقرأْ قولَ الرحمن: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. فرضي الله عن أبي سفيانَ، وأسكنهَ عالي الجِنان...

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ٧)، وسبلُ الهدى والرشاد (٤/ ٤٧)، وانظر: مجمع الأمثال (٢/ ٢٢١) رقم المثل (٣٥٤٢)، قال الأصمعي: «يُضْربُ هذا المثلُ للرجلِ يحطُّ أمره، ويصغر قدره».

(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (١١/ ٦٧).

(٣) لم أكتبْ سوى اليسير من السِّيرة السُّفيانية، ولو رحتُ أستقصي سيرتَه لتطلبَ مني بضعَ مجلدات، ولكنِّي ذكرتُ في هذه المقتطفات ما يتوافق مع عنوان البحث وفِكرته وهو: أُبوّةُ الصَّحابة وتربيتهم لأبنائهم.

(٤) معجمُ الصحابة لابن قانع (٢/ ١٩) برقم (٤٦٠).

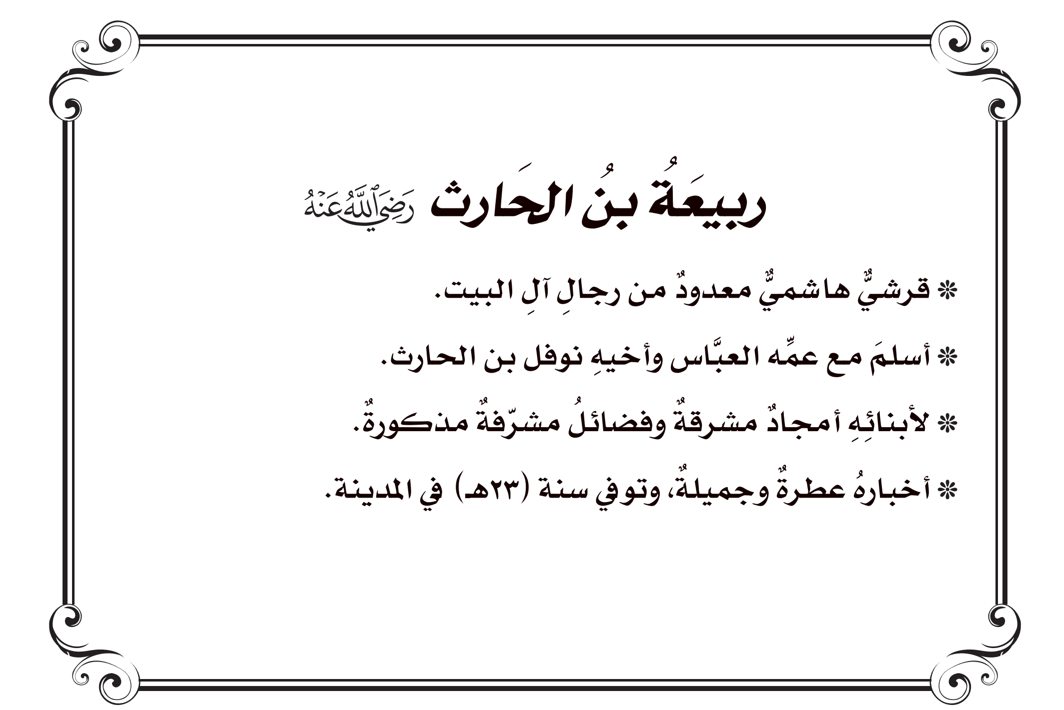


وفيه:

١- ربيعةُ بنُ الحارث.

٢- نوفلُ بنُ الحارث.

٣- أبو سفيانَ بنُ الحارث.



ربيعة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ قرشيٌّ هاشميٌّ معدودٌ من رجالِ آلِ البيت.

❋ أسلمَ مع عمِّه العبَّاس وأخيهِ نوفل بن الحارث.

❋ لأبنائِهِ أمجادٌ مشرقةٌ وفضائلُ مشرّفةٌ مذكورةٌ.

❋ أخبارهُ عطرةٌ وجميلةٌ، وتوفي سنة (٢٣هـ) في المدينة.

ربيعة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَسَبٌ ظَاهِرٌ ونَسَبٌ طَاهِرٌ:

❋ ازدادَ هذا الأبُ شرفًا على شرفٍ، إذْ نالَ وسام الصُّحبة والقَرابة مع بعضِ أبنائِهِ، فقد أسلمَ وشهدَ شهادةَ الحقِّ، وكان ذا قدْرٍ ومكانةٍ بين الصَّحابة، وكيف لا وهو منْ آلِ هاشم ذوي الحسَبِ الصَّميمِ الظَّاهرِ الزَّاهرِ، والنَّسبِ الكريمِ الطَّاهرِ الباهرِ؟

❋ فَلْنَطْرقْ بابَ آلِ البيت؛ لنلتقيَ: ربيعةَ بنَ عبد المطلب بنِ هاشم الصَّحابيّ القرشيّ الهاشميّ[1]:

قَومٌ لهم بينَ الأنامِ مناقبٌ … كالشَّمس في العليا على التَّحقيقِ
مَا فيهمُ إلا نجيبٌ كاملٌ … ذاعَتْ فضائلُهُ بكلِّ طَريقِ

❋ كان ربيعةُ -وكنيتُه: أبو أروى- ابنَ عمِّ مَنْ خُتِمَتْ به الرسالةُ والنُّبوة، ومَنْ عَمَّتْهُ بركةُ العمومةِ الزاكيةِ والبُنوة، وكان ربيعةُ أسنَّ من عمِّه العباسِ بسنتيْن، وهو كذلك أسنّ من رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببضعَةِ أعوام.

❋ فتح ربيعةُ عينَه على الدنيا وهو يعرفُ ابنَ عمَّه معرفةً حقيقيةً، إذ إنَّه أشهرُ من الشَّمس في رابعةِ النَّهار، فهو الصادقُ الأمينُ الذي يَصِلُ الرحمَ، ويصدقُ الحديثَ، ويحملُ الكلّ، ويكسبُ المعدومَ، ويُقري الضَّيفَ، ويعينُ على نوائب الحقّ، وأنَّه جمعَ المكارمَ، وحازَ الفضائل.

---

(١) ذخائرُ العقبى (ص٤٠٧-٤١٢)، وسيرُ أعلام النبلاء (١/ ٢٥٧-٢٥٩)، وطبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٣، ٤٤)، والتبيينُ (ص٨٢، ٨٣)، وأسدُ الغابة (٢/ ٢٥٩)، والمعجمُ الكبير (٥/ ٥٤-٥٦)، وغيرها كثير جدًّا.

* لكنَّ أبا أروى لم يؤمنْ بالرِّسالةِ المحمديَّةِ، ولمْ يُسْمَعُ له صوتٌ فيه إساءةٌ لأَحَد[١]، وإنَّما كان مشغولاً بتجارتِهِ وأعمالِهِ وأبنائِهِ. أما قصَّةُ إسلامِهِ، فتجلُوها رقائقُ السُّطور الآتية وتوضحُها.

امْضِ مَعَنَا يا ربيعةُ:

* يومَ بدر منَ الأيَّام المشهورةِ المشهودةِ، خرجَ نَفرٌ من آل هاشم لمحاربةِ المسلمين، ولم يكن ربيعةُ بنُ الحارث معَهم، وإنَّما كان غائبًا بالشام، ثم قدمَ بعد ذلك إلى مكَّةَ، وعلمَ ما جرى لقريش من خِزي وهزيمةٍ في بدر.

* وإبَّان أيَّام غزوةِ الخندق، خرجَ العباسُ بنُ عبد المطلب، ونوفلُ بنُ الحارث من مكَّة إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجِرَيْن، وشيَّعَهما ربيعةُ في مخرجهما إلى الأبواءِ، ثم أرادَ أنْ يرجعَ إلى مكَّة، فقالا له: «يا أبا أروى؛ أينَ ترجعُ؟! إلى دارِ الشِّركِ؛ يقاتلون رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكذِّبونَه، وقد عزَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكَثُفَ أصحابُه، امضِ معَنا».

* أنصتَ ربيعةُ لهما، فانْجَابَتِ الظُّلمةِ عن عينَيه، وشرحَ اللهُ صدرَهُ للإسلام، فسارَ معهما حتَّى قدموا جميعًا المدينةَ على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمين مهاجِرين[٢]... وكُتِبُوا في ديوانِ الذين سَعدوا من بني هاشم.

مَشَاهِدُ مُونقةٌ:

* مواقفُ سيِّدنا ربيعةَ جميلةٌ وخلَّابةٌ، فقد بايعَ ابنَ عمِّه رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأطعَمُه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبَر مئةَ وسقٍ كُلَّ سنة[٣]، وكان شريكَ عثمانَ بنِ عفَّان في التجارة[٤].

---

(١) لذلك الأمر قال حسَّان بنُ ثابت لربيعةَ بن الحارث وأخيه نوفل:

أبلغْ ربيعةَ وابنَ أمِّه نوفلا ... أني مصيبُ العظمَ إنْ لم أصفح

وكأنني رئبالُ غابٍ ضيغم ... يقرو الأماعزَ بالفجاجِ الأفيح

شرح ديوان حسان بن ثابت (ص٧٢).

(٢) طبقاتُ ابنُ سعد (٤/ ١٥، ٤٤) بتصرف يسير جدًا.

(٣) التبيينُ (ص٨٣).

(٤) ذخائرُ العقبى (ص٤١٠).

* شهدَ ربيعةُ فتحَ الفتوحِ مكَّةَ بالمعيَّةِ النَّبويَّةِ، ثم شهدَ الطَّائف، وحُنينًا، وثبتَ مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم حُنين فيمن ثبتَ معه من آلِ بيته وأصحابهِ، ومنهم: عليُّ بن أبي طالب، والعباسُ بنُ عبد المطلب، وأبو سفيان بنُ الحارث، وأخوه ربيعةُ بنُ الحارث، والفضلُ بنُ العباس، وأيمنُ بنُ أم أيمن، وأسامةُ بنُ زيد، ورهطٌ من أصحابهِ من المهاجرين منهم: سيدنا أبو بكر وعمر[1]؛ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

* سكنَ ربيعةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المدينةَ المنورةَ، وابتنى فيها دارًا في بني حُدَيلة، وقد روى عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2].

أمجادٌ وفضائلُ:

* امتزجتِ الأسرةُ الرَّبيعيةُ الهاشميةُ بالمجدِ والشَّرفِ والرفعةِ والعَراقة، إذ إنَّ سيدنا ربيعةَ وامرأَته وابنَه عبدَ المطلب ممَّن صَحِبَ الصَّادقَ المصدوقَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبَايعَه.

* فأمَّا زوجةُ ربيعةَ، فهي أمُّ الحكم بنتُ الزُّبير بنِ عبد المطلب القرشيَّةُ الهاشميَّةُ، ابنةُ عمِّ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقالُ: إنَّها كانت أخت النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الرضاعة، وكان يزورُها بالمدينة.

* ولدَتْ أمُّ الحكم لابن عمِّها ربيعةَ: عَبد شمس، وعبدَ المطلب، وأروى الكبرى، ومحمدًا، وعبدَ الله، والعبَّاسَ[3]، والحارَث، وأميَّةَ، وأطعمهَا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من خيبر ثلاثينَ وسقًا. روتْ أمُّ الحكم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه: «دخلَ على ضباعة بنتِ الزُّبير، فنهشَ عندها كتفًا، ثمَّ صلَّى، وما توضَّأ»[4].

---

(١) إمتاعُ الأسماع (٢/ ١٤)، والبدايةُ والنهاية (٧/ ١٥)، وإتحافُ الورى (ص٥٣١)، مع الجمع بينها.

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٤) بتصرف يسير.

(٣) قال ابنُ قتيبة: «ولربيعةَ بنونٌ وبناتٌ، منهم: العباسُ بنُ ربيعة، وكان له قدرٌ، وأقطعهُ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دارًا بالبصرة، وأعطاهُ مئة ألف درهم، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ». المعارف (ص١٢٨).

(٤) الإصابةُ (٨/ ٢٢٤) باختصار، وانظر: أسد الغابة (٧/ ٣٠٧)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣٤٧، ٣٤٨)، والتَّبيين (ص١١٧). وقال ابنُ سعد عن أبناء ربيعة: «وآدمُ بنُ ربيعة، وهو المُسترضَعُ له في هُذيل، فقَتَلَه =

* وأمَّا ابنُه عبدُ المطلب بنُ ربيعة، فَلَهُ صُحْبَةٌ، وهو ابنُ ابنِ عمِّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمُّه أمُّ الحكم بنتُ الزُّبير... سكنَ المدينةَ، ثم انتقلَ إلى الشَّام في خلافة عمَر بنِ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فسكنَ دمشقَ، وكانت دارُهُ بزُقاقِ الهاشميين. روى عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... وكان على عَهْدِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلًا، ولم يغيِّرْ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمُه... روى له مسلمٌ، وأبو داود، والنِّسائي(١).

روايةُ ربيعةَ للحديث:

* ربيعةُ من آل البيتِ الذين رووا الحديثَ النَّبويَّ، روى عن ابنِ عمِّه الفَضْلِ بنِ العبَّاس بنِ عبد المطلب، وروى عنه ابنُهُ عبدُ المطلب بنُ ربيعةَ.

* أخرجَ المِزّيُّ بسندٍ رفعه إلى سيِّدنا ربيعةَ بنِ الحارث،؛ عنِ الفضلِ بنِ العبَّاس حديثًا في الصَّلاة(٢). وكذلك أخرجَ له أبو نُعيم حديثًا آخر في الركُوع(٣).

* وفي مضمارِ الفضائلِ والخَيريَّةِ أخرجَ البيهقيُّ عن ربيعةَ بنِ الحارث قال: بلغَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ قومًا نالوا منْهُ، فَغَضِبَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**أيها النَّاسُ، إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَه فجعلَهم فرقتَيْن، فجعلني في خير الفرقتَيْن، ثم جعلهم قبائلَ، فجعلَني في خيرهم قبيلًا، ثم جعلهم بيوتًا فجعلَني في خيرهم بيتًا**» ثم قالُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا خيرُكم قبيلًا، وخيركم بيتًا**»(٤).

=بنو ليث بن بكر في حربٍ كانت بينهم، وكان الصَّبيُّ يحبو أمامَ البيوت فرمَوه بحجر، فأصابَه، فرضخَ رأسَه، وهو الذي يقولُ له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح: «**ألا إنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليةِ فهو تحتَ قدمي، وأوَّلُ دمٍ أضعُه دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب**». طبقات ابن سعدٍ (٤/ ٤٣، ٤٤). والحديث أخرجَهُ مسلمٌ برقم (١٢١٨).

(١) تهذيبُ الكمال (١٨/ ٢٧٨، ٢٧٩) بتصرف، وانظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٥٣-٥٥).

(٢) تهذيبُ الكمال (٩/ ١١٠).

(٣) معرفة الصحابة برقم (٢٧٤٧).

(٤) الدر المنثور (٧/ ٦٠٧)، نقلًا عن البيهقي (١/ ١٦٨/ ١٦٩).

«إنَّ الصَّدقةَ لا تنبَغي لآلِ محمَّد»:

* قُلنا: «إنَّ بني هاشم الذين أسلمُوا يُعَدُّون من أهلِ البيت، ومن آلِ[١] سيِّدنا محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حسبما نصَّتْ عليه الأحاديثُ النَّبويةُ التي وردَتْ في الصَّحيح والسُّنن وغيرها»[٢].

* عَلَّمَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَ عمِّه ربيعةَ حُكْمًا مفادُهُ أنَّ الصَّدقةَ لا تحلُّ لآل محمّد، من خلال قصَّةٍ مليحةٍ تربويةٍ استوفَتْها المصادرُ الموثوقةُ والموثَّقةُ، إذْ أخرجَتْ عن ابنِهِ عبدِ المطلب بنِ ربيعةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ أباهُ ربيعةَ بنَ الحارثِ الهاشميَّ، وعمَّه عبَّاسَ ابنَ عبدِ المطلب الهاشميَّ، قالا لعبدِ المطلبِ، ولابن عمَّه الفضلِ بنِ عبَّاس: ائتيا رسولَ الله فقُولا له: يا رسولَ الله؛ قد بلغَنَا ما ترى من السِّنِّ، وأحببنا أن نتزوَّجَ، وأنتَ رسولُ الله أبرُّ النَّاسِ وأوصلُهم، وليس عند أبوينا ما يَصْدُقان عنَّا، فاسْتعمِلْنا يا رسولَ الله على الصَّدقات، فَلْنُؤَدِّ إليكَ ما تُؤَدِّي العُمَّالُ، ونصيبُ كما يصيبون، ثم نتزوَّجُ، ونستعينُ به على صنيعتنا... ولمَّا كَلَّما رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذي أمرهما به أبواهما، سكتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلًا، ثم أرسلَ إلى بني هاشم خاصَّة، فلمَّا اجتمعوا عنده قال: **«إنَّ الصَّدقةَ لا تنبغي لآلِ محمد، إنمَّا هي أوساخُ النَّاس، ادعُوا لي مَحْميَّةَ بنَ جَزْء** -وكان على الخُمس- **ونوفلَ بنَ الحارث بنِ عبد المطلب»** فجاءَاهُ، فقال لمحميَّة: **«أنكِحْ هذا الغلامَ**

(١) «آل»: نقلَ المقريزيُّ عن ابن سِيْدَه قال: «وآلُ الرجل: أهلُه، فإمَّا أنْ تكونَ الألفُ منقلبةً عن واو، وإمَّا أنْ تكونَ بدلًا من الهاء، وتصغير أُويل وأُهيل، وقد يكونُ ذلك لما لا يُعْقل. وأهلُ الرجلِ: عشيرته وذوو قرباه، والجمعُ: أهلون وأهلات. قال: وأهلُ بيت النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ويُقالُ لهم: آل البيت- قيل: نساءُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: الرجالُ الذين هم آلُه، وآلُ الرجل وأهلُه، وآلُ الله، وآلُ رسوله أوليائه، أصلُها أهل، ثم أُبدِلَت الهاءُ بهمزة، فصارت في التقدير آل، فلما توالِت الهمزتان أبدلو الثَّانية ألفًا... وقيل: لا يكون الآل إلا الأتباعُ والأقاربُ...» إمتاع الأسماع (٥/ ٣٧٢)، وما بعدها.

(٢) انظر مثلًا: صحيح مسلم برقم (١٠٧١، ١٠٧٢)، ومعرفة الصحابة برقم (٢٧٤٢)، وأبو دواد برقم (٢٩٦٩)، والنسائي (٥/ ١٠٥، ١٠٦)، والمعجم الكبير (٥/ ٥٤، ٥٥).

ابنتَك» -للفَضْلِ بن العبَّاس- فأنكَحَه، وقال لِنوفلِ بنِ الحارث: «**أنكِحْ هذا ابنتَك**» -لي- فأنكحني، وقال لمحميَّةَ: «**أَصْدِقْ عنهما من الخُمس كذا وكذا**»(١).

❋ ورُوي عن ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قال: «كان رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كتبَ إلى عمَّاله يأمرُهُم أخْذَ الصَّدقةِ، ويقول في كتُبِهِ: «**إنَّ الصدقةَ لا تحلُّ لمحمَّد ولا لآلِ محمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٢).

❋ قال المقريزيُّ: «وقد ثبتَ أنَّ تحريمَ الصَّدقة، واستحقاقَ خمس الخمس، وعدَم توريثهم، تختصُّ ببعض أقاربهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٣).

❋ قال ابنُ حجر المكِّيُّ: «هم مؤمنو بني هاشم والمطَّلب عند الشَّافعي، وجمهورِ العُلماء».

❋ ولأهلِ العلْم مقالٌ ملخَّصُه ومحصَّلُه: «لا خلافَ أنَّ عقبَ بني هاشم انحصرَ في عبدِ المطلب، فصار بنوه آلَ محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيقين»(٤).

وَدَاعًا أبا أروى:

❋ مكثَ سيِّدنا ربيعةُ بنُ الحارث في المدينةِ المُنوَّرةِ، وامتدَّتْ حياتُه إلى أواخرِ الخلافةِ العمريةِ الميمونةِ، ومات بالمدينةِ سنة (٢٣هـ)(٥).

---

(١) انظر: معرفةَ الصَّحابة برقم (٢٧٤٢، ٢٧٤٣)، ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ١٥٢) مع الجمع والتَّصرف، وللحديث أصل عند مسلم في الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة برقم (١٠٧٢). وانظر: إمتاع الأسماع (٥/ ٣٧٩-٣٨١)، وأيضًا (٩/ ٢٨٥-٢٨٧)، وذخائر العقبى (ص٤١١، ٤١٢)، والتَّبيين (ص٨٣)، والمعجم الكبير (٥/ ٥٤-٥٦) وغيرها. ومعنى قوله: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد**»: دليلٌ على أنَّها محرّمة سواء كانت بسبب العَمل، أو بسبب الفقر والمسكنة، وغيرهما من الأسبابِ الثَّمانية المذكورة في سُورة التَّوبة، الآية رقم (٦٠)، وقوله: «**إنَّما هي أوساخُ النَّاس**»: تَنْبيهٌ على العلّة تحريمها على بني هاشم وبني المطلب، وأنَّها لكرامتهم وتنزيههم من الأوساخ، ومعنى «**أوساخ الناس**»: أنها تطهيرٌ لأموالهم ونفوسهم، واللهُ تعالى أجلُّ وأعلم.

(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (٤/ ١٥٢).

(٣) إمتاعُ الأسماع (٥/ ٣٧٩).

(٤) المصدرُ السابق (٥/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٥) أسدُ الغابة (٢/ ٢٥٩)، والإصابة (٢/ ١٩٧)، وغيرها.

* ومما أفادَ به العلماءُ ومحبو آل البيت: أنَّ ثلاثين صحابيًا اسمُ كلِّ واحدٍ منهم ربيعة، ومنهم سيدنا ربيعةُ بنُ الحارث بنِ عبد المطلب الهاشميّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* وبعد، رضيَ الله عن أبي أروى ربيعة، وأنزله المنزلة الرفيعة، ونفعنا بسيرته البديعة.

* نسألُ اللهَ أنْ يحقِّقَ رجاءَنا، ويتقبَّل دعاءَنا، وأن يجعل ذِكره زادنا صباحَنَا ومساءَنا:

وَصَلِّ ربَنا على خَيرِ الوُجُود أَحْمَدا
وآلِهِ وصَحبِهِ وتابعيهم سَرمَدا



نوفَلُ بنُ الحَارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* صحابيٌّ أبو صحابيٍّ وجدُّ صحابيٍّ، وهو قرشيٌّ هاشميٌّ.

* كانَ نوفلُ أسنَّ مَنْ أسلم مِنْ آلِ البيت.

* هو من فُصَحاء آباءِ الصَّحابة وبلغائِهم وعقلائِهم.

* أبناؤُه فضلاءُ علماءُ أكابرُ، وماتَ بالمدينةِ سنة (١٥هـ).

نوفل بن الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

مَجْدٌ وشرفٌ:

❋ وهَبَهُ اللهُ شرفَ الخِصَال، وحسنَ الخلال، ومجدَ الفعال، فهو شريفُ الأعراق، كريمُ الأخلاق، وهو من بيتٍ في الفضل قديم، وليس له إلا الشَّريف نديم، والعزّ صاحب وحميم.

❋ هذا الصَّحابيُّ أبو صحابيٍّ وجدُّ صحابيٍّ، وهو من بني هاشم، ومن آلِ البيت، وممَّن أسلمَ مع أبنائِهِ وحفيدِهِ، وصحبوا رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❋ تجودُ علينا حدائقُ كتبِ السِّيرة والتَّواريخ بثمار علمية مفيدة، وتدلُّ على شيءٍ من سيرةِ عبدِ المطلب جدِّ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتذكرُ بأنَّ له عشرةَ أولاد، ولم يدركِ الإسلامَ منهم إلا أربعة: حمزةُ، العباسُ، أبو طالب، وأبو لهب، أسلمَ اثنان، وكفرَ اثنان، ولم يسلمْ غيرُ حمزةَ والعبَّاسِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[1].

❋ كان الحارثُ بنُ عبد المطلب أكبرَ عمومةِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولم يدركِ الإسلامَ، وأسلمَ من أولادِه أربعةٌ: نوفلُ، ربيعةُ، أبو سفيان، وعبدُ الله[2].

---

(١) ذخائرُ العقبى (ص٢٩٢، ٢٩٣)، والتبيينُ (ص٧٩)، مع الجمع والتصرف.

(٢) عبدُ الله بنُ الحارث بنِ عبد المطلب الهاشميَّ أخو ربيعةَ ونوفلَ، كان اسمُه: عبد شمس، ولما هاجرَ قُبيل فتح مكة سمَّاه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: عبدَ الله، وخرجَ مع رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بعضِ مغازيه، فمات بالصَّفراء، فكفَّنه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قميصه –يعني: قميص النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– وقد قالَ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «هذا سعيدُ أدركته السَّعادةُ». وليس له عقب. طبقات ابن سعد (٤/ ٤٥)، وأسد الغابة (٣/ ١٠٧)، مع الجمع.

* نلتقي الآن نوفلَ بنَ الحارث بنِ عبد المطلب الهاشميَّ القرشيَّ (١)، ابنَ عمِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تَعالَ أُريكَ الآلَ كيما تحبَّهم وتُهدى إلى نهج الطَّريقِ السَّوية
فحمزةُ والعبَّاس منهم ولا عمى وكلٌّ تقيٌّ واصلٌ بالعُمومة
ومنهم بنوهُم لا نخيسُ شُعَيرةً عن القسْطِ مسؤول بوزن شَعيرة

* كان نوفلُ -وكنيتُه: أبو الحارث- أسنَّ إخوته، وأسنَّ مَنْ أسلمَ مِنْ بني هاشم، وأَسَرَهُ المسلمون يومَ بدر، ففَداهُ عمُّه العبَّاس، وقيل: فدى نفسَه، ثمَّ أسلم (٢). وقيل: إنَّ العبَّاسَ أمرَ ابنَي أخويه فأَسْلَما، ففيهما نزلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ...﴾ [الأنفال:٧٠].

* ورُوي عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ...﴾ [الأنفال:٧٠]، قال: «نزلتْ في الأسارى يومَ بدر، منهم: العباسُ بنُ عبد المطلب، ونوفلُ بنُ الحارث، وعقيلُ بنُ أبي طالب» (٣).

نوفلُ وآلُ البيت:

* بَيَّنَ تقي الدِّين المقريزيُّ مَنْ هم أهل البيت، فقال: «أهلُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم بنو هاشم، فقط الذين هم: بنُو العبَّاس، وبنُو طالب، وبنُو الحارث، وبنُو أبي طالب، وبنُو أبي لهب، فإنَّه لا خلافَ أنَّ عقبَ هاشم انحصرَ في عبد المطَّلب، فصار بنوهُ آلَ محمَّدٍ بيَقين» (٤).

---

(١) معجمُ الصحابة لابن قانع (٣/ ٢٤٥) برقم (١١٣٠)، والعقدُ الثمين (٧/ ٣٥١)، وتهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ١٣٤)، وتخريجُ الدلالات السَّمعية (ص٦٩٦، ٦٩٧)، وأسدُ الغابة (٥/ ٣٤٧)، وغيرها كثير جدًّا.
(٢) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ١٩٩) بتصرف. وانظر: ذخائر العقبى (ص٤٠٦).
(٣) تفسيرُ القرطبي (٩/ ٨٢)، والدرُّ المنثور (٧/ ٢١٢)، وأسبابُ النزول للواحدي (ص٤٠٤).
(٤) إمتاعُ الأسماع (٥/ ٣٨٢، ٣٨٣).

* وعلى هذا يُعَدُّ نوفلُ[١] بنُ الحارث من آلِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وحينما تكلَّم الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن وقْعَةِ بدر، استدلَّ بذلك فقال: «وكان جملةُ الأسارى يومئذٍ سبعين أسيرًا... منهم من آلِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عمُّه العباسُ بنُ عبد المطلب، وابنُ عمه عقيلُ بنُ أبي طالب، ونوفلُ بنُ الحارث، وقد استدلَّ الشَّافعيُّ والبخاريُّ وغيرهما بذلك...»[٢].

* ففي كتاب العتق أوردَ البخاريُّ بابًا بعنوان: باب إذا أُسِرَ أخو الرَّجل، أو عمُّه، هل يُفادَى إذا كان مُشْركًا؟ وقال أنسٌ: قال العبَّاسُ للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فاديتُ نفسي وفاديتُ عقيلًا»، وكان عليٌّ له نصيبٌ من تلك الغنيمةِ التي أصاب من أخيه عقيل، وعمّه العبَّاس[٣].

* وتتلخَّصُ قصَّةُ ذلك في أَسْرِ نوفلَ مع عمّه العباس يومَ بدر، إذ خرجَ مع المشركين، فوقعَ في الأسرى مع سبعين رجلا[٤]، فكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَادي بهم على قَدْرِ أموالهم؛ وقال سيِّدنا عليٌّ؛ أو أحدُ الأنصار: «فأسرنَا من بني عبد المطَّلب؛ العباسَ، وعقيلًا، ونوفلَ بنَ الحارث...»[٥]. وكان هؤلاء الثلاثةُ مُكرهين على الخروجِ

---

(١) «نوفلُ»: على وزْنِ فوعل، النَّوفل: البحرُ: والعطيةُ، والشِّدةُ، وبعض أولاد السِّباع، والرجلُ المعطاء يُشَبَّهُ بالبحر، والنوفلُ: الشَّابُّ الجميلُ. ونوفلُ بنُ الحارث الهاشميُّ، ونوفلُ بنُ طلحة الأنصاريُّ، ونوفلُ بنُ عبد الله الخزرجيُّ، ونوفلُ بنُ مساحق القرشيُّ العامريُّ، ونوفلُ بنُ معاوية الديليُّ، صحابيون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. تاجُ العروس (١٩/ ١٩، ٢٠)، والاشتقاقُ (ص١٥٦)، مع الجمع والتصرف.

وقال ابنُ منظور: «النوفلُ: العطيةُ، والنوفلُ: السِّيدُ المعطاء يُشبَّهان بالبحر، قال ابنُ سِيْدَه: فدلَّ هذا على أنَّ النوفلَ البحر. ويقال للرجل الكثير النوفل، وهي العطايا: نوفل...». لسان العرب، مادة نفل.

(٢) البدايةُ والنهايةُ (٥/ ١٦٠).

(٣) انظر: فتح الباري (٥/ ١٦٧، ١٦٨)، باب رقم (١١).

(٤) أسلم كثيرٌ من هؤلاء الأسرى على فَتَرات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، منهم: العباسُ، عقيلُ، نوفلُ بنُ الحارث، سهيلُ بن عمر، وهبُ بنُ عمير، وغيرهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٥) مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٥٢)، والبدايةُ والنهاية (٥/ ١١٠)، والمنتظمُ (٣/ ١١٠).

للقتال، حيث تذكرُ الرواياتُ أنَّه لما خرجَ مشركو قريشٍ إلى بدر، أَخْرجُوا مَنْ كان بمكَّةَ من بني هاشم إلى بدر كُرهًا، وكان فيهم نوفلُ بنُ الحارث، فأنشأَ يقول:

حَرامٌ عَليَّ حَرْبُ أَحْمَد إنَّني ... أرى أحمدًا منِّي قَريبًا أواصِرُه

فَإنْ تكُ فِهْرٌ أَلَّبَتْ وتجمَّعت ... عليهِ فإنَّ اللهَ لا شكَّ ناصِرُه[١]

«افْدِ نَفْسَكَ يا نوفلُ»:

* تُداعبُ السِّيرةُ النَّوفليَّةُ نفوسَ المحبِّين، وتُكحِّلُ أعينَهم بمدادِ التَّربيةِ وجمال الأُبوَّة، ويفترُّ تغرُها عن دليلٍ بارقٍ من دلائلِ النُّبوَّة، وها نحنُ أولاء نستمتعُ بأنفاس البُنوَّة، حيث روى ابنُه الحارثُ بنُ نوفل مصداقَ ما ذكرناه فقال: «لما أُسِرَ نوفلُ بنُ الحارث ببدر، قال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افْد نفسَك يا نوفلُ**» قال: ما لي شيءٌ أفدي به نفسي يا رسولَ الله، قال: «**افدِ نفسَكَ برماحك**[٢] **التي بِجُدَّةَ**»، قال: واللهِ ما عَلِمَ أحدٌ أنَّ لي رماحًا بِجُدَّة غيري بعدَ اللهِ؛ ثم قال: أشهدُ أنَّك رسولُ الله، ففدى نفسه بها[٣]، وكانت ألفَ رمحٍ. وأسلمَ نوفلُ بنُ الحارث، وكان أسنَّ مَنْ أسلمَ من بني هاشم، أسنَّ من عمِّه

---

(١) المنتظمُ (٤/ ١٨٨). وتذكر روايات أخرى أنَّهم استكرهوا طالبَ بن أبي طالب وأخرجوه إلى بدرٍ؛ لقتالِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهنالك يقولُ طالب:

يَا ربّ إمَّا خرجُوا بطالب ... في مقْنب من هذهِ المقانب

في نَفر مقاتل يحارب ... فليكنِ المسلوبُ غير السَّالب

والراجعُ المغلوبُ غير الغالب

الدُّر المنثور (٧/ ٣٤)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٢٢٢)، مع الجمع بينهما.

(٢) «الرماحُ»: الرمحُ من السِّلاح معروفٌ، وجمعُهُ: أرماح، والكثير: رماحٌ، ورجل رمَّاح: صانعُ الرماح ومتّخذها، وحرفتُه الرماحة.

(٣) روتْ بعضُ مصادرِ التَّاريخ والتَّفسير والتَّراجم أنَّ سيدنا العباسَ بنَ عبد المطلب تكفَّلَ بفداء نوفلَ، حيث وردَ أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمِّه العبَّاسِ: «افد نفسك وابني أخيك -أو: أخويك- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة عمرو... ففدى نفسه، وابني أخويه، وحليفه...». مختصرُ تاريخ دمشق (١١/ ٣٣٠)، وتفسيرُ القرطبي (١٠/ ٨٠، ٨١)، وأسدُ الغابة (٥/ ٣٤٧)، مع الجمع بينها.

حمزةَ والعباسِ، وأسنَّ من إخوتِه ربيعةَ وأبي سفيان وعبدِ شمس بني الحارث، ورجع نوفلُ إلى مكة، ثم هاجرَ هو والعباسُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيَّام الخندق»(١).

سِحْرُ البَيان:

* تشيرُ أصابعُ البيان إلى أنَّ نوفلَ بنَ الحارث من فَصَحةِ بني هاشم وبلغائهم، ومن شُعراء آلِ البيتِ ونبلائهم، وله أنفاسٌ أدبيّةٌ أخَّاذةٌ بالألباب، وهمساتٌ جميلةٌ تدل على فَصْل الخِطَاب، ولهذا قال أهلُ اللسن والفصاحة: «أطيبُ الكلام نِظامًا ما عُجِنَ عنْبَرُ ألفاظِهِ بمسْكِ معانيه، ففَاحَ نسيمُ نَسْقِهِ، وسطعَتْ رائحةُ عبقِهِ، فتعطَّرت به الرُّواةُ، وتعلَّقت به السَّراة».

* ونَظْمُ نوفلَ وشِعرُهُ كعقودِ الجُمان في نحورِ الحِسَان، حيثُ جمعَ بين الحكمةِ والبيان، فاقرأْ هذه الأبياتِ التي تميسُ دلالًا كالأغصان، وقد شَدَا بها يوم أنْ أسلمَ ووجَّهَ وجْهَهُ للواحدِ الدَّيَّان:

إليكمْ إليكمْ إنَّني لَسْتُ منكمُ ... تبرَّأتُ من دين الشُّيوخ الأكابر
لعمركَ ما ديني بشيءٍ أبيعه ... وما أنا إذ أسلمتُ يومًا بكافر
شهدتُ على أنَّ النَّبيَّ محمدًا ... أتى بالهدى من ربِّهِ والبصائر
وإنَّ رسولَ الله يدعو إلى التُّقى ... وإنَّ رسولَ اللهِ ليس بشَاعر
على ذاكَ أحيا ثمَّ أبعثُ موقنًا ... وأُثْوى عليه ميتًا في المقابر(٢)

---

(١) روى ابنُ عساكر أنَّ العباس ونوفلًا وعقيلًا رجعوا إلى مكة، أُمِروا بذلك ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السِّقاية والرفادة يعني والرياسة، وذلك بعد موت أبي لهب، وكانت السقايةُ والرفادةُ والرياسةُ في الجاهلية في بني هاشم، ثم هاجروا بعد إلى المدينة، فقدموها بأهاليهم وأولادهم. مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١١٧).

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٢). ومما يُحسنُ أن نسوقَه ههنا، ما وردَ أن طالبَ بنَ أبي طالب مدحَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصيدة طويلة منها هذه الأبيات المونقة:

ومحضُ بني هاشم أحمد ... رسولُ المليكِ على فتره =

هجرتُه ومكانتُه:

* هاجرَ سيدنا نوفلُ أيَّامَ الخندق، أو بعدها بقليل، وآخى رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ عمِّه العبَّاس، وكانا شريكَيْن في الجاهليةِ، متفاوضَيْن في المالِ، متحابَيْن مُتَصافيَيْن.

* أخذَ نوفلُ مكانةً مرموقةً عند النَّبي ﷺ، وعند آباء الصَّحابة الهاشميين وغيرهم، فهو أسنُّ رجلٍ ممَّن دخلَ الإسلام من آلِ البيت الهاشميِّ، وأقطعَهُ النَّبيَّ ﷺ منزلًا عند المسجد في المدينةِ، أقطعَهُ وأقطعَ العبَّاسَ في موضعٍ واحدٍ، وفرَّعَ بينَهما بحائطٍ... وأقطعَ النَّبيُّ ﷺ أيضًا نوفلًا دارَهُ الأخرى عند السُّوق، وكان مِربدًا لإبلهِ، وقسمَها نوفلُ بين بنَيه في حيَاتهِ، وظلَّت ذريّتُه فيها إلى أيَّام القرن الثَّالث الهجريِّ[١].

* وفي مضمارِ الوقائعِ وميدانِ الغَزَوات كان نوفلُ من أهلِ السَّبق، فشهدَ مع النَّبيِّ ﷺ فتْحَ مكة، وحنينًا، والطَّائفَ، وثبتَ يومَ حنين مع رسولِ اللهِ ﷺ[٢]، فكان عن يمينه يومئذٍ، وأعانَ رسولَ الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**رأيتُ كأنّي أنظرُ إلى رماحكَ يا أبا الحارث تقصفُ أصلابَ المُشركين**»[٣]. وتابعَ سيدنا نوفلُ مسيرةَ العطاء هذه إلى أنْ جاءتْه سكرةُ الموتِ بالحقِّ.

= كريمُ المشاهد سمحُ البَنان ... إذا ضنَّ ذو الجود والقُدره
عفيفٌ تقيٌّ نقيُّ الرِّدا ... طهيرُ السَّراويل والوزره

الوافي بالوفيات (١٦/ ٢٢٢).

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٢، ٤٣)، بتصرف.

(٢) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ١٩٩).

(٣) الاستيعاب (ص٧١٧)، والسيرة الحلبية (٣/ ٦٢، ٦٣)، والتراتيب الإدارية (٢/ ٢٩).

«لأَكَلْتَ مِنْهُ مَا عِشْتَ»:

* لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزاتٌ كثيرةٌ مع أصحابه، ومع آلِ البيتِ من أقربائه الذين هم شموسُ المحاسن، ونجومُ السَّماء، فرضي اللهُ عنهم وأرضاهم.

* ومن المُعجزاتِ المباركةِ التي تخلَّلَتْ حياةَ سيِّدنا نوفلِ بنِ الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ تكثيرُ الطَّعام وبركُتُه، فقد أكلَ نوفلُ وعيالُه نصفَ سنة من طَعام أعطاهُ له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينقصْ منه شيئًا حينما وزَنَه، وهذا من دلائلِ النُّبوة، والتَّأييداتِ الإلهيَّة لهؤلاءِ الصَّحابة.

* أخرجَ البيهقيُّ والحاكمُ وغيرهما بسندٍ عن نوفلِ بنِ الحاث بنِ عبد المطلب أنَّه استعانَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّزويج، فأنكحه امرأةً، فالتمسَ شيئًا فلم يجدْهُ، فبعثَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا رافعٍ وأبا أيوبَ بدرعِهِ، فرهناهُ عند رجلٍ من اليهود بثلاثين صاعًا من شعير، فدفَعَهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه. قال: فَطَعِمْنَا منه نصفَ سنة، ثم كِلْنَاهُ فوجدناهُ كما أدخلناهُ، قال نوفلُ: فذكرتُ ذلك لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**لو لمْ تكِلْهُ لأكلْتَ منه ما عِشْتَ**»[1].

أبناءٌ فُضَلاءُ أكابرُ:

* كان إسلامُ هذا الأبِ إسلامَ المُحبّين العارفين قَدْرَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد شرعَ يعملُ على نصرة دينِ الله، ويربِّي أولادَه وذريْتَه على كريمِ الخلالِ، وجميل الخصالِ، وحميدِ الفعال، فنعموا معه بصحبةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وشهدَ بهذا الفضل ابنُ كثير حينما تكلَّم عن سيِّدنا نوفل فقال: «وخلَّف عدَّة أولاد فُضَلاء أكابر»[2].

---

(١) دلائلُ النبوة للبيهقي (٦/ ١١٤)، والمستدرك (٣/ ٢٤٦)، وانظر أيضًا: إمتاع الأسماع (٥/ ١٩٠)، وغيرها كثير.

(٢) البدايةُ والنهايةُ (٩/ ٦٧٢).

* ومع أَنْباءِ نُجباءِ الأبناء والآباء؛ نطوفُ في بساتين ورياضِ سيرتهم كيما نتعرفَ شذراتٍ من حياةِ أبناءِ نوفل بنِ الحارث الهاشميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* ولنبدأ الآنَ في اقتطافِ أزاهر الطُّرفِ من أناملِ أغصانِ المعرفة، وندخلْ رحابَ أبناءِ نوفل، ونلتقي ابنه الحارثَ بنَ نوفل القرشيَّ الهاشميَّ، فقد صحبَ هذا الابنُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلمَ وهو رجُلٌ عند إسلامِ أبيهِ نوفل، وكان الحارثُ هذا سِلْفَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كانت أمُّنا أمُّ حبيبة بنتُ أبي سفيان عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت هندُ بنتُ أبي سفيان عند الحارثِ، وولدَتْ له ابنُه عبدُ الله بنُ الحارث[(١)]، فأُتِيَ به رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحنَّكَهُ، ثمَّ دعا له[(٢)].

* روى عبدُ الله عن أبيه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمهم الصَّلاة على الميِّت: «**اللهمَّ اغفرْ لأحيائنا وأمواتنا، وأصلحْ ذاتَ بيننا، وألِّفْ بين قلوبنا، اللهمَّ هذا عبدُك ولا نعلمُ إلا خيرًا، وأنتَ أعلمُ به، فاغفرْ لنا وله**». فقلتُ وأنا أصغرُ القوم: فإنْ لم أعلمْ خيرًا؟ قال: «**فلا تقلْ ما لا تَعلَمُ**»[(٣)].

* ومن أكابرِ الأسرةِ النَّوفلية؛ ابنُه عبدُ الله بنُ نوفل، وُلِدَ على عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يُشَبَّه برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)]، وقد وَلِيَ القضاء بالمدينةِ أيام سيِّدنا

---

(١) نقلَ الذَّهبيُّ عن الزُّبير بنِ بكار أنَّه قال عن عبدِ الله بن الحارث: «هو ابنُ أختِ معاويةَ بنِ أبي سفيان، واسمها هند، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين». سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٠). وأضافَ الذَّهبيُّ بقولِهِ عن عبدِ الله هذا: «وحديثُهُ في الكتب السِّتة، وكان كثير الحديث». سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠١).

وقال الذهبيُّ أيضًا عنه: «السَّيدُ، الأميرُ، أبو محمد القرشيُّ الهاشميُّ المدني... لأبيهِ ولجدِّه صحبةٌ... وكان من سادةِ بني هاشم، يصلحُ للخلافة لِعلْمه وسؤدده...» سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٩-٥٣١) بتصرف.

(٢) نقلُ ابن حجر عن ابن سعد: «أنَّه لما وُلد عبدُ الله بنُ الحارث؛ أتت أمَّه هندُ إلى أختِها أمِّ حبيبة، فدخلَ عليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**مَنْ هذا يا أمَّ حبيبة؟**» قالت: هذا ابنُ عمِّك، وابنُ أختي، فَتَفَلَ في فيهِ، ودعَا له. وكان ثقة، كثيرَ الحديث، وهو من فقهاء المدينة» تهذيب التهذيب (٥/ ١٨١).

(٣) أسدُ الغابة (١/ ٦٤٢، ٦٤٣)، وإمتاع الأسماع (٦/ ١٥٧)، مع الجمع والتصرف.

(٤) وممن يُشبَّه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم: جعفرُ بن أبي طالب، والحسنُ بن علي، وأبو سفيان بنُ الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بن عبيد، والله أعلم.

معاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو أوَّلُ مَنْ وَلِيَ القضاءَ بالمدينة. قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «هذا أوَّلُ قاضٍ رأيتُه في الإسلام»[١].

* ويُذكَرُ المغيرةُ بنُ نوفل فيمن وُلدَ على عهدِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مكَّةَ قَبْلَ الهجرة، ويكنى: أبا يحيى، تزوَّجَ أمامةَ بنتَ أبي العاص بنِ الربيع، وأمُّها زينبُ بنتُ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. كان قاضيًا في زمنِ سيِّدنا عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان أيِّدًا -شديدَ القُوّة-، ويروى أنَّ عبدَ الرحمن بنَ مُلْجم المراديَّ لَمَّا ضربَ سيِّدنا عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على هامتِهِ بسيفه، هَمَّ النَّاسُ به، فحملَ عليهم بسيفِهِ، فأفرجوا له، فتلقَّاهُ المغيرةُ بنُ نوفل بقطيفةٍ فرماها عليه، واحتمله وضربَ به الأرض، وقَعَدَ على صدره، وانتزعَ سيفه، وحبسَه حتَّى مات عليٌّ، فقُتِلَ ابنُ مُلْجَم. وللمغيرة بنِ نوفل روايةٌ وأخبار مسطورة في كتب التَّراجم والطَّبقات[٢].

* ولسيدنا نوفلُ أيضًا أبناءُ نجباءُ أَلِبَّاءُ فضلاءُ، ومنهم: سعيدٌ، وكان فقيهًا، وعبيدُ الله، وعبدُ الرَّحمن، وربيعةُ. كما كان له بناتٌ وهُنَّ: أمُّ سعيد، وأمُّ المُغيرة، وأمُّ حكيم... وأبناؤُه جميعُهم ذوو نباهةٍ وشَأْن في تاريخ الإسلامِ، قال ابنُ سعد: «ولنوفلِ ابنِ الحارث عقبٌ كثيرٌ بالمدينةِ والبصرةِ وبغدادَ»[٣].

فائدةٌ قبلَ الوَدَاع:

* قد عرفْنا أنَّ سيِّدنا نوفلَ بنَ الحارث من فرع ثَبَتَ أصلُه فنَمَا، وزكَا نَسَبُه جَدًّا وأَبًا وابْنُمَا، إذ قدَّم لمحبِّي آلِ البيت والصَّحابةِ صورةَ الأُبوَّة في حُلَل الفائدة، وثيابِ العلْم، ودثارِ المعرفة.

---

(١) التبيين (ص٨١، ٨٢)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٤١)، والعقد الثمين (٧/ ٣٥٢).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٥٤٠)، والتبيين (ص٨٠، ٨١)، مع الجمع والتصرف، وانظر: العقد الثمين (٧/ ٣٥٢-٣٥٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٤١).

* أخرجَ أبو نُعيم عن ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ نوفلًا قال لابنَيهِ: انطلقا إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلَّه يستعملكما على الصَّدقات، فقال لهما النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أُحِلُّ لكم أهلَ البيت من الصَّدقات شيئًا، ولا غسَالة الأيدي، إنَّ لكم في خُمسِ الخُمس ما يكفيكم، أو ما يُغنيكم**»[(١)].

* ويعدُّ سيدنا نوفلُ من رجالِ آل البيت المُعمَّرين، وظلَّ إلى أوائلِ الخلافة الرَّاشدةِ، وماتَ في المدينةِ في دارِه سنةَ خمس عشرة من الهجرة؛ بعد أَنِ استُخْلِفَ سَيِّدُنا عُمر بنُ الخطَّاب بسنةٍ وثلاثةِ أشهر، فصلَّى عليه عمرُ، ثم تبعَه إلى البقيعِ، ووقَفَ على قبرِه حتَّى دُفِن[(٢)]. ولَعَمري إنَّ هذا لهو الشرَّفُ والعزُّ والسَّعْدُ...:

شَـرفٌ يطـلُّ على السِّـماكِ وسُـؤددٍ كـالصُّبـح لا يَسـعُ الـعِـدا إنكارهُ

* رضي الله عن نوفل بنِ الحارث القرشيّ الهاشميِّ، ورضي عن أبنائِهِ، وعن سائر الصَّحابةِ أربابِ الفضائلِ التي لا تنكرُ، وفي مقدمتهم أبي بكر وعُمر، وجعلنا ممَّن يأمرونَ بالمعروف وينهونَ عن المُنكر.



(١) معرفةُ الصحابة برقم (٦٤٣٠)، وانظر: أسد الغابة (٥/ ٣٤٧).

(٢) الاستيعابُ (ص٧١٧)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٤٣)، مع الجمع بينهما، وانظر: ألف باء للبلوي (١/ ٨١).

أَبو سُفْيانَ بنُ الحَارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* ابنُ عمِّ النَّبيِّ وأخوُهُ منَ الرِّضَاعة.
* كان شَاعرًا مجيدًا وكان يشْبُهُ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
* له أبناءٌ وبناتٌ من الصَّحابة وله روايةُ حديث.
* تزدانُ كتبُ التَّراجم بأخبارِهِ النَاصعةِ وماتَ سنة (٢٠هـ).

أَبو سفيانَ بن الحَارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ:

* أحصى أهلُ العِلْم ومحبّو أهلِ البيتِ أسماءَ أبناء عمِّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانتْ خلاصةُ أقوالهم: «أولادُ عمِّه الذكور: خمسةٌ وعشرون، اثنان منهم لمْ يُسْلِما، وهما: طالبُ ابنُ أبي طالب، وعُتيبةُ بنُ أبي لهب، والباقون أسلمُوا، لهم صحبةٌ... ثلاثةُ أبناءٍ لأبي طالب، وهم، عقيلُ، جعفرُ، وعليٌّ. وعشرةٌ للعَّباس وهم: الفضلُ، عبدُ الله، عبيدُ الله، قُثَمُ، عبدُ الرحمن، معبدُ، كثيرُ، الحارثُ، عونٌ، وتمامُ. وخمسةٌ للحارثِ وهم: أبو سفيان، نوفلُ، ربيعةُ، المغيرةُ، وعبدُ شمس. واثنان لحمزةَ وهما: عمارةُ، ويعلى. واثنان لأبي لهب وهما: عتبةُ، ومعتِّبُ. وواحدٌ للزُّبير وهو: عبدُ الله»[1].

* أما بناتُ عمِّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإناث ممَّن أسلمنَ، ونِلْنَ شَرفَ الصُّحبة؛ فهنَّ عشْرُ نساءٍ، ابنتان لأبي طالب وهما: أُمُّ هانئ، وجمانةُ. وثلاثٌ للعباس وهنَّ: أمُّ حبيب، وصفيةُ، وأمينةُ. وابنتان للزُّبير وهما: ضباعةُ، وأمُّ الحكم. وبنتٌ للحارث، وهي: أروى. وبنتٌ لحمزةَ، وهي: أمامةُ. وبنتٌ لأبي لهب، وهي: دُرَّة[2].

* نداعبُ الآن أجفانَ المصادر، ونتكلَّمُ عن واحد من أبناء عمِّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيثُ نالَ مرتبةَ الصَّحابة مع ابنهِ وأهله، ولْنُبعِدِ الآن النَّصيفَ عن وجْهِ الكتب حتَّى نطالعَ سيرةَ أبي سفيان بنِ الحارثِ بنِ عبد المطلب القرشيّ الهاشميّ[3]. وقيل اسمُه:

---

(١) ذخائرُ العقبى (ص٤١٥، ٤١٦)، بتصرف.

(٢) ذخائرُ العقبى (ص٤١٦).

(٣) تهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ٢٣٩)، وصفةُ الصفوة (١/ ٥١٩-٥٢١)، والمستدركُ (٣/ ٢٥٤-٢٥٧)، وأسدُ الغابة (٦/ ١٥١-١٤٣)، وعشراتٌ غيرها مما لا يُحصى.

المغيرةُ، وقيل: أبو عبد الملك. ولأبي سفيان بنِ الحارث أبناء منهم: جعفر بن أبي سفيان، وعبد الله، وغيرهما.

* قال محبُّ الدِّين الطَّبريُّ المكيُّ: «أبو سفيان بنُ الحارث، ابنُ عمِّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخوهُ من الرَّضاعة، أرضعتْهُما حليمةُ السَّعديةُ... وكان له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الولد: عبدُ الله بنُ أبي سفيان القرشيُّ الهاشميُّ، رأى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروى عنه، وكان معه مُسلمًا بعد الفتح. وجعفرُ بنُ أبي سفيان؛ شهدَ حُنينًا مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يزلْ مع أبيهِ مُلازمًا لرسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى قُبِضَ، وتوفي جعفرُ في خلافةِ سيِّدنا معاويةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وجمانةُ، وحفصةُ، وأميةُ، وأمُّ كلثوم، وعاتكةُ بنت أبي سفيان بن الحارث، تزوَّجَها معتِّبُ بنُ أبي لهب؛ فولَدَتْ له»(١).

* يلفتُ الأنظارَ في سيرةِ هذا الأب أنَّ اسمه يشبِهُ اسمَ أبي سفيان بنِ حرب، فإنْ قيل: أبو سفيان؛ ينصرفُ الذِّهنُ مباشرةً إلى سيدنا أبي سفيان بنِ حرب والد أمِّنا أمِّ حبيبة ومعاويةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وذلك لشهرتهِ في عالَمِ التَّاريخ الإسلاميّ والسِّيرة النَّبويَّة، ولشهرة أولادهِ في عالَمِ ملوكِ الإسلام والفاتحين والقادة.

أسمارٌ سفيانيةٌ وأثمارٌ هاشميةٌ:

* يدخلُ المُحِبُّ المنصفُ روضَ السيرةِ السُّفيانيةِ الهاشميةِ، فيجدُ عبقَ الفوائد تعطِّر الأذهان، ويدركُ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد اختارَ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابًا كرامًا، خيارًا بررةً، وآباءً مجاهدين صادقين مع أبنائهم؛ من هاشم، ومن غيرهم.

* ومن البدهي، أنَّ أبا سفيان كان من أترابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وُلدَ معهُ في الليلةِ التي وُلِدَ فيها حبيبُنا وسيدنا محمدٌ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، وكانا أخوَيْنِ من الرَّضاعة؛ أرضعتْهما حليمةُ بنتُ عبد الله بن الحارث السَّعدية.

---

(١) ذخائرُ العقبى (ص٤٠١، ٤٠٤)، باختصار وتصرف. وانظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٤٥).
(٢) انظر: المنمق (ص٤٢٤).

* نشأَ أبو سفيان مُصادقًا مُصافيًا لابنِ عمِّه محمدٍ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان كثير الجلوسِ معه، فقد ذكرَ ابنُ عبد البرِّ أنَّه كان يأكلُ مع النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سُفْرة لهما[1].

* كان أبو سفيان جميلَ الصُّورة، بهيَّ الطَّلعة، ذا مكانةٍ في بني هاشم، وهو ممَّن تأثَّلَ مجدهُ في بحبوحة الشَّرف، وتبوأَ من السِّيادة أسنى الغُرف، ارتوت أصولُه بسلسبيل النُّبوّة، وتعطَّرتْ نفسُه بعبير الأخوّة... كما كان فصيحًا لبيبًا، وكان نديًما لعمرو بنِ العاص السَّهمي القُرشيّ[2]، وما أدراك ما عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* ولما نزلَ الرُّوحُ الأمينُ، بأمرِ الرسالةِ من ربِّ العالمين، على الصَّادقِ الأمين محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقفَ أبو سفيان هذا موقفَ العداء، وظَاهرَ على ابنِ عمِّهِ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاتَّبعَ هواه، وكان من بني هاشم من المجاهرين بالظُّلم[3]، وجعلَ الشَّيطانُ يعبَثُ بهِ، ويزِّينُ له الإعراضَ والصُّدود، فَسَلَكَ طريقَ العداء، وتمثَّلَ له الغرورُ بكلِّ سبيل.

أبو سفيان وحَسَّان:

* كان أبو سفيان بنُ الحارث من شعراء بني هاشم، وكان يهجو المسلمين، فيتصدَّى له حسَّانُ بنُ ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويردُّ عليه، وإيَّاهُ عنَى بقولهِ في قصيدته الهمزية التي يمدحُ خلالَها النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويهجو أبا سفيان:

أَلا أبلغْ أبا سفيان عني ... مُغَلْغَلةً فقد برحَ الخَفَاءُ
هجوتَ محمّدًا فأجبتُ عنه ... وعند اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

---

(١) الاستيعابُ (ص٢٧٠).

(٢) انظر: المنمق في أخبار قريش (ص٢٦٧).

(٣) كان المجاهرون بالظلم لرسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكلِّ مَنْ آمنَ به، من عدّة قبائل، فمن بني هاشم: عمَّه أبو لهب، وابنُ عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب... الدرر (ص٤٤)، بتصرف.

لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيبَ فيه وبحري لا تكدّرهُ الدلاءُ[(١)]

* وكان أبو سفيان قد هجا حسَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال:

ألا مبلغٌ حسَّانَ عنّي رسالةً فخلتُكَ منْ شرِّ الرجال الصَّعالك

أبوكَ أبو سوءٍ وخالكَ مثلُه فَلَسْتَ بخير من أبيك وخالك[(٢)]

* شهدَ لأبي سفيان بالشَّاعرية والفحولةِ شاهدٌ من أهلِ الشِّعر واللسَنِ والفصاحةِ، وهو حسَّانُ بنُ ثابت فقال: «ما قاذَفني من قريش أشعرَ من أبي سفيان بنِ الحارث، ما هو إلا أنْ سمعتُ شعرَه، فعلمتُ أنَّه قد قاذَفَني بضعة منّي، وأنَّ شعرَ بني النَّجار قد دَخَله»[(٣)].

شَاعِرٌ فِطَحْلٌ:

* يلمسُ المتذوِّقُ لأدبيَّاتِ بني هاشم؛ أنَّ أبا سفيان بنَ الحارث من شعرائهم الفَطَاحل الذين آتاهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بسطةً في الفصاحة، وحلاوةَ الكلمات، وطلاوةَ العبارات، من أمثلة ذلك قولُه في معرفةِ أمْر الجنَّة والنَّار، والإيمان بالله، وتبصره الحقّ والنور:

وبالغيبِ آمنَّا وقد كان قَومُنا يصلُّون للأوثانِ قَبْل محمّدِ

* ومِمَّا قالَ في الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي بيَّنَ دينَ الإسلام:

لقد نطَقَ المأمونُ بالصِّدقِ والهدى وبيَّنَ لنا الإسلامَ دينًا ومنهجًا

* واقرأْ هذهِ القَبْسَةَ الجميلةَ عن عظيمِ حلْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ على قريش على الرَّغم من إعراضِهم عن الحقِّ:

---

(١) انظر: القصيدة كاملةً في شرح ديوانِ حسَّان بن ثابت (ص١-١٠). أخرجَ ابنُ جرير الطَّبريُّ عن أمِّنا الصِّديقةِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها قالت: «ما سمعتُ بشيءٍ أحسنَ من شِعْرِ حسَّان، وما تمثلتُ به إلا رجوتُ له الجنَّة؛ وقوله لأبي سفيان بن الحارث: هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه... الأبيات... فقيل: ياأمَّ المؤمنين: أليس هذا لغوًا؟ قالت: لا، إنَّما اللغو ما قيلَ عند النِّساء». تفسير الطبري (١٧/ ١٩٣).

(٢) المغازي (ص٨٠٦).

(٣) التبيينُ في أنساب القرشيين (ص٨٤).

عجبْتُ لحلْمِ اللهِ عنَّا وقد بدا   له صَدْفُنا عن كلِّ حقٍّ مُنزَّلِ

❊ ومن بدائعِ شعره المتضمن نفائسَ المحاسن، وأزاهرَ البيان، قولُه يمدحُ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يدعو إلى الحقِّ لا يبغي به بدلا   يجلو بضوءِ سناهُ داجيَ الظُّلم

❊ وكان أبو سفيان منَ المُجلِّين في ميدانِ الفخر، وهو الذي يفخرُ بهذه الخصائلِ المشتملةِ على عُلْيا الفضائل:

لقد علمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ   بأنَّا نحنُ أجودهُم حِصَانا

وأكثرُهُم دروعًا سابغاتٍ   وأمضاهم إذا طعنُوا سنَانا

وأدفعُهم لدى الضَّراء عنهم   وأبينُهم إذا نطقُوا لِسَانا(١)

هذا ابنُ عمٍّ ذاكَ:

❊ هذا الأبُ من أعيانِ السَّادات، وساداتِ الأعيان، وله منقبةٌ مُشْرِقَةٌ ميمونةٌ وهي أنَّه ممَّن يُشَبَّهُ بالنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش، بل منْ بني هاشم. والمشبَّهون برسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم نَفَرٌ منهم: الحسنُ والحسينُ، وجعفرُ بنُ أبي طالب، وعبدُ الله ابنُ نوفل بنِ الحارث، ومسلمُ بن معتِّب بنِ أبي لهب، والسائبُ بنُ يزيد، وقُثَمُ بنُ العبَّاس...(٢).

❊ أخرجَ ابنُ سعد عن عبدِ الله بنِ الحارث بنِ نوفل، أنَّ أبا سفيان بنَ الحارث كان يُشَبَّهُ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّه أتى الشَّامَ، فكان إذا رُئيَ قيلَ: هذا ابنُ عمِّ ذاكَ الصَّابئ، لِشِبهِهِ بهِ(٣).

---

(١) الاستيعاب (ص٨١٢).

(٢) انظر: المنمق (ص٤٢٤، ٤٢٥)، والاستيعاب (ص٨١١). وللمزيد من بحث المشبَّهين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انظر كتابنا: رجال أهل البيت (ص٥٧٨-٥٨٠).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٧).

* وقد أثبتَ أبو سفيان هذا الشَّبه في شعره لما أسلمَ فقال:

هَـدَانـي هَـادٍ غـير نفسي ودلَّـني   علـى اللهِ مَـنْ طـرَّدتُ كـلَّ مُطَرّد

أفـرُّ وأنـأى جاهـدًا عـن محمدٍ   وأُدعـى وإنْ لم أنتسبْ بمحمد

يعني شِبْهه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

* أمَّا عن شَبَه أبي سفيان بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن وقوعِ الإسلام في قَلْبه وهو عند مَلِكِ الرُّوم، نقرأُ هذه الأقصوصة: «هربَ أبو سفيان، وقدمَ على قيصرَ مَلِكِ الرُّوم، فقال: ممَّنْ أنتَ؟ فانتسبَ له أبو سفيان بنُ الحارث بنِ عبد المطلب، قال قيصرُ: أنتَ ابنُ عم محمد إنْ كنتَ صادقًا محمّد بن عبد الله بنِ عبد المطلب. قال: نعم، أنا ابنُ عمّه. قال أبو سفيان: لا أراني عند ملكِ الروم وقد هربتُ من الإسلام، لا أُعرفُ إلا بمحمّد! فدخَلَني الإسلام، وعرفتُ أنَّ ما كنتُ فيه باطلٌ منَ الشِّرك، ولكنَّا كُنَّا مع قوم أهلِ عقول باسقةٍ، وأرى فاضلَ النَّاس يعيشُ في عقولهم ورأيهم، فسلكُوا فجًا فَسَلكْنَاه...»[٢].

أبو سفيان ويوم بَدْر:

* خرجَ مشركو قريش إلى بدر، وتخلَّفَ بنو هاشم، فلم يخرجْ منهم أحدٌ، فأشارَ الخبيثُ أبو جهل على قريش ألا يخلِّفوا بني هاشم في مكةَ، فرجعُوا إليهم، فأخرجوا العباسَ بنَ عبد المطلب، ونوفلًا، وطالبًا، وعقيلًا، وأبا سفيانَ بن الحارث كرهًا، لذلك قالَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابِهِ يومَ بدر: «**مَنْ لقي منكم العبَّاس، وطالبًا، وعقيلًا، ونوفلًا، وأبا سفيان، فلا تقتلوهم، فإنَّهم أُخرِجُوا مكرهين**»[٣].

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٨).
(٢) المغازي (ص٨١١، ٨١٢) بتصرف يسير جدًا.
(٣) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٩) بتصرف.

* دارت رحى المعركة، وبدأتْ علائمُ الهزيمةِ على صفوفِ المشركين يوم بدر، وقذفَ اللهُ في قلوبهم الرعبَ، وجعلَ المسلمون يقتلونَ فريقًا، ويأسرون فريقًا، بينما لاذَ الباقون بالفرارِ طلبًا للنَّجاة لا يلوون على شيء.

* كان المشركون في مكةَ يتسقَّطون أخبارَ المعركةِ، فجاء مَنْ أخبرهم بالهزيمة، وقَتْل أكابرهم، فلم يصدقوا، حتَّى جاء أبو سفيان بنُ الحارث، فأشارَ النَّاس؛ أنْ هذا أبو سفيان قد قدمَ، فناداهُ أبو لهب: هلمَّ إلي يا ابنَ أخي؛ فأخبرني كيفَ كان أمرُ النَّاس، فقال أبو سفيان: «لا شيءَ؛ واللهِ إنْ هو إلَّا أنْ لَقينا القومَ، فَمَنَحْنَاهم أكتافَنَا يقتلوننا كيفَ شاؤوا، ويأسروننا كيفَ شاؤوا، وأَيمُ اللهِ معَ ذلك ما لُمْتُ النَّاس، لَقينَا رجالًا بيضًا على خيلٍ بُلْق بين السَّماء والأرض، واللهِ ما تليقُ شيئًا، ولا يقومُ لها شيءٌ...»[1].

يا رسولَ اللهِ ابنُ عَمِّكَ:

* مرَّ قرابةُ عقدَيْن من الزَّمن، وهذا الأبُ معرضٌ عن دينِ اللهِ، بل كان مُباعدًا للإسلام، شديدًا على مَنْ دخلَ فيه، ولما تحرَّكَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخروج إلى فتحِ مكَّةَ، ألقى اللهُ عَزَّوَجَلَّ الهدايةَ والإسلامَ في قلبِ أبي سفيان، ورأى بعين بصيرته أنَّه مخطئٌ، وقال: «مَنْ أصحبُ، ومع مَنْ أكونُ؟»، فجاء إلى زوجتِهِ[2] وأبنائِهِ وقال لهم: «تهيّؤوا للخروجِ فقد أظلَّ قدومُ محمد»، فقالوا له: «قد آنَ لكَ أنْ تبصرَ أنَّ العربَ والعجمَ قد تبعتْ محمدًا؛ وأنتَ موضعٌ في عداوتِهِ، وكنتَ أولى النَّاس بنصرته»، ثم أمرَ غلامه أنْ يأتيَ ببعضِ الجِمَالِ وفرسٍ، وخرجَ أبو سفيان، وعبدُ الله بنُ أبي أمية، ولقيا رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين مكَّةَ والمدينةِ، والتَمسَا الدخولَ عليه، فأعرضَ عنهما في أوَّلِ الأمر تأديبًا لهما، فطَلَبا

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٦٧، ٦٨).

(٢) هي جمانةُ بنتُ أبي طالب، وأمها فاطمةُ بنتُ أسد بن هاشم، تزوَّجها ابنُ عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فولدتْ له جعفرَ بنَ أبي سفيان، وأطعمها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خيبر ثلاثين وسقًا. طبقات ابن سعد (١٠/ ٤٨).

منْ أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنين أنْ تكلِّمه، فكلَّمَتْه أمُّ سلمة فيهما، وقالت: «يا رسولَ اللهِ، ابنُ عمك، وابنُ عمتك وصهرك»، قال: «**لا حاجةَ لي بهما...**»، فلما خرجَ الخبرُ إليهما، ومع أبي سفيان بُنيٌّ له قال: «واللهِ لتأذَنَّ لي، أو لآخذنَّ بيد بُنيَّ هذا، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموتَ عطشًا وجوعًا». ثمَّ قالت أمُّ سلمةَ لرسولِ اللهِ ﷺ: «لا يكن ابن عمَّك وأخي ابن عمتك أشقى النَّاسِ بك»(١).

* نصحَ سيدنا عليٌّ لابنِ عمه أبي سفيان فقال: «يا أبا سفيان ائتِ رسولَ اللهِ ﷺ من قِبَلِ وجههِ، فقل له ما قال إخوةُ يوسفَ ليوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١]، فإنَّه لا يرضى أن يكونَ أحدٌ أحسنَ قولًا منه»، ففعلَ ذلك أبو سفيان، فقال له حبيبنا رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]، وأذنَ لهما رسولُ الله ﷺ، ورقَّ قلبُه الشَّريف، وقَبِلَ منهما، فأَسْلَما وشهدا شهادةَ الحقِّ، وأنشدَهُ أبو سفيان قولَه في إسلامه، واعتذارَه ممَّا كان مضى منه:

لما أتَتْ مِنْ بني عمِّي مُلمْلَمة ... تدعو إلى الحقِّ عندَ الحقِّ والكرمِ
هتفتُ لبَّيكَ مِنْ داعٍ وقلتُ له ... واهًا لذلكَ مِنْ داعٍ ومن حَكَمِ
أكرمْ بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم ... إذا تفرَّقَتِ الأشياءُ في الأممِ
يدعو إلى الحقِّ ميمونًا نقيبتُه ... يجلو بضوءِ سناهُ داجيَ الظُّلَمِ

* وأنشده أيضًا قصيدتَه الدَّالية الشَّهيرة وأوّلها:

لعمركَ إنّي يومَ أحملُ رايةً ... لِتَغْلبَ خَيلُ اللاتِ خيلَ محمد(٢)

---

(١) وقد أجاد الناظم في عمود النسب لما أشار إلى هذه القصة فقال:

وللنَّبي عَرضَ ابنُ عمّته ... ونجلُ عمِّه عزيزٌ فئنه
وعنهما أعرضَ جرًّا مَأْثَمُهْ ... فاستشفعا له بأمّ سلمه

(٢) انظر: معرفة الصَّحابة برقم (٦٢٣١)، والاستيعاب، والمنتظم (٤/ ٢٠١)، وإنارة الدجى (ص٦١٠-٦١٣)، وذخائر العقبى (ص٤٠٢)، مع الجمع والتصرف. =

أبو سُفْيَان وابنُـه:

* لرضاءِ حبيبنا رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي سفيان وابنِهِ جعفر قصةٌ ماتعةٌ، مفادُها: «أتى أبو سفيان بنُ الحارث النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه ابنهُ جعفر، وكانا مُعْتَمَّين، فلمَّا انتهيا إليهِ قالا: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْفِروا تُعرفوا**»، فانتسَبَا له، ثمَّ كَشَفا عن وجهيهما، وقالا: نشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّكَ رسولُ الله، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيَّ مُطرَّدٍ طرَّدتَني يا أبا سفيان؟**»، أو: «**متى طردتني يا أبا سفيان؟**»، قال: لا تثريبَ يا رسولَ الله، قال: لا تثريبَ يا رسولَ الله، قال: «**لا تثريبَ يا أبا سفيان**»، ثمَّ قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيِّدنا عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بَصِّر ابنَ عمَّك الوضوءَ والسُّنَّةَ، ورُحْ بِهِ إليَّ**»، ففعل عليٌّ، وراحَ به إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلَّى معه، فأمرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا فنادى في النَّاس: «ألا إنَّ اللهَ ورسولَه قد رضيا عن أبي سفيان، فارضوا عنه»(١).

أخبارٌ ومآثرُ ومعَالمُ:

* منذ أنْ دخَلَ أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَرْحَ الإسلام؛ تبوَّأ منزلةَ الأمناءِ عند ابن عمِّه رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان ممَّن جعلَهم على مغانمِ مغازيهِ، واستعملَهم عليها، فعن سعيدِ بنِ المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبى يومَ خيبر ستَّة آلاف بين امرأةٍ وغلام، فجعلَ عليها أبا سفيان بنَ الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢). وأطعم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= ولخَّصَ الذهبيُّ الأقصوصة السُّفيانية فقال: «تلقَّى النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطَّريق قبل أنْ يدخلَ مسلمًا، فانزعجَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعرضَ عنه، لأنَّه بدَّتْ منه أمورٌ في أذيةِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتذللَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتّى رقَّ له، ثم حَسُنَ إسلامُه، ولزمَ هو والعباسُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ حنين، إذ فرَّ النَّاسُ، وأخذَ بلجام البغلة، وثبت معه». سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٣).

(١) طبقاتَ ابن سعد (٤/ ٤٨) بتصرف يسير.

(٢) إمتاعُ الأسماع (٩/ ٢٩٥).

أبا سفيانَ بنَ الحارث بخيبر مئة وسقٍ كلَّ سنة[١].

❊ ومن أخبارِ أبي سفيان ومعالمِ شخصيته أنَّه نَقَلَ الحديث النَّبويَّ، وأخرجَ له ابنُ قانع بسنده عنه، أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **لا يُقدِّسُ على قوم لا يأخذُ الضَّعيفُ حقَّه منَ القويِّ غير مُتَعْتَعٍ**»[٢].

❊ وروى عنه ابنُه عبد الملك بنُ أبي سفيان حديثًا أخرجَه أبو نُعيم، وهو: «**يا بني هاشم، إيّاكم والصَّدقة، لا تعملُوا عليها، فإنَّها لا تصلحُ لكم، وإنَّما هي أوساخُ النَّاس**»[٣].

أَسدُ اللهِ الوفيّ:

❊ خالطَتْ محبةُ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَلْبَ أبي سفيان، وغدتْ ستورُ الحياء تجلِّلُه، حتى قيل: «إن أبا سفيان ما رفعَ رأسه إلى النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حياءً منه»[٤].

❊ كان سيدنا أبو سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من آباءِ الصَّحابة الهاشميين المِقدامين المغاوير، وله صوتٌ مسموعٌ في المعارك، وخصيصى حينما يشتدُّ البأسُ، وتحمرُّ الحدق.

❊ ذكر أهلُ العلْم بالتَّاريخ والسِّير، أنَّ أبا سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ شهدَ فتح مكَّة، ثم غزاة حُنين مع ابنه جعفر، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكان ممَّن ثبتَ يومَها مع النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم تفارقْ يدُهُ لجامَ بغلةِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -أو: غرزه[٥]- حتى انصرفَ النَّاسُ إليه.

---

(١) المغازي (ص٦٩٤)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٤٩).
(٢) معجمُ الصحابة (٣/ ٨٨، ٨٩)، برقم (١٠٥٠)، المستدرك (٣/ ٢٥٦)، الإصابة (٧/ ٨٧).
(٣) معرفةُ الصحابة برقم (٦٢٣٤).
(٤) الإصابةُ (٧/ ٨٧).
(٥) مشارعُ الأشواق (ص٩٦٣).

* وقد أشارَ النَّاظمُ إلى بعضِ مَنْ ثبتَ مِنَ الصَّحابة، وآلِ البيت مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ حُنين فقال:

وثَـبـتَـتْ مـع الـنَّـبيِّ طَـائـفَـهْ ... مِـنْ أَهْـلِ بـيـتـه وممَّـن أُلـفَـهْ

حَـيـدَرَةٌ والـعُـمـرانِ وأَبـو ... سُـفـيـانَ جـعـفـرُ ابـنُـه المنتخبُ

وعـمُّـه ربـيـعـةُ الـعـبَّـاسُ ... وفَـضْـلُـه أسـامـةُ الأكـيـاسُ(١)

* وعن صَبْرِهِ وثباتِهِ يومَ حنين نقرأُ ما أخرجَه أبو نُعيم بسنده عن جابرٍ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما اجتلدَ النَّاسُ يومَ حنين، التفتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي سفيان ابنِ الحارث بنِ عبد المطلب -وكان ممَّنَ صبرَ يومئذٍ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان حسنَ الإسلام حينَ أَسْلَمَ- وهو آخذٌ بثغرِ بغلتِهِ، فقال: «**مَنْ هذا؟**» قال: أنا ابنُ أُمِّك يا رسولَ الله»(٢).

* وأخرجَ أبو نُعيم أيضًا عن ربيعةَ بنِ الحارث بنِ عبد المطلب؛ أنَّ رسولَ الله قال لأبي سفيان بنِ الحارث حين قال ذلك -أي: أنا ابنُ أمِّكَ يا رسولَ الله-: «**ابنُ أمّي وخيرُ أهلي**»(٣).

* وفي روايةٍ أخرى؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أبو سفيان خيرُ أهلي**»، أو: «**منْ خيرِ أهلي**»(٤).

---

(١) إنارةُ الدجى (ص٦٨٠، ٦٨١)، وقوله: «حيدرة»: لقبُ سيدنا عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. و«العُمران»: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. و«أبو سفيان»: ابن عمّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و«جعفرُ»: هو ابن أبي سفيان بن الحارث. «المنتخبُ»: المختار، وهي صفةُ مدح. و«عمّه»: أي: عم جعفر بن أبي سفيان، وهو ربيعةُ بنُ الحارث أخو أبي سفيان المذكور. و«العباس»: عمُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و«فضلُه»: أي: فضلُ بنُ العباس. و«أسامةُ»: أي: أسامةُ بن زيد الحب بن الحب. و«الأكياس»: صفة مدح لأولئك السادة.

(٢) معرفةُ الصحابة برقم (٦٢٣٢)، وفي هذا إشارة إلى إرضاع حليمة السعدية لهما.

(٣) معرفةُ الصحابة برقم (٦٢٣٣).

(٤) ذخائرُ العقبى (ص٤٠٣).

* وأوضحَ ابنُ سعد موقفَ أبي سفيان وابنِهِ يوم حُنين وثناء النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «وشهدَ أبو سفيان بنُ الحارث مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكَّة، ويومَ حنين، والطائفَ؛ هو وابنُه جعفرُ، وثبتَا معه حين انكشفَ الناسُ يوم حنين... ولما انجلتِ الغبرةُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ هذا؟**» قال: أخوك أبو سفيان... وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**أبو سفيان أخي وخيرُ أهلي، وقد أعقبني اللهُ من حمزةَ أبا سفيان بنَ الحارث**»، فكان يُقالُ لأبي سفيان بعدَ ذلك: أسدُ الله؛ وأسدُ الرَّسول»(١).

* نعم، كان أبو سفيان منْ فرسانِ البيَان والميدان، وأنشدَ بعضَ الأشعارِ الحسان، ومنها ما قالَهُ يومَ حُنين يفخرُ بثباتِهِ مع ابنِ عمِّهِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد علمتْ أفناءُ كعبٍ وعامرٍ ... غداةَ حُنين حينَ عَمَّ التَّضعضعُ
بأني أخو الهيجاءِ أركبُ حدَّها ... أمامَ رسولِ اللهِ لا أتتعتعُ
رجاءَ ثوابِ اللهِ واللهُ واسعٌ ... إليه تعالى كلُّ أمرٍ سيرجعُ

عابدٌ من أهْل الجنَّة:

* تعلَّقَ قلبُ أبي سفيان بمحبَّةِ العبادة، وسعى للإخلاصِ قولًا وعملًا؛ ومنْ صورِ ذلك ما جاءَ عن سعيدِ بنِ المسيب: «أنَّ أبا سفيان بنَ الحارث كان يصلي في الصَّيف بنصفِ النَّهار حتى تُكْرَهَ الصَّلاةُ، ثم يصلِّي من الظُّهر إلى العَصْر»(٢).

* وقد أحبَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان، وشهدَ له بالجنَّة، فقال: «**أبو سفيان ابنُ الحارث من شبابِ أهلِ الجنَّة**»؛ أو: «**سيِّد فتيان أهلِ الجنَّة**»(٣).

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٨)، والاستيعاب (ص٨١٢).
(٢) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٩).
(٣) ذخائر العقبى (ص٤٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٤).

* انتقل الصادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيقِ الأعلى، وهو راضٍ عن أبي سفيان بنِ الحارث، وأثبتَ أبو سفيان وفاءَهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرثاهُ بأشعارٍ تقطرُ بالتَّفجُّعِ والبكاءِ، ومنها هذه الأبياتُ النَّديةُ التي سقى من رحيقِ أفكاره سلسبيلَ الصَّفاء، لمحبي خاتم الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ من قصيدةٍ:

أرقتُ فَبَاتَ لَيلي لا يزولُ ... وليلُ أخي المصيبةِ فيه طولُ

فقد عظُمَتْ مصبتُنا وجلَّتْ ... عشيةَ قيل قد قُبضَ الرسولُ

فَقَدْنا الوحيَ والتَّنزيلَ فينا ... يروحُ به ويغدو جَبْرئيلُ

نبيٌّ كان يجلو الشَّكَّ عنَّا ... بما يُوحى إليه وما يقولُ(١)

لا تبكُوا عَليَّ:

* جمعَ أبو سفيان شرفَ الأعراق، إلى شَرفِ الأخلاق؛ فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مِنْ آلِ بيتٍ قد عَلَتْ أركانُه ... وله العُلا قد قالَ أهلاً ومرحبَا

* وهو معدودٌ في فُضلاء الصَّحابة، وآل البيتِ والقرابة، كما أنَّه ذو خصائلَ مجيدة، وفضائلَ حميدة، ومنذ أنْ أسلمَ غدا طاهر السَّريرة، حسن السيرة.

* أدلى كاتبو التَّراجم والسِّير دلاءهم، واستخرجوا من كنوزِ سيرته هذه القلائد: «لما حضرَ أبو سفيان الوفاةُ قال لأهله: لا تبكوا عليَّ فإنِّي لم أتنطفْ بخطيئةٍ منذ أسلمتُ»(٢).

* قالوا: «... لما كانت سنةُ (٢٠هـ) بلغَ أبو سفيان بضعًا وسبعين سنة، وماتَ في المدينةِ النبويةِ بعد أخيهِ نوفلَ بن الحارث بشهور، وهو الذي وَلِيَ حَفْرَ قَبْرَ نفسِه قبل أنْ يموتَ بثلاثة أيام، ثم قال عند ذلك: اللهمَّ لا أبقى بعد رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بعد

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ٢٠٣، ٢٠٤) بانتقاء، وانظر: أسد الغابة (٦/ ١٤٣)، وغيرهما.
(٢) ذخائر العقبى (ص٤٠٣)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٤٩).

أخي، وأتبعني إيّاهما، فلم تغبِ الشَّمسُ من يومه ذاك حتَّى توفي، وصلى عليه عمرُ بنُ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

* رضي الله عن أبي سفيان، وعن زوجتِهِ، وأبنائِه، وعن سائر الصَّحابة من آلِ البيت الهاشمي:

آلُ الرسولِ خيارُ النَّاس قاطبةً ... خلاصةُ الخلْق طرًّا نخبةُ النُّخب

* ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧]. ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨].



(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٤٩) بتصرف، وانظر: المستدرك (٣/ ٢٥٥)، وصفة الصفوة (١/ ٥٤٠، ٥٢١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣٩).



الباب الثالث

آباء منْ قريش

وفيه:

١- الحارثُ بنُ هشام.

٢- حاطبُ بنُ الحارث.

٣- حزنُ بن أبي وهْب.

٤- عمرو بنُ العاص.

٥- مخرمةُ بنُ نوفل.



الحَارثُ بنُ هشَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* بلغَ الذِّروةَ في الجودِ والشَّجاعةِ والفَصَاحةِ.

* هَدَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلى الإسلام يومَ فتحِ مكَّةَ.

* أبناؤهُ وحَفَدَتُه من فُضَلاء النَّاس وعلمائِهم.

* روى الحديث، وماتَ سنة (١٨هـ) مُجاهدًا بالشَّام.

الحَارث بنُ هشَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عنوانُ الشَّرفِ الوَافي:

* تلقَّى هذا الأبُ المعالي كابرًا عن كابر، فهو من أُسْرةٍ مُعرقَةٍ في العَطاء والمآثر، ذات شرفٍ وافٍ وافرٍ، وكان والدهُ ذا شهرةٍ عند البادي والحاضر[١].

* فهذا الأبُ قرشيٌّ مكيٌّ، ومن لطيفِ الإنصافِ أنْ نقولَ: «إنَّ قريشًا عُرِفَتْ بالجودِ والسَّخاء، والنَّجدة والوفاء، والبلاغةِ والسَّناء، فهم أصحابُ رحلةِ الصيف والشِّتاء، وهم أفصحُ العرب لسانًا، وأفضلُهم بيانًا، نزلَ القرآنُ بلسانهم، وقد عدَّهم النَّاسُ سادةَ مُضَر، وقادةَ العرب، وإنَّ لسانَ الإحسان والبيان؛ عاجزٌ عن ذِكْرِ مآثرهم الحِسَان».

* ونُسَرِّحُ الآن النَّظر والفكر، في سيرةِ أبٍ من ساداتِ الحضَر، ومن عليةِ قريش وساداتها في الجاهلية والإسلام، لحظتْهُ عينُ السَّعادة والنُّجح، فأسلمَ يوم الفَتْح... فإلى سيرته العطرة، نجلوها في هذهِ الصَّحائف المُسْتَطرة. فهو الحارثُ بنُ هشام بنِ المغيرة المخزوميُّ القرشيُّ، أبو عبد الرَّحمن، ابنُ عمِّ خالد بن الوليد، وابن عمِّ حنتمة أُمّ عمر بن الخطاب[٢].

أَبَوَا الحَارث:

* كان هشامُ بنُ المغيرة المخزوميُّ -والدُ الحارث- من ساداتِ مكَّةَ في الجاهليَّة، وكان له عند قريش وكنانة والعرب المكانةُ الجليةُ، وكانوا يؤرِّخُون بثلاثة أشياء: بناءُ الكعبةِ، عامُ الفيلِ، وموتُ هشام؛ قال أبو يعقوب بن شعوب في رثاء هشام:

---

(١) انظر: المفصَّل في تاريخ العرب (٥/ ١٨٨).

(٢) أسدُ الغابة (١/ ٦٤٣-٦٤٥)، وتاريخُ مدينة دمشق (١١/ ٤٩١-٥٠٦)، والإصابةُ (١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، والتَّبيينُ (ص٣١٧-٣١٩)، والعقدُ الثمين (٤/ ٣٢)، وغيرها كثير.

ذَريــــني أصـطـبـحْ يـا بـكـرُ إنِّــي رأيــتُ المــوتَ نـقَّـبَ عــن هـشـام
تخـــــيَّرهُ ولمْ يـــعــدلْ ســـواهُ ونـعـمَ المـرءُ مـن رجـال تَـهـام[(١)]

* نقلَ الثَّعالبيُّ عن الجاحظِ أنَّه قال: «بنو مخزوم ضُرِبَ بهم المَثَلُ، ووُصِفوا في كلِّ غايةٍ، فقيل: أَتْيَهُ مِنْ مخزوميٍّ... وكانوا يقولُون: كان ذلك عام موتِ هشام، قال عبدُ الله ابنُ ثور الخفاجيّ:

فـأَصْـبـحَ بـطـنُ مـكَّـةَ مُـقْـشَـعِـرًّا كـأَنَّ الأرض لـيـس بـهـا هـشـامُ

قال الجاحظُ: وهذا مَثَلٌ وفوقَ المَثَل، وقال مسافرُ بنُ أبي عمرو:

تـقـولُ لنا الـركـبـانُ في كـلِّ منزلٍ أمــاتَ هـشـامٌ أمْ أصـابـكـمُ الـجـدبُ

فجعلَ موته وفَقْدَ الغيث سواء»[(٢)].

* وذكر الزبيرُ بنُ بكار أنَّ قريشًا كانت تؤرِّخُ بوفاةِ هشام بنِ المغيرة تسْعَ سنين، إلى أن كانتِ السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرَّخُوا بها[(٣)].

* أمَّا والدةُ الحارثِ فهي أسماءُ بنتُ مخربة -أم الجلاس- كانت عاقلةً لبيبةً، أورد ابنُ عساكر نبذةً عنها فقال: «نزلَ هشامُ بنُ المغيرة بحرَّانَ، وبها أسماءُ بنتُ مخربة النَّهشليُّ، قد هلكَ عنها زوجٌ لها، وكانت امرأةً لبيبةً عاقلةً ذاتَ جمال، فقيل له: يا أبا عثمان، إنَّ ههنا امرأةً لبيبةً من قومك، وأثنَوا عليها، فأتَاها، فلمَّا رآها رغبَ فيها، فقال: هل لكِ أنْ أتزوَّجَكِ وأنقُلكِ إلى مكَّةَ؟ قالت: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا هشامُ بنُ المغيرة. قالت: فإنِّي لا أعرفُكَ، ولكنِّي أنكحُك نفسي، وتحملُني إلى مكَّة، فإن كنتَ هشامًا فأنا امرأتُك. فعجبَ من عقلِها، وازدادَ رغبةً فيها، فحملَها، فلما قدمتْ مكَّة أُعْلِمَتْ أنَّه هو هشامٌ،

---

(١) نسبُ قريش (ص٣٠١)، والأعلامُ (٨/ ٨٨)، مع الجمع والتَّصرف.
(٢) ثمارُ القلوب (ص٢٩٨)، بتصرف يسير، وانظر: المحبّر (ص١٣٩).
(٣) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (١/ ٢٦).

فنكحَها، فولدت له عَمْرًا الذي كَنَّاهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبا جهل، والحارثَ بنَ هشام، ثم فارقَها، فخلفَ عليها أخوه أبو ربيعة بنُ المغيرة»[١].

* وقدَّمَ ابنُ سعد شذراتٍ عن أحوالها فقال: «أسماءُ بنتُ مخربة من بني تميم... تزوَّجها هشامُ بنُ المغيرة المخزومي، فولدت له أبا جهل، والحارثَ ابني هشام، ثم مات عنها هشام، فخلفَ عليها بعده أخوه أبو ربيعة بنُ المغيرة، فولدتْ له عيّاشًا[٢] وعبد الله، وأمَّ حُجير بني أبي ربيعة، أسلمتْ وبايعتْ، وقدمتِ المدينةَ، وبقيتْ إلى خلافةِ عمَر بنِ الخطاب أو بعدها»[٣].

* بلغَ الحارثُ بنُ هشام في المجدِ الغايةَ القصوى، حتى قيل فيه:

أَحَسِبْتَ أنَّ أباك يومَ تسبُّني ... في المجدِ كان الحارثَ بنَ هشام
أولى قريشٍ بالمكارمِ كلِّها ... في الجاهليةِ كانَ والإسلام[٤]

* أَجَلْ، كان الحارثُ في الذِّروة العليا من الشَّرف، فقد عُرِفَ بالجود، وكان لا يُبارى ولا يُجارى بالسَّخاء... ذكروا أنَّ دارَهُ بمكَّةَ كانت مفتوحة للأضياف يدخلونها، فإذا جفانٌ مملوءةٌ خبزًا ولحمًا، وهو جالسٌ على سريرٍ يرحِّبُ بالنَّاس؛ ويحثُّهم على الأكل.

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١١/ ٥٠٠)، وانظر: أنساب الأشراف (١/ ٢٠٩)، والإصابة (٨/ ١٠)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٩٥)، ونسب قريش (ص٣٠١)، وغيرها.

(٢) وافتْ مصادرُ شتَّى أنَّ عياشَ بنَ أبي ربيعة أخو الحارث لأمِّه، وكان من المسلمين الأوائل، وهاجرَ إلى أرضِ الحبشة، ثم عادَ إلى مكَّة، وهاجرَ إلى المدينة مع عمر بن الخطاب فقدمَ عليه أخواه لأمّه: أبو جهل والحارث، فذكرا له أنَّ أمَّه حلفتْ أنْ لا يمسَّ رأسَها غسلٌ، ولا تستظلّ حتى تراكَ، فرجعَ معهما، فأوثقاه وحبساهُ بمكة، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو له. أسد الغابة (٤/ ٣٠٨)، والدر المنثور (١٢/ ٦٧٤)، مع الجمع بينهما. وانظر: الدرر (ص٧٧).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٢٨٤)، بتصرف يسير.

(٤) الاستيعابُ (ص١٥١)، والوافي بالوفيات (١١/ ١٩٢)، والمعجمُ الكبير (٣/ ٢٩٢)، والمفصلُ في تاريخ العرب (٩/ ٧١٥).

* روى أبو ذرّ الغِفَاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدمتُ مكَّة معتمرًا فقلتُ: أَمَا مِنْ مُضيف؟ قالوا: بلى، كثيرًا، وأقربهم منزلًا الحارثُ بنُ هشام، فأتيتُ بابه، فقلتُ: أَمَا من قِرى؟ فقالت لي الجارية: بلى، فأخرجَتْ إليَّ زبيبًا في يدها، فقلتُ: ولِمَ لَمْ تجعليهِ في طبقٍ؟ فعلمتْ أنِّي ضيفٌ، فقالت: ادخلْ، فدخلتُ، فإذا أنا بالحارثِ على كرسي، وبين يديه جِفَانٌ فيها خبزٌ ولحم، وأنطاعٌ عليها زبيبٌ، فقال: أصبْ، فأكلتُ، ثم قال: هذا لك، فأقمتُ ثلاثًا، ثم رجعتُ إلى المدينة، فأخبرتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرَه، فقال: «**إنَّه لسريٌّ ابنُ سري، وودتُ أنَّه أسلم**»[(١)].

* وسخاءُ الحارث وإيثارُهُ عجيبٌ يصلحُ لإيناسِ المجالسِ ومنه ما كان صبيحة بيعةِ العقبةِ الكبرى، حيث روى كعبُ بنُ مالك[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء الحارثُ وجِلَّةُ قريشٍ إلى رحالِ الأنصار؛ وسألوهم إنْ كانوا قد لقوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخفى الأنصارُ أمرهم، ثمَّ قامَ الحارثُ ومَنْ معه، وكان يلبُس نعلَيْن جديدَيْن، فقال كعبُ بنُ مالك لأبي جابر بنِ عبد الله: يا أبا جابر، أنتَ سيِّدٌ من ساداتنا، ما تستطيعُ أنْ تتخذَ نعلَين مثل نعلَي هذا الفتى من قريش؟ فسمعَهُ الحارث، فخلعَهما من رجليه، ثم رمى بهما إلى كعب، وقال: واللهِ لَتنتعلنَّهُما، فقال أبو جابر لكعب: أحفظتَ واللهِ الفتى، اردُدْ عليه نعله، فقلتُ: والله لا أردُّهما، وهذا فأْلٌ صالحٌ، لئن صدقَ الفأْلُ لأسلبنَّه»[(٣)].

قصَّتُه يومَ بَدْر:

* أقرَّ الملأُ القرشيُّ وغيرهم بأنَّ الحارثَ بنَ هشام أحدُ عقلائهم، وأنَّه من الآباءِ الكبار ذوي الشَّأْن والمكانة، بيد أنَّه لم يستجبْ لأنداء الإسلام الذي تنعشُه وتخرجُه من الظُّلمات إلى النُّور.

---

(١) المحبّر (ص١٣٩، ١٤٠)، وانظر: المفصّل في تاريخ العرب (٤/ ١٥٠).
(٢) اقرأ سيرة كعب بن مالك في الباب الثاني من كتابنا: فرسان من عصر النبوة.
(٣) صحيحُ السِّيرة النبوية (ص١١٢) بتصرف، نقلًا عن السِّيرة النبوية (١/ ٤٤٨).

* حضرَ الحارثُ بدرًا مع زمرةِ المشركين، وكان له موقفٌ عجيبٌ مسطورٌ في مصادرَ شتَّى، ومفادُهُ: «أنَّ إبليسَ قد تصوَّر في صورةِ سراقةَ بنِ مالك المُدلجيِّ، يذمرُ المشركين؛ ويخبرهُم أنَّه لا غالب لهم من النَّاس، فلمَّا أبصرَ عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: إنِّي بريءٌ منكم إنِّي أرى ما لا تَرون، فتشبَّثَ به الحارثُ بنُ هشام؛ وهو يرى أنَّه سراقة، فضربَ في صدرِ الحارثِ، فسقطَ، وانطلقَ إبليسُ لا يُرى حتى وقعَ في البحر»[1].

* وفي روايةٍ أخرى: «أنَّ الحارثَ بنَ هشام تشبَّثَ به، وهو يرى أنَّه سراقةُ بنُ مالك، فقال: إلى أينَ يا سراقةُ؟ أينَ تفرُّ؟ فَلَكَمَهُ لكْمةً طَرحَهُ إلى قفاه»[2].

* وأخرجَ هذا الحديثَ أبو القاسم الطَّبرانيُّ بسنده إلى رفاعةَ بنِ رافع الأنصاريِّ -وهو عقبيٌّ بدريٌّ- قال: «لما رأى إبليسُ ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين يومَ بدر، أشفقَ أنْ يخلصَ القَتْلُ إليه، فشبَّث به الحارثُ بنُ هشام، وهو يظنُّ أنَّه سراقةُ بنُ مالك، فوكزَ في صدرِ الحارثِ، فألقاهُ، ثم خرجَ هاربًا حتَّى ألقى نفسَه في البحرِ، ورفعَ يديه فقال: إنِّي أسألُكَ نظرتكَ إياي، وخافَ أنْ يخلصَ إليه القتلُ، فأقبلَ أبو جهل بنُ هشام فقال: يا معشرَ قريش؛ لا يهزمنَّكم خذلانُ سراقةَ إياكم، فإنَّه كان على ميعادٍ من محمَّد، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[3].

* في بدرٍ عزَّ الإسلامُ، وهوتْ للباطلِ أصنامُ، وانهزمَ الحارثُ لا يلوي على شيء، فعيَّره حسَّانُ بنُ ثابت بقصيدةٍ طويلةٍ، أوَّلها:

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المنامِ خَريدةٌ   تَسْقي الضَّجيعَ ببارِدٍ بسَّام

(١) إمتاع الأسماع (١/ ١٠٥) بتصرف يسير، وانظر: الدر المنثور (٧/ ١٤٧)، والسيرة النبوية (١/ ٦٦٣).
(٢) إمتاع الأسماع (١٢/ ١٤٥).
(٣) المعجم الكبير (٥/ ٤٧، ٤٨) برقم (٤٥٥)، قلت: «ضعَّف أهلُ العِلْمِ هذه الرواية». وانظر: البداية والنهاية (٥/ ٢١١).

وبعد ذلك يخرجُ سيدنا حسَّانُ من الغَزل، فيهجو الحارثَ بنَ هشام، ويذكرُ انهزامه وهروبه من معركةِ بدر(١)، فيقولُ:

إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتني فنَجوتِ منْجى الحارثِ بنِ هشام
تركَ الأحبَّةَ أنْ يقاتلَ دونَهم ونَجا برأسِ طِمرَّة ولجامِ(٢)

* واعتذرَ الحارثُ من فراره يومئذٍ لما قُرِّع فقال:

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالَهم حتَّى رموا فَرسي بأشقرَ مُزْبدِ
وَوَجَدْتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم في مأزقٍ والخيلِ لمْ تتبدَّدِ
فَصَدفْتُ عنهم والأحبةُ فيهم طَمعًا لهم بعقاب يوم مفسدِ
وعلمتُ أني إنْ أقاتلْ واحدًا أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عدوّي مشهدي

* أرادَ الحارثُ أنْ يقولَ: ليس من الصَّواب أنْ أقف موقفًا أقاتلُ فيه باطلًا. وزعمَ الأصمعيُّ أنَّه لم يُسْمَعْ بأحسن من اعتذارهِ ذلك منْ فراره(٣).

* قالَ الجاحظُ: «وأتمُّ الفرسانِ في الحربِ آلةً مَنْ عرفَ المفرَّ كما يعرفُ المكرَّ»(٤).

* وقال أبو إسحاق الكُتبيُّ الوطواط: «وأُنْشِدَ هذا الاعتذارُ لبعض ملوكِ العجم، فقال: يا معشرَ العرب، لقد بلغتُم بلطافةِ ألسنتكم؛ وحُسنِ احتجاجِكم؛ وجميلِ أوصافِكم

(١) يُسمِّي البلاغيون هذا النوعَ من الشِّعر؛ فنَّ الاستطراد، وهو فنٌّ رفيعٌ من فنون البيان، وسمَّاه ابنُ المعتز؛ الخروجُ من معنى إلى معنى. وفي اصطلاح الشعر: أنْ تكونَ في غرضٍ من أغراضِ الشِّعر، توهم أنَّك مستمرٌ فيه، ثم تخرجُ منه إلى غيره لمناسبةٍ بينهما، ولابدَّ من التَّصريح باسمِ المستطرد بشرط ألا يكونَ قد تقدم له ذِكر، ثم ترجعَ إلى الأول، أو يكونَ آخر الكلام. إعراب القرآن الكريم وبيانه، للدرويش (٧/ ٥٠٢، ٥٠٣)، بتصرف يسير.

(٢) شرحُ ديوان حسان ص(٣٦٢-٣٦٥)، والقصيدة (٢٩) بيتًا. وقوله: «تبلت»: أسقمت. و«خريدة»: الحبيبة؛ أو: الحسناء. و«وطمرّة»: الفرس كثير الجري.

(٣) الاستيعابُ (ص١٥١)، وتهذيبُ الكمال (٥/ ٢٩٧)، والعقدُ الثمين (٤/ ٣٨)، وكنزُ الكتاب ومنتخب الآداب (١/ ١٧٤، ١٧٥).

(٤) البرصانُ والعرجانُ والعميانُ والحولان (ص٣٩).

مبلغًا لم يبلغْهُ أحدٌ غيرُكم، حتَّى اعتذرتُم عن الفرار بِعُذرٍ يَسَعُ بعدكم الاعتذار به لكلِّ مُنْهَزم»(١).

سِرٌّ عَجيبٌ:

* للهِ في خَلْقهِ شؤون، فهو يخلقُ ما يشاءُ ويختار، ويفعلُ ما يشاء. ذكروا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا على الحارثِ وجماعة، لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تداركَهم بالإسلام، وصاروا من الصَّحابة الأعلام.

* أخرجَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بسندهِ عن سالمِ بنِ عبد الله قال: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو على صفوانَ بنِ أمية، وسهيلِ بنِ عمرو، والحارثِ بنِ هشام، فنزلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨]»(٢).

* قال ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والثَّلاثةُ الذين سمَّاهم قد أسلموا يومَ الفتح، ولعلَّ هذا هو السِّرّ في نزولِ قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»(٣).

نشهدُ أنَّكَ رسولُ الله:

* ظلَّ الحارثُ مقيمًا على الجاهلية، وحضرَ أُحدًا مع المشركين، ولم يزلْ مُتْمسكًا بالشِّرك إلى فتح مكَّة، ويومها أسلم، وشهدَ بوحدانيةِ الله، وصار من عبيده، ومن أهل توحيده.

* ولإسلامه موقفٌ جليلٌ، حيث صَعِدَ سيدنا بلالُ على الكعبةِ يومَ الفتح، وأذَّنَ، فَسَاءَ ذلك الحارث، وقال: «يهذي العبدُ حين يؤذِّنُ على الكعبة»(٤).

---

(١) غررُ الخصائص الواضحة (ص٤٦٥)، ولله درَّ القائل في هذا المعنى:

وليسَ يُعَابُ المرءُ في يوم جبنِهِ ... إذا عُرِفتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ

(٢) أخرجهُ البخاريُّ في المغازي برقم (٤٠٧٠)، والتِّرمذيُّ برقم (٣٠٠٤)، وانظر: العقد الثمين (٤/ ٣٥، ٣٦).

(٣) فتح الباري (٧/ ٣٣٦). وهكذا تابَ الله عَزَّوَجَلَّ على الحارث وصحبه، وهداهم إلى الإسلام.

(٤) الدُّرُّ المنثور (١٣/ ٥٩٢).

* وفي روايةٍ أخرى: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دخلَ الكعبةَ عام الفتح، ومعه بلالٌ، فأمره أنْ يؤذِّن، وأبو سفيان بن حرب، وعتَّابُ بنُ أَسيد، والحارثُ بنُ هشام جلوسٌ بفناءِ الكعبة... فتكلَّمَ كلُّ واحدٍ بكلمة، وقال الحارثُ بنُ هشام: أمَا والله لو أعلمُ أنَّه محقٌّ لاتَّبعته. فخرجَ عليهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**قد علمتُ الذي قُلْتُم**»، ثمَّ ذكَرَ لهم ما قالوه، فقال الحارثُ، وعتَّاب، نشهدُ أنَّك رسولُ الله، ما اطَّلعَ على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك»[1].

«الحمدُ لله الذي هَدَاكَ»:

* قصَّةُ إسلامِ الحارثِ جميلةٌ، وفيها فوائدُ جليلةٌ، فقد أجارتْهُ أمَّ هانئ بنتُ أبي طالب، وأمضى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجارتَها، فهل أتاكَ حديثُ ذلك؟

* قال عبدُ الله بنُ عِكرمة: «لما كان يومُ الفتح دخلَ الحارثُ بنُ هشام، وعبدُ الله ابنُ أبي ربيعة على أمِّ هانئ بنتِ أبي طالب، فاستجارا بها، وقالا: نحنُ فِي جوارِك، فقالت: نعمْ، أنتما فِي جواري؛ وأجارتْهما، وفِي تلكَ الأثناء دخلَ عليها أخوها عِليٌّ، فنظرَ إليهما، فَشَهرَ عليهما السَّيف، فألقتْ عليهما ثوبًا، واعتنقَتْه وقالت له: تصنعُ هذا بي من بينِ النَّاس؟! قال: تُجيرين المشركين!؟ وحُلْتُ دونَهما، ثمَّ خرجَ، فأغلقتُ عليهما بيتًا، وقلتُ لهما: لا تخافا... فأتيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما لقيتُ مِن ابنِ أمي عِلِيٍّ، ما كدتُ أفلتُ منه، أجرتُ لِي حموَيْن من المشركين؛ فَتَفَلَّتَ عليهما ليقتلهَما، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كان ذلك له، قد أجرنا مَنْ أجرتِ، وأمَّنا مَنْ أمَّنتِ**». فرجعت إليهما فأخبرتهما، فانصرفا إلى منزلهما، فقيل لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحارثُ وعبدُ الله جالسان في ناديهما مُتَفضِّلان في المُلاء المُزَعفر، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا سبيلَ إليهما وقد أمنّاهما**». قال الحارثُ بنُ هشام: وجعلتُ أستحي أنْ يراني رسولُ الله

---

(١) تفسيرُ ابن كثير (٣/ ١٢٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأذكرُ رؤيته إياي في كلِّ موطنٍ مُوضِعًا مع المشركين، ثم أذكرُ برَّه ورحمَتَه وصلتَه، فألقاهُ وهو داخلٌ المسجدَ، فتلقَّاني بالبِشْر، ووقفَ حتى جئتهُ، فسلّمتُ عليه، وشهدتُ شهادةَ الحقّ، فقال: «**الحمدُ للهِ الذي هَداكَ، ما كان مثلكَ يجهلُ الإسلام**»، قال الحارثُ: «فوالله ما رأيتُ مثلَ الإسلام جُهل»، وفي رواية: «فوالله ما رأيتُ مثل الإسلام جميلًا»[١].

نَجابةُ أبنائِه وبناتِه:

* صحبَ بعضُ أولادِ الحارثِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم: عبدُ الرحمن بنُ الحارث، وكان رجلًا شريفًا سخيًا من نبلاءِ الرِّجال، وله رؤيةٌ، ويُضْرَبُ المَثَلُ بسؤدده... وللحارث ابنٌ اسمه: عبدُ الله؛ وُلِدَ على عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُقالُ: إنَّ حديثَهَ مرسلٌ، واللهُ أعلم[٢].

* وأما ابنُ ابنِهِ فهو: أبو بكر بنُ عبد الرحمن بنِ الحارث، أحدُ الفقهاءِ السَّبعةِ بالمدينةِ النَّبويَّةِ، وهو معدودٌ من سادةِ قريش وأجوادِهم[٣]، وكان يُسمَّى الرَّاهب لِعبادتِهِ، وله عقبٌ كلُّهم سادةٌ أجواد وأخيار فُضلاء.

* ومن بناتِ الحارث: أُمُّ حكيم بنتُ الحارث[٤]، وقد أسلمتْ يومَ الفتح، وأتتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَتْهُ[٥].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١١/ ٤٩٥، ٤٩٦)، ونساءٌ من عصر النبوة (ص٣٣٩)، مع الجمع والتَّصرف اليسير. وانظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٨٣، ٨٤)، والحديث في صحيح مسلم برقم (٣٣٦). وعند الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٧، ٢٧٨)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٩٩).
(٢) التّبيين (ص٣١٩).
(٣) نسبُ قريش (ص٣٠٣)، والتَّبيينُ (ص٣٢١-٣٢٣).
(٤) اقرأ سيرةَ أَمّ حكيم بنت الحارث في كتابنا: نساء من عصر النّبوة (ص٤٨٣-٤٨٩).
(٥) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٢٤٨، ٢٤٩)، ونسب قريش (ص٣٠٣).

* وذكرَ الثَّعالبيُّ أنَّ للحارثِ بناتٍ كان يُضْرَبُ بهنَّ المثَل في الحُسْنِ والشَّرفِ وغلاءِ المَهْر... وكانتِ الجاريةُ تُولَدُ لأحدِ آل الحارثِ بنِ هشام؛ فتتباشرَ النِّساء بها، ويرى أهلهُا أنَّهم أغنياءُ لرغبةِ الخُطَّاب فيها... وكان يُقالُ لحفيدةِ عبدِ الرحمن بنِ الحارث -زوجةِ عبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك- الواصلَةُ، لأنَّها وصَلَتِ الشَّرف بالجمالِ، وكان مهرها أربعين ألف دينار...[١].

* وفي بناتِ الحارثِ يقولُ ابن هَرْمة، وقد ضَرَبَ المثَل بهنَّ:

فَمَنْ لم يردْ مدحي فإنَّ قصَائدي ... توافقُ عند الأكرمينَ سَوامي
توافقُ عند المُشْتَري الحمدَ بالنَّدى ... نفاقَ بناتِ الحارثِ بنِ هشام[٢]

إشراقاتٌ حَارثيةٌ:

* بدأتِ الإشراقاتُ السَّنيةُ تبدو على محيَّا الحارثِ بنِ هشام وتصرّفاته، وَوَدَّ لو أنَّه وَرَدَ معينَ الدعوةِ الإسلامية منذ فجرها، واغترفَ من معينها.

* روى ابنهُ عبد الرحمن، عن أبيهِ الحارثِ قال: «رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجَّتِهِ؛ وهو واقفٌ على راحلتِهِ، وهو يقول: «**واللهِ إنَّكِ لخير أرضِ اللهِ إليَّ، ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرجتُ**»، قال: فقلتُ ولمْ أنثنِ: يا ليتَنا لم نفعلْ، فارجعْ إليها؛ فإنَّها منبَتُك ومولدُك، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني سألتُ ربّي فقلتُ: اللهمَّ إنَّك أخرجتني من أحبِّ أرضك إليّ؛ فأنزلني أحبَّ أرضكَ إليك، فأنزلني المدينة**»[٣].

* ولما كانت غزوةُ حُنين شهدها الحارثُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غنائم حنين مئةً من الإبل، كما أعطى المؤلّفة قلوبهم[٤].

---

(١) ثمارُ القلوب (ص٢٩٨، ٢٩٩)، باختصار وتصرف.
(٢) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٢) برقم (٣٣٤٠)، والتبيين (ص٣٢٠).
(٣) المستدرك (٣/ ٢٧٨)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٨٤).
(٤) العقدُ الثمين (٤/ ٣٣)، والدرر (ص٢٣١)، والاستيعاب (ص١٥١).

* قال ابنُ عبد البرِّ، عن سيِّدنا الحارثِ: «... وكان من فُضَلاءِ الصَّحابة وخيارهم، وكان منَ المؤلَّفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم»[١].

* وقال أيضًا: «وأسلمَ الحارثُ؛ فلم يُرَ منه في إسلامهِ شيءٌ يُكْرِه»[٢].

* ويومَ بيعةِ سيّدنا أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان للحارثِ موقفٌ يتَّسِمُ بالحزمِ والفَهْم والسَّناء؛ وكان يومئذٍ سيّد بني مخزوم ليس أحد يعدلُ به إلا أهل السَّوابق مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أمامَ المهاجرين والأنصار: «والله؛ لولا قولُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأئمةُ من قريش**»، ما أبعدنا منها الأنصار، ولكانوا لها أهلًا، ولكنَّه قولٌ لا شكَّ فيه، فوالله لو لم يبقَ من قريش كلَّها إلا رجل واحد لَصَيَّرَ اللهُ هذا الأمر فيه»[٣].

الحَارثُ والحَديثُ النَّبويُّ:

* روى سيدنا الحـارثُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه ابنه عبدُ الرحمن ابنُ الحارث، وروى له ابنُ ماجه حديثًا واحـدًا[٤]. وله بعضُ الأحاديثِ في كُتب الصَّحابة[٥].

* أخرجَ الطَّبرانيُّ بسندٍ عن عبدِ الرحمن بنِ الحارث، عن أبيه أنَّه قال: يا رسولَ الله، حدثني بأمرٍ أعتصمُ به، قال: «**امْلُكْ عليكَ هذا**»، وأشارَ إلى لسانِهِ[٦].

* وللحارث ذِكْرٌ في الصَّحيح، من ذلك ما أخرجه الإمامُ البخاريُّ عن أمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ الحارثَ بنَ هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سألَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ الله،

---

(١) الاستيعابُ (ص١٥١)، وانظر: الدرر (ص٢٣٣).
(٢) الاستيعابُ (ص١٥٢).
(٣) الإصابةُ (١/ ٣٠٧، ٣٠٨).
(٤) تهذيبُ الكمال (٥/ ٢٩٥، ٣٠٢).
(٥) انظر: معجمُ الصحابة لابن قانع (١/ ١٨٥).
(٦) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٥) برقم (٣٣٤٨، ٣٣٤٩)، ومعرفة الصحابة برقم (٢٠٣٥، ٢٠٣٦).

كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقالَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلْصَلة الجرس، وهو أشدّه عليَّ فيفصمُ عنّي وقد وعيتُ عنه ما قالَ، وأحيانًا يتمثَّلُ لي المَلَكُ رَجُلًا فيكلِّمني فأعي ما يقول**». الحديث[١].

إنِّي بربِّي والنَّبيِّ مؤمنُ:

* أقامَ سيدنا الحارثُ بمكةَ بعد إسلامه، وتوفي رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راضٍ عنه، ولم يزلْ شريفًا مذكورًا في قومهِ حتى خرجَ إلى الشَّام بأهله وماله، فجزعَ أهلُ مكةَ جزعًا شديدًا، ولم يبقَ أحدٌ يَطْعَمُ إلا خرجَ يشيعُهُ، حتى إذا كان بأعلى البطحاء، أو حيثُ شاءَ الله تعالى من ذلك، وقفَ، ووقفَ الناسُ حولَه يبكون، فلمَّا رأى جزعَ النَّاسِ قال: «يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي والله ما خرجتُ رغبةً بنفسي عن أنفسِكم، ولا اختيار بلدٍ عن بلدكم، ولكنْ كان هذا الأمرُ فخرجتْ فيه رجالٌ من قريش... فأصبحنا والله لو أنَّ جبالَ مكَّةَ ذهبًا فأنفقناها في سبيلِ الله عَزَّوَجَلَّ ما أدركنا يومًا منْ أيّامهم، وأيمُ الله لئن فاتونا بهِ في الدنيا، لنلتمسنَّ أنْ نشاركهم به في الآخرة...»، فتوجَّه غازيًا إلى الشَّام، واتَّبعه ثقله، فأُصيبَ شهيدًا[٢].

* وكان الحارثُ حينما يحملُ على المشركين، وأهلِ الكفْرِ، ويقاتلهم يرتجزُ قائلًا:

إنِّي بربِّي والنَّبيِّ مؤمنُ ... والبعثُ من بعدِ المماتِ موقنُ

أقبحْ بشخصٍ للحياةِ موطنُ[٣]

---

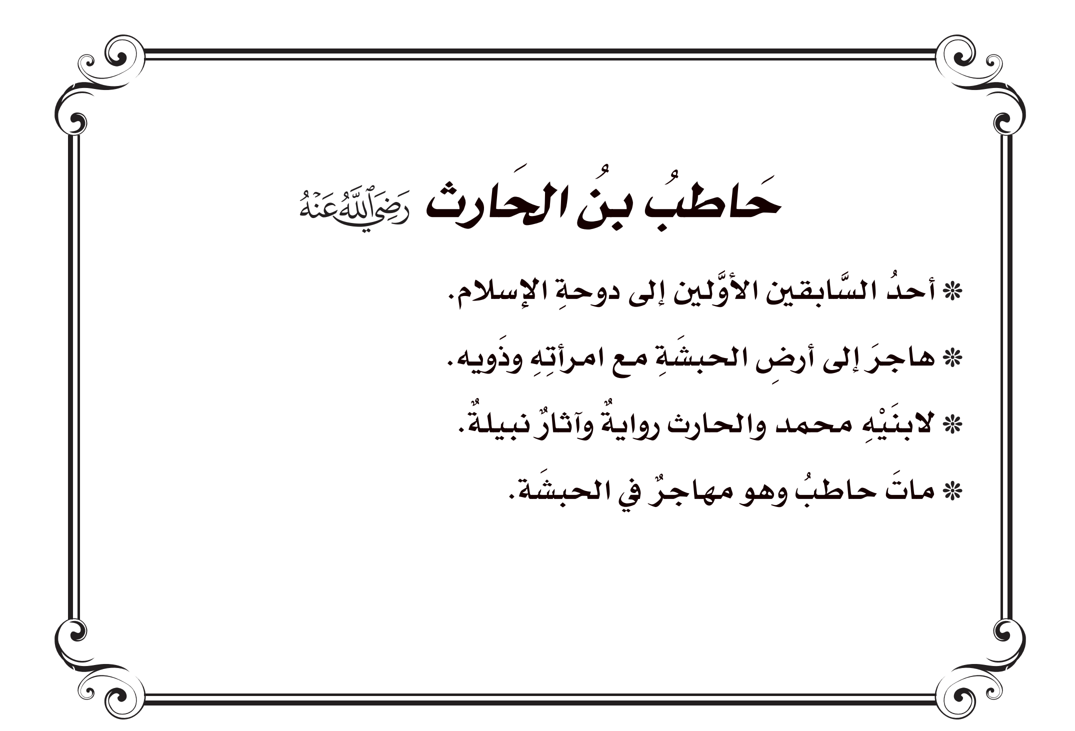
(١) أخرجه البخاريُّ برقم (٢ و٣٢١٥)، وهو من الأحاديث المشهورة في كتب الحديث.
(٢) تاريخُ مدينة دمشق (١١/ ٤٩٩)، وأسد الغابة (١/ ٦٤٥)، والعقد الثمين (٤/ ٣٣، ٣٤)، وغيرها.
(٣) الإصابةُ (١/ ٣٠٨).

* ولم يزلِ الحارثُ حابسًا نفسَه ومَنْ معه بالشَّام مجاهدًا، ولم يبقَ معه من أهلهِ وولده غير عبد الرحمن، وأمّ حكيم، حتى ختمَ الله له بخير سنة (١٨هـ) في خلافةِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

* رضي الله عن الحارث[(٢)] بن هشام، وأدخلنَا معه الجنة بسلام، تحت راية بشيرِ البشر، وشفيعِ المحشر.



(١) تهذيبُ الكمال (٥/ ٣٠٠)، والمعجم الكبير (٣/ ٢٩٢).
(٢) من الجدير بالذكر أنَّه يوجد قرابة مئة وخمسين صحابيًّا يسمّى الحارث، و«أصدق الأسماء: الحارث وهمام»، رواه أبو داود برقم (٤٩٥٠).
وللحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبارٌ أخرى منثورةٌ في المصادر المتنوعة.



حَاطِبُ بنُ الحَارِث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

❋ أحدُ السَّابقين الأوَّلين إلى دوحةِ الإسلام.

❋ هاجرَ إلى أرضِ الحبشَةِ مع امرأتِهِ وذَويه.

❋ لابنَيْهِ محمد والحارث روايةٌ وآثارٌ نبيلةٌ.

❋ ماتَ حاطبُ وهو مهاجرٌ في الحبشَة.

حَاطب بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

السابقون الأوّلون:

❋ سَرَتْ دعوةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة هادئة هامسة، فلامست وجدانه، فدخل الإسلام قلبه، واستجاب لدين الله مع ثلة الأولين من أصحابِ العقول المستنيرة بنور الفطرة الصافية.

❋ نقرأ في ديوان السابقين اسمًا لأحد الآباء، لكن هذا الاسم لم يتردد كثيرًا على ألسن الكاتبين وأقلامهم وجاءت ترجمته مقتضبة؛ لكنها واضحة المعالم، تذكر بأنه: حاطب بن الحارث بن معمر الجُمحي القُرشي[(١)]، وأمه: قتيلة بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، وأما زوجته فهي: أم جميل فاطمة بنت المجلل، أسلمت وبايعت. وكذلك أسلم أخوه: حطَّاب -أو: خطّاب- بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، وأسلم أيضًا أخوه الآخر: معمر بن الحارث[(٢)]؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

❋ أسلم هؤلاء قديمًا، وانضووا تحت ظلال الدوحة الإسلامية مع ثلة الأولين[(٣)]، ودخلوا الدار الأرقمية الميمونة يعبدون الله فيها سرًا من قريش.

---

(١) سُبل الهدى والرشاد (٢/ ٤١٦)، وأسد الغابة (١/ ٦٦١)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٠٩)، والإصابة (١/ ٣١٤)، وغيرها من مصادر السيرة والتراجم.

(٢) معمرُ بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي، أخو حاطب وحطاب، أسلم معمر قبل دخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دار الأرقم، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين معاذ بن عفراء، وتوفي معمر في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أسد الغابة (٥/ ٢٢٦)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٠٥)، مع الجمع بينهما.

(٣) انظر: الدرر (ص٣٩-٤٠).

* فشا الإسلام في مكة، وتحدَّث الناس به، وصدع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أمره الله، وأنذرَ عشيرته الأقربين وقومَه جهارًا بعد أن كانت الدعوة سرًا دامت قرابة ثلاث سنين.

هل حاطب من الضعفاء؟

* إذا اطَّلعَ المحبُّ على أسماء السابقين إلى دعوة الإسلام؛ ألفى أنهم كانوا من عليا قبائل قريش، ومن خيرة أقوامهم، ومن صفوة شبابهم، ومن ذوي السيرة الحميدة، والمكانة المتألقة الفريدة، ولم يكونوا -كما ذكر بعض كاتبي السيرة من المسلمين، ومن المستشرقين والمستغربين، ومن الذين في قلوبهم مرض- ضعفاء فقراء أرقاء، وأسلموا طلبًا لاستعادة حريتهم، فحاطب وأخواه وأمثالهم من سادات قريش وكرامهم، وهذا لا يمنع أنه كانت ثلة من بعض الأرقاء والموالي، وقد تحمَّل معظمهم القسط الأكبر من التعذيب والتنكيل والقتل.

* يفيد دارسو السيرة النبوية وحياة الصحابة بأنَّ مجموعَ السابقين الأولين هو سبعة وستون شخصًا، منهم ثلاثة عشر من الأرقاء والفقراء والموالي والمستضعفين والأخلاط من مختلف الأعاجم، فهؤلاء نحو خمس المسلمين، لذلك لا يُقال عنهم أكثرهم، ولا معظمهم، ولا عامتهم(١).

إنَّ الله سيجمعكم:

* بدأت الأيادي المشركة الآثمة تمتد لتنال ممن آمن بالله ربًّا واحدًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا ورسولًا، وازدادت أذيتهم يومًا بعد يوم، حتى نبا بهم المقام في مكة فأذن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه إلى الحبشة، فهاجر أكثر من ثمانين رجلًا، وقرابة عشرين امرأة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص١٦١) بتصرف. وانظر: من معين السيرة (ص٣٧-٣٩).

* هاجر إلى الحبشة أكابر الصالحين[١] من الصحابة، ومنهم: حاطب، وامرأته أسماء[٢]، وأخوه خطاب، وامرأته فكيهة، وأخوهُ مَعْمَر[٣]. ترك هؤلاء وأمثالهم ديارهم هربًا من ظلم قريش.

* ذكر ابن عبد البر بسند عن عروة قال: «فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان، أقبل كفار قريش على مَنْ آمن مِنْ قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردّوهم عن دينهم، فبلغنا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمن آمن به: «**تفرقوا في الأرض إن الله تعالى سيجمعكم**»، قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «**ههنا**»، وأشار بيده إلى أرض الحبشة، فهاجر إليها ناس ذوو عدد، منهم مَنْ هاجر بأهله، ومنهم مَنْ هاجر بنفسه؛ حتى قدموا أرض الحبشة»[٤].

* وسنأنس بهذه التغريدة الجميلة التي تتحدث عما ذكرناه:

المشركون يعذبون المسلين للافتتان
والمسلمون غدوا بمكة لا أمان ولا ضمان
لا يأمنون من الأذى في كل بيت أو مكان
قال النبي لصحبه فَلْتهجروا أرض الهوان
ولتنزلوا أرض النجاشي جاره قد لا يهان
أَمْرُ النَّبِيِّ مُقدَّسٌ في كل عقل أو جنان

---

(١) قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة».

(٢) التبيين (ص٤٣٣).

(٣) إمتاع الأسماع (٩/ ١٠٠، ١٠١)، وسبل الهدى والرشاد (٢/ ٥٢٩)، والمغازي لموسى بن عقبة (ص٧٩، ٢٥٣).

(٤) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٤٨). وأورد ابن عبد البر في موضع آخر أسماء مهاجري الحبشة، فقال: «... وحاطب وحطّاب ابنا الحارث بن معمر الجمحي، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المُجلَّل العامرية، ولدت له هناك محمدًا والحارث بني حاطب، ومع حطاب زوجه فكيهة بنت يسار». الدرر (ص٥١).

قد نفَّذوه فهاجروا تركوا العذاب والامتهان(١)

* مكث حاطب بأرض الحبشة زمنًا، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل، وولدت له هناك ابنيه: محمدًا والحارث، بيد أن حياته لم تطل هناك، فمات بأرض الحبشة مهاجرًا(٢). وقيل: إن ابنه محمدًا ولدته أمه في السفينةوهي مهاجرة للحبشة(٣).

أبو الأوائل:

* مكثت فاطمة زوج حاطب زمنًا بعد موته، وحينما عاد مهاجرو الحبشة رجعت، وأُتي بولديها من هناك غلامين. وأشار ابن سعد إلى أن حاطبًا وفاطمة هاجرا إلى الحبشة، وكان معهما في الهجرة ولداهما محمد والحارث، وكانا صغيرين(٤).

* وكان لابنَي حاطب آثار وضيئة في تاريخ أبناء الصحابة. فابنه محمد بن حاطب له صحبة ورواية، وهو أخو عبد الله بن جعفر في الرضاعة(٥)، كما أنَّه أول مَنْ سُمّي محمدًا في الإسلام(٦)، وكان صغيرًا حينما توفي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* كان محمد بن حاطب مطعامًا من أجواد قريش المعدودين، ويلقب بالحاطبي(٧)، ومات سنة (٧٤هـ) بمكة، وتذكر المصادر أنه كان يتذكر شيئًا من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) تغريدة السيرة النبوية (١/ ١٩٦).

(٢) أسد الغابة (١/ ٦٦١).

(٣) أخرج أحمد والطبراني بسند عن أبي مالك الأشجعي قال: «كنت جالسًا معَ محمد بن حاطب فقال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني قد رأيتُ أرضًا ذات نخل فاخرجوا**»، فخرج حاطب وجعفر في البحر قِبَلَ النجاشي، قال: فولدتُ أنا في تلك السفينة». المسند (١٤/ ١٢٣) برقم (١٨١٩٤)، والمعجم الكبير (١٩/ ٢٤١) برقم (٥٤١).

(٤) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٥٨) بتصرف.

(٥) قال مصعب الزبيري: «كانت أسماء بنت عميس قد أرضعت محمد بن حاطب مع ابنها عبد الله بن جعفر، وكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا». تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٥)، وانظر: التبيين (ص٤٠١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٦)، والتبيين (ص٤٠١).

(٧) انظر: المحبر (ص١٥٣)، والمنمق (ص٣٨٥).

وأنه حفظ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رقاه حين احترقت يده[١]. وروى له الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومما أخرجه له هؤلاء الثلاثة حديث الدف في العرس، بسند عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فصلُ ما بين الحلال والحرام: الدُّفُّ، والصوت في النكاح**»[٢].

* ولمحمد بن حاطب رواية عند الإمام أحمد وغيره، حيث أخرج بسنده عن محمد ابن حاطب عن أمه أم جميل بنت المجلل قالت: «أقبلتُ بك من أرض الحبشة، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلة أو ليلتين، طبختُ لك طبيخًا، ففني الحطب، فخرجتُ أطلبُه، فتناولتَ القدر، فانكفأت على ذراعك، فأتيتُ بك النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلتُ: بأبي أنتَ وأمي، يا رسولَ الله، هذا محمدُ بن حاطب، فتفل في فيك، ومسح على رأسك، ودعا لك، وجعل يتفلُ على يديك ويقول: «**اذهب الباس ربّ الناس، واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»، فقالت: فما قمتُ بك من عند حتى برأت يدك»[٣].

* وابن حاطب الآخر اسمه الحارث، كان أسنَّ من أخيه محمد، واستعمله عبد الله بن الزبير على مكة سنة ست وستين. وقيل: إنه كان يلي المساعي أيام مروان بن الحكم لما كان أميرًا على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣٧-٥٣٩).

(٢) تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٦)، وانظر تخريج الحديث فيه. ورواه أحمد برقم (١٥٣٩٠، ١٨١٩٠)، والطبراني (١٩/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٢/ ١٨٤) برقم (١٥٣٩٢، ١٨١١٧)، والطبراني (٢٣/ ٢٣٩-٢٤١)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص٤٦٧) برقم (٣٩٨)، وكنز العمال (١٣/ ٦٠٠) برقم (٣٧٥٤٠)، والتبيين (ص٤٠١)، وغيرها كثير.

(٤) أسد الغابة (١/ ٥٩٧، ٥٩٨)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٣٨) طبعة الهند، وغيرهما.

❁ وللحارث بن حاطب أخبار كثيرة مستوفاة في كتب السيرة وتراجم الصحابة. وكان ابنا حاطب وذريتهما من كبار العلماء ورواة لحديث النبوي الشريف[١].

❁ رضي الله عن حاطب وزوجته وأبنائه، وحشرنا في زمرتهم، وعفا عنا بفضله، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث إلى أهل الآفاق، المنعوت بتهذيب الأخلاق، ومكارم الأعراق.



(١) التبيين (ص٤٠١).

حَزْنُ بنَ أبي وَهْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

❋ صحابيٌّ وأبناؤُهُ صحابةٌ وأشهرهُم المسيِّبَ.

❋ حفيدُهُ سعيدُ بنُ المسيّب سيّدُ علماءِ التَّابعين.

❋ ذُكِرَ هذا الأبُ في صحيح البُخاري وكتبُ الأحاديث.

❋ معدودٌ من فُصحاء قريش واستشِهدَ يوم اليمامة.

حَزْنُ بنُ أبي وَهْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الحَسَبُ اللُّبَابُ:

❊ ما كانتْ شهرتُهُ عريضةً في عالَمِ الأماثل، إلا أنَّه أبٌ لعددٍ من الصَّحابةِ الأفاضل، بل إنَّ حفيدَهُ سيِّدُ علماءِ التَّابعين، وأحدَ جهابذةِ قريش المعدودين، ومن علْيةِ أعيانهم المشهورين.

❊ ولهذا الأب الحسيبِ ذكْرٌ في صحيحِ البخاريّ، وكتبِ السُّنَن، ومصنَّفاتِ الحديث والمعاجمِ، وما شابهها.

❊ كانت حياتهُ ونشأتهُ في مكَّةَ، وروى شيئًا من أخبارها، فقد أخرجَ أبو نُعيم، وابنُ قانع بسندِهِ عنه قال: «جاءَ سيلٌ في الجاهليةِ كَسَا ما بين الجبَلَيْن»[(١)].

❊ روى هذا الخبر: حزنُ بنُ أبي وهب بنِ عمرو بنِ عائذ بنِ عمران بن مخزوم القرشيُّ المخزوميُّ[(٢)]؛ جدُّ سعيد بن المسيّب.

❊ قال ابنُ عبد البرّ وابنُ الأثير: «كان من المهاجرين، ومن أشرافِ قريش في الجاهلية، وهو الذي أخذَ الحجرَ الأسودَ من الكعبةِ حين فرغَتْ قريش من قواعدِ إبراهيم، فَنَزَا الحجرَ من يدهِ حتَّى رجَعَ مكانه، وقيل: الذي رفعَ الحجرَ أبو وهب والدُ حَزْن، وهو الصَّحيح»[(٣)].

---

(١) معرفةُ الصَّحابة برقم (٢٢٥٩)، ومعجمُ الصّحابة (٢/ ٢١٢) برقم (٥٧٠).
(٢) تجريدُ أسماء الصحابة (١/ ١٢٩) برقم (١٣٢٩)، تهذيبُ الكمال (٥/ ٥٩٠)، والمعارفُ (ص٤٣٧)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٦٨)، وتاجُ العروس (٣٥/ ٤١٥)، والمنتظمُ (٤/ ٩٩)، وغيرها كثير.
(٣) الاستيعابُ (ص١٨٨)، وأسد الغابة (٥/ ٢).

* وهذا الحَسَبُ الرفيعُ، والنَّسبُ السَّاطعُ، جعلَ سعيدَ بنَ المسيب بنِ حزن ربَّما أنشد:

وعـمـرانُ بـنُ مخـزومٍ فَـدَعْـهـم   هـنـاكَ الـسِّرُّ والحـسَـبُ اللُّبابُ(١)

«أنتَ سَهْلٌ»:

* عُرفتْ في أخلاق حَزْنٍ وسلوكيتهِ بعضُ مظاهرِ القسوة والخشونَةِ، فقد أرادَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يسّميهِ سهلًا، فامتنعَ، وقال: «لا أُغَيِّرُ اسمًا سمَّانيه أبواي». وعند أميرِ أهلِ الحديث البخاريّ تفصيلٌ ذلك.

* أخرجَ البخاريُّ في الأدب؛ في باب: اسم الحزن، بسندٍ عن الزُّهريِّ، عن ابنِ المسيب، عن أبيه: «أنَّ أباه جاءَ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**ما اسمُكَ؟**»، قال: حَزْنٌ، قال: «**أنتَ سَهْلٌ**»، قال: لا أغيِّرُ اسمًا سمَّانيه أبي. قال ابنُ المسيب: فما زالتِ الحزونةُ فينا بعد»(٢).

صُحبةُ الأبِ وأبنائه:

* تشرَّفَ حَزْنٌ وأبناؤهُ بصحبةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبناءُ حزنٍ سمَّاهم ابن سعد فقال: «حزنُ بنُ أبي وهب المخزوميُّ... فَوَلَد حزن: عبد الرحمن، والمسيبُ

---

(١) الاستيعابُ (ص١٨٨).

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ برقم (٦١٩٠، ٦١٩٣)، وأبو داود برقم (٤٩٥٦)، ومعرفةُ الصَّحابة برقم (٢٢٦٠)، ومعجمُ الصحابة (٢/ ٢١١، ٢١١). وقوله «الحزْن»: ما غلظ من الأرض، وهو ضدُّ السَّهْل، واستُعْمِلَ في الخُلُق، يُقال: في فلان حزونة؛ أي: في خُلُقِهِ غلظةٌ وقساوةٌ.
قال ابنُ بطَّال: «وفيه أنَّ الأمرَ بتحسين الأسماء، وبتغيير الاسم إلى أحسنَ منه ليس على الوجوب». فتح الباري (١٠/ ٥٧٥).
وقال الطَّبريُّ: «لا تنبغي التَّسميةُ باسمٍ قبيحِ المعنى، ولا باسمٍ يقتضي التَّزكية له، ولا باسمٍ معناهُ السَّبّ».
وقال ابنُ حجر: «وقد غيَّر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدةَ أسماء، وليس ما غيّر من ذلك على وجه المنع من التَّسمي بها، بل على وجهِ الاختيار... ومن ثمَّ أجازَ المسلمون أنْ يُسمَّى الرجل القبيحُ بحسَن والفاسد بِصَالح، ويدلُّ عليه أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُلزِمْ حزنًا لما امتنعَ من تحويل اسمه إلى سَهْل بذلك، ولو كان ذلك لازمًا لما أقرَّهُ على قوله: لا أغيِّرُ اسمًا سمانيه أبي. وقد وردَ الأمر بتحسين الأسماء...». فتح الباري (١٠/ ٢٧٧) بتصرف يسير.

أسلمَ وصحبَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسائبُ، وأبو سعيد... وحكيمٌ قُتِل يومَ اليمامة شهيدًا»(١).

* واستدركَ ابنُ الأثير ابنًا آخر فقال: «أبو معبد بنُ حزن بن أبي وهب المخزوميُّ، أدركَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو وأخوهُ السائبُ، وعبدُ الرحمن... وأبو معبد عمُّ سعيد بن المسيب، ولا تُعرف له رواية»(٢).

* وعند ابنِ الأثير أنَّ السائبَ بنَ حزن عمُّ سعيدِ بنِ المسيب، أدركَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال مصعبُ الزُّبيريُّ: «المسيبُ، وعبدُ الرحمن، والسائبُ، وأبو معبد بنو حزن بن أبي وهب... ولم يُرْوَ عن أحد منهم إلا عن المسيب بن حزن»(٣).

* ويقدِّمُ ابنُ سعد قبسةً تاريخيةً وعلميةً عن المسيبِ بنِ حزن، فيقول: «المسيبُ ابنُ حزن المخزوميُّ... وعن سعيدِ بنِ المسيب، عن أبيه قال: كُنَّا في الحديبية مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حينَ صدَّهُ المشركون، فأَنْشَيناها -يعني: قَضَيناها-»(٤).

* وقال الطَّبرانيُّ: «مسيبُ بن حزن(٥)... وهو أبو سعيد بن المسيب، وكان ممن بايع تحت الشجرة»(٦).

* وللمسيبِ بنِ حزن أخبارٌ مفيدةٌ، ومنها ما جاءَ عنه أنَّه قال: «رأيتُ الشَّجرةَ، ثم أتيتُها بعدُ، فلمْ أعرفْها»(٧).

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ٩٩)، بتصرف واختصار.
(٢) أسدُ الغابة (٦/ ٢٨٦). وانظر أسماء أولاد حزن في التبيين (ص٣٥٣).
(٣) أسدُ الغابة (٢/ ٣٩٠)، بتصرّف.
(٤) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ١٠٠).
(٥) المعجمُ الكبير (٢٠/ ٣٤٧).
(٦) قالَ الكرمانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المسيبُ بنُ حزن هو وأبوه صحابيان». فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).
(٧) المعجمُ الكبيرُ (٢٠/ ٣٤٨) برقم (٨١٧)؛ وهو عند البخاري برقم (٤١٦٢) برقم (١٨٥٩).

* ومن أبناءِ حزن: «حكيمُ بنُ حزن، أسلمَ مع أبيه وأخيه يومَ فتح مكَّة، وقُتِلَ يومَ اليمامة شهيدًا سنة اثنتي عشرة في خلافةِ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

* وأما ابنُ حَزْن الآخر: عبدُ الرحمن، فقد ذكرهُ ابنُ الأثير فقال: «عبدُ الرحمن ابنُ حزن... قُتِلَ يوم اليمامة، وكان للمسيب بنِ حزن إخوةٌ؛ منهم: عبدُ الرحمن هذا، والسَّائبُ، وأبو معبد بنو حزن، كلُّهم أدركَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، ولا تُعرفُ لهم روايةٌ إلا المسيب فإنَّ له روايةً»(٢).

روايتُه عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

* حينما تكلَّم المزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن حزنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أسلمَ يوم الفتح، وروى عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه ابنهُ المسيب، وروى له البخاري(٣)، وأبو داود».

* وذكرهُ أبو المحاسن الحُسيني فقال: «حزنُ بنُ أبي وهب المخزوميُّ القرشيُّ، جدُّ سعيدِ بنِ المسيب، أسلمَ يومَ الفتح، واستُشْهِد باليمامةِ، روى عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنه ابنهُ المسيب»(٤).

* وممَّا رواهُ حزنٌ، ما أخرجَه أبو عبد الله البخاريُّ بسندهِ عن ابنِ المسيب، عن أبيهِ: «أنَّ أبا طالب لَمَّا حضرتْهُ الوفاةُ، دخلَ عليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وعنده أبو جهل- فقال: «**أي عَمِّ، قُلْ لا إله إلا الله كلمةً أحاجّ لكَ بها عندَ اللهِ**»، فقال أبو جَهْل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغبُ عن ملَّةِ عبد المطلب؟ فلمْ يزالا يكلِّمانِهِ حتَّى قال آخر شيءٍ كلَّمهم بهِ: على ملَّةِ عبد المطَّلب. فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنْهُ**»، فنزلَتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ

(١) طبقاتُ ابن سعد (٦/ ١٠٠).
(٢) أسدُ الغابة (٣/ ٤٣٠، ٤٣١).
(٣) سيأتي تخريج ما رواه البخاري إن شاء الله.
(٤) التذكرةُ بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص٣١١) برقم (١٢٠٠).

أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]. ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]»(١).

قبسةٌ منْ فَصاحة حَزْنٍ:

* منحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سيدنا حزنًا فصاحةً في اللسان، وبسطةً في البيان، فهو من آباء الصَّحابة الفَصَحة الذين رُزِقوا شيئًا من فَصْل الخطَاب.

* انتقلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّفيقِ الأعلى وهو راضٍ عن حَزْنٍ وأبنائِهِ، وشرعَ الصَّحابةُ يبايعونَ سيِّدنا أبا بكر الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سقيفةِ بني ساعدة، وقامَ خالدُ بنُ الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبًا يومها، وألقى خطبةً جميلةً، منها قولُه: «... ألا وإنَّ الوحيَ لم ينقطعْ حتىَّ أحكمَ، ولمْ يذهبِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنستبدلْ بعده نبيًّا، ولا بعدَ الوحي وحيًا، ونحنُ اليوم أكثرُ منَّا أمسِ، ونحنُ أمسِ خيرٌ منَّا اليوم، مَنْ دخلَ في هذا الدِّين كان ثوابهُ على حسبِ عمله، ومَنْ تركَهُ رددناهُ إليه، وإنَّه والله ما صاحبُ الأمر -يعني أبا بكر- بالمسؤول عنه، ولا ليُخْتَلَفَ فيه، ولا الخفيُّ الشَّخصِ، ولا المغموزُ القَناةِ...»(٢). فعجبَ النَّاسُ من كلامه...

* ومَدحَهُ حزنُ بنُ أبي وهب المخزوميّ -وهو الذي سمَّاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهلًا، وهو جدُّ سعيدِ بنِ المسيب الفقيه- وقال قصيدةً منها قولُه:

وقَامتْ رجالٌ من قريشٍ كثيرة ... فلم يَكُ منهم في الرِّجال كَخَالدِ
فجاءَ بها غَرَّاءَ كالبدرِ ضوءُها ... فسمَّيتُها في الحُسْن أُمَّ القلائدِ
أَخَالدُ لا تعدم لؤي بن غالب ... قيامَكَ فيها عند قذفِ الجلامدِ
تقارعُ في الإسلامِ عن صُلبِ دينهِ ... وفي الشِّركِ عن أحسابِ جدٍّ ووالدِ

(١) أخرجه البخاريُّ بهذا اللفظ في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٤)، وأخرجه في مواضعَ أخرى برقم (١٣٦٠، ٤٦٧٥، ٦٦٨١، ٤٧٧٢)، وأخرجه مسلمٌ في الإيمان برقم (٣٩/ ٢٤).
(٢) الأخبارُ الموفقيات (ص٤٦٦)!! وفي النفس شيء من هذه الرواية!!!.

وكـنـتَ لمخـزومِ بـنِ يـقـظـةَ جُنَّةً ... يـعـدُّكَ فيها مـاجـدًا وابـنَ ماجدِ
إذا مـا سمَـا في حربها ألـفُ فـارسٍ ... عـدلـتَ بـألـفٍ عند تلـكَ الشَّدائدِ
ومَـنْ يـكُ في الحـربِ المثيرة واحـدٌ ... فما أنْتَ في الحربِ العوانِ كواحدِ
إذا نــابَ أمـرٌ في قـريـشٍ مخلّج ... تشيبُ لـه رُؤْسُ الـعـذارى النَّواهدِ
تـولـيـتَ مـنـه مـا يُخـافُ وإنْ تغبْ ... يقولوا جميعًا حظّنا غير شاهدِ[1]

منْ شُهداءِ معركةِ اليمامةِ:

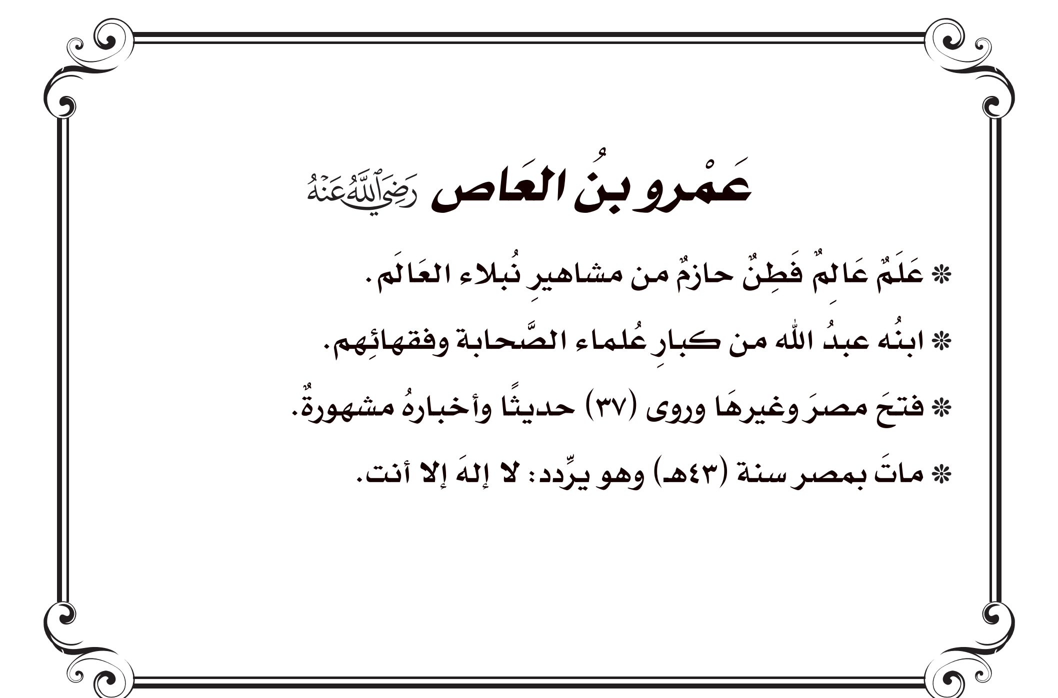
* انتظمَ سيدنا حزن في جيشِ المسلمين الذين خرجُوا إلى اليمامة لِقَمْعِ المرتدِّين، وكان معه بعضُ أبنائِهِ، ولما التحمَ الجيشان على أرضِ اليمامة، خاضَ حزنٌ غمارَ المعركة، ولقيَ الله شهيدًا، وقُتِلَ معه أيضًا ابناه: عبد الرحمن، ووهبٌ. وكذلك ابنُ ابنِ حكيمِ بنِ وهب بن حزن[2].

* قال المِـزِّيُّ عن حـزنٍ: «قُتِلَ شهيدًا باليمامة في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[3].

* وهكذا لقيَ هذا الأبُ اللهَ شهيدًا صادقًا وفيًا لدينِهِ وإسلامِهِ، فرضي اللهُ عن حزن وأبنائِهِ وأحفادِهِ، ونفَعَنا بسير آباءِ الصَّحابة. ونسألُه سبحانه أنْ يرفعَ لنا في عليين من الدَّرجات إلى الفردوس طريقًا، مع النَّبيين والصِّديقين والشَّهداء والصَّالحين وحَسُن أولئك رفيقًا.



(١) المصدرُ السَّابق ذاتُه بشيءٍ من الاختيار!!؟!!
(٢) البدايةُ والنهاية (٩/ ٤٩٤).
(٣) تهذيبُ الكمال (٥/ ٥٩١).



عَمْرو بنُ العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ عَلَمٌ عَالِمٌ فَطِنٌ حازمٌ من مشاهيرِ نُبلاء العَالَم.

❋ ابنُه عبدُ الله من كبارِ عُلماء الصَّحابة وفقهائِهم.

❋ فتحَ مصرَ وغيرهَا وروى (٣٧) حديثًا وأخبارهُ مشهورةٌ.

❋ ماتَ بمصر سنة (٤٣هـ) وهو يرِّدد: لا إلهَ إلا أنت.

عَمْرو بْنُ العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَبو العَالِم ورَجُلُ العَالَم:

* الحياةُ مع سيرةِ هذا الأب ممتعةٌ نافعةٌ شبيهةٌ بالقمر إذا طلعَ، وانتشرَ نورُهُ وسَطَع، وصَقَل نورَ ضيائهِ الأَزْهَر؛ الزَّهْر والنَّوْر والأرض والشَّجر، فهو عَلَمُ الدنيا، ورجلُ العالَم، ومَنْ يُضْربُ به المثلُ في الفِطْنة(١) والحزم وجَوْدَة الفهم: عمرو بنُ العاص بنِ وائل القرشيُّ السَّهميُّ المكيُّ(٢)؛ أبو عبدِ الله بن عمرو أحد علماء أبناء الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* وعمرو بنُ العاص(٣) أبٌ من مشاهير آباءِ العَالَم، وهو من كبار الصَّحابة، كما أَنَّه أبٌ لصحابيين اثنين هما: عبد الله بن عمرو، وعبدُ الله هو الإمامُ الحبرُ العابدُ صاحبُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنُ صاحبِه؛ أسلَم قَبْل أبيهِ، وكان خيِّرًا فاضلًا، له مناقبُ جِيادٌ كالسِّحر الحلال، وفضائلُ حِسانٌ كالبحر الزُّلال، ومقامٌ راسخ في العلمِ والعملِ والإفضالِ، حَمَلَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا كالسَّحاب الثِّقال، ويُعَدُّ من علماء الصَّحابة الكبار، ومن العبادلةِ الأربعةِ الأخيار، وروى (٧٠٠ حديث) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ممن كتبَ الوحي، ومناقبه جمَّةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبَوَيْه(٤).

---

(١) اقرأ ما كَتبَهُ الصِّقليُّ عنه، وعن ذكائِهِ وفطنته ودهائه في كتابِ: أنباء نجباء الأبناء (٧٥-٧٩)، فقد أتى بالعجبِ العاجب.

(٢) المصادر التي ترجمتْ سيرة سيدنا عمرو لا تحصرُ، ومنها: معرفةُ الصحابة برقم (٢٠٤١)، والمستدركُ (٣/ ٤٥٢-٤٥٥)، والعقدُ الثمين (٦/ ٣٩٨-٤٠٦)، وشذراتُ الذهب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وشرحُ قصيدة ابن عبدون (ص١٦٧)، والمنتظمُ (٥/ ١٩٦-٢٠٠)، وغيرها.

(٣) قال النَّوويُّ: «عمرو بنُ العاصي؛ الجمهورُ على كتابةِ العاصي بالياء، وهو الفصيحُ عند أهل العربية، ويقعُ في كثير من كتبِ الحديثِ والفقه أو أكثرها بحذف الياء، وهي لغةٌ. وقد قُرِئَ في السَّبع نحوه: كالكبير المتعال، والداع، ونحوهما». تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٠).

(٤) اقرأ سيرةَ عبد الله بن عمرو في البابِ الأوَّل من كتابنا: علماء الصَّحابة (ص١٢٧-١٦٦).

* ولسيدنا عمرو[١] ابنُ آخر اسمه: محمدُ بنُ عمرو، صَحِبَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغيرٌ، وتوفيَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حَدَثٌ، وشهد صفِّين، وقاتلَ فيها، ولم يقاتلْ أخوهُ عبدُ الله، ولا عقبَ لمحمدِ بنِ عمرو بنِ العاص، وكان فصيحًا، وله شعرٌ ينبضُ بالجمال والبلاغةِ أوردتْهُ المصادرُ[٢].

* قال ابنُ سعد: «وكان لعمروِ بنِ العاص من الوَلَد: عبدُ الله، وأمُّه ريطةُ بنتُ منبِّه ابنِ الحجاج، ومحمدُ بنُ عمرو وأمَّه مِنْ بَلِّي»[٣].

* أما والدُ عمرو: فهو العاصُ بنُ وائل السَّهميُّ، كان من حكَّام قريش، وله قدرٌ كبيرٌ في الجاهلية، ولم يسلمْ، وهو أحدُ المستهزئين. ماتَ مشركًا في مكَّةَ، وعاشَ خمسًا وثمانين سنة، وله ترجمةٌ وافرة في كتابنا: (المبشَّرون بالنَّار)[٤].

من عجائبِ المُصادَفات:

* جابَ عمرو بنُ العاص البلادَ، حيثُ كان من كبارِ التُّجار، فقد زارَ الشَّام، ومصرَ، والحبشةَ وغيرها، وهذه السِّياحةُ أعطتْهُ سَعَةً في الاطلاعِ والمَدارِكِ، زِدْ على ذلك أنَّه كان قارئًا كاتبًا بليغًا فصيحًا شاعرًا ذا حكمةٍ وتَجارِب.

---

(١) قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتّفقوا على أنَّ اسمَ عمرو يُكتبُ في حالتي الرفع والجر بالواو، ولا يكتبُ في النَّصب واو، قالوا: وكُتبتِ الواو فيه دونَ عمر لخفَّة عمرو بثلاثة أشياء: فتحُ أوَّله، وسكونُ ثانيه، وصَرْفُه...». تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤).

وقال الزُّبيديُّ: «عمرو: اسمُ رجل، يُكتب بالواو للفرق بينه وبين عمر، وتُسْقِطُها في النَّصب؛ لأنَّ الألفَ تخلُفُها، وجمع عمرو: أَعْمُرٌ وعُمُورٌ، قال الفرزدق يفتخر بأبيه وأجداده:

وشَيَّدَ لي زرارةُ باذِخَاتٍ وعمرو الخيرِ إنْ ذُكِرَ العُمور

و«الباذخات»: المراتبُ العالياتُ في المجد والشَّرف». تاج العروس من جواهر القاموس (١٣/ ١٣٤).

قلتُ: «يوجدُ في الصحابة ما ينوفُ عن مئتي رجلٍ باسم عمرو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ونفعنا بسيرهم».

(٢) الاستعيابُ (ص٦٤٦)، والإصابةُ (٦/ ٦١)، وتاريخُ مدينة دمشق (٦٥/ ٢٥-٣٠)، والتبيينُ (ص٣١٦).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٤٧).

(٤) اقرأ سيرة العاص بن وائل في كتابنا: المبشرون بالنار (ص٩٨-١١٦) طبعة دار ابن كثير.

* زارَ عمرو الإسكندريةَ في الجاهليةِ، فحضرَ فيها احتفالات، وشاركَ في لعبةِ الكُرة الذَّهبية التي دخَلَتْ في كُمِّ ثوبِهِ، وكانوا ينبِّؤون لحائزِ الكرة بحكُمِ البلاد، فعجبَ النَّاس لدخولِ الكرة في كُمهِ، وهو غريبٌ عن الإسكندريةِ، ثم تحققَّتْ هذه النبوءةُ، وحكمَ عمرو بنُ العاص أرضَ مصرَ في صَدْرِ الإسلام(١).

* وتفصيلُ هذه النُّبوءةِ العاجبةِ ساقَها الحِمْيريُّ في (روضِهِ) لما تكلَّم عن الإسكندريةِ وأهلِها وملعبِهم فقال: «وكان لهم يومُ مهرجان يجتمعون فيهِ في هذا المَلْعَب، ويحضرُهُ رؤساؤهم، وأبناءُ ملوكهم، وعامتُهم، ويلعبُ فيها الفتيانُ بالصَّوالج وبينهم كرةٌ، فإنْ دخَلَت تلكَ الكرةُ كُمَّ رجلٍ ممن حضَر ذلك اليوم؛ فلابدَّ له منْ ولايةِ مصر، كان هذا عندهم معروفًا لا ينكرُهُ أحدٌ، وكان عمرو بنُ العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد سافرَ إلى الإسكندريةِ في الجاهليةِ تاجرًا بالقُطْنِ والأَدَم، فحضرَ ذلك الملعبَ في ذلكَ اليوم، فلعبوا فيه بالكرةِ، فدخلتَ في كُمِّ عمرو بنُ العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعجبُوا من ذلك، وقالوا: ما كَذَبْتَنَا هذه الكرةُ قطُّ إلا اليوم، فكان ما قدَّرَ اللهُ تعالى من مجيء الإسلام، وولايةِ عمرو بن العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصرَ ثلاثَ مرَّات»(٢).

أَطعْنِي واتَّبعْهُ:

* شاركَ عمرو بنُ العاص قريشًا في محاربةِ المسلمين، فحضرَ معهم بدرًا وأحدًا، والخندقَ، وكان له في كلِّ موقعةٍ أثرٌ، وظلَّ على هذه الحالِ قرابةَ عشرين سنة، إلى أنْ هداهُ الله إلى الدِّينِ الحنيفِ في شهرِ صفر، سنة ثمان من الهجرة، وقد أخبرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بإسلام عمرو قبل مقدمه فقال: «**يقدمُ عليكم الليلة رجلٌ حليمٌ مهاجرٌ**»(٣).

(١) قريشٌ قبلَ الإسلام ص(٢٥٥) بتصرف يسير جدًا.
(٢) الروضُ المعطار في خبر الأقطار (ص٥٦).
(٣) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٢٩).

* روى سيِّدنا عمرو بنُ العاص قصَّةَ هدايتِهِ إلى الإسلام في كلامٍ طويلٍ له ومفادُه: «... كنْتُ للإسلامِ مجانبًا معاندًا، حضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوتُ، ثم حضرتُ أحدًا والخندقَ فنجوتُ، فقلتُ في نفسي: كم أُوضِعُ؟ والله لَيظهرنَّ محمدٌ على قريشٍ، فلحقْتُ بمالي بالوَهْطِ -بستان لعمرو بالطَّائف-، وأقللتُ من النَّاس، فلمْ أحضرِ الحديبيةَ ولا صُلْحهَا... وأنا نَاءٍ عن الإسلام، أرى لو أسلمتْ قريشٌ كلُّها لم أُسلمْ... ثم لحقتُ بالنَّجاشي مع جماعةٍ، وأهديتُ له أدمًا كثيرًا، فطابتْ نفسُه؛ ورأيتُ عمرو بنَ أميَّة الضَّمريَّ، فسألته أنْ يُسلمَنَا إياه فنقْتُلَه، فغضبَ وقال: تسألُني أنْ أعطيكَ رسولَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَنْ يأتيه النَّاموس الأكبرُ الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى بن مريم- لِتَقْتُلَهُ؟! قال عمرو: وغيَّرَ اللهُ قلبي عمَّا كنتُ عليه، وقلتُ في نفسي: عرفَ هذا الحقَّ العربُ والعجمُ، وتخالفُ أنتَ؟! قُلتُ: وتشهدُ أيُّها الملكُ بهذا؟ قال: نعم، أشهدُ بهِ عند الله يا عمرو، فأَطعْنِي واتَّبِعْهُ، والله إنَّه لَعَلَى الحقِّ، وليظهرنَّ على كلِّ مَنْ خَالفَه؛ كما ظهرَ موسى على فرعونَ وجنودِهِ، قلتُ: أفَتُبايُعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسطَ يده، فبايعتُه على الإسلام[1]... فكَسَاني ثيابًا، ثمَّ خرجتُ إلى موضعِ السُّفن، فركبتُ سفينةً حتى انتهيتُ إلى الشُّعيبة، فخرجتُ واشتريتُ بعيرًا، ومضيتُ أريدُ المدينةَ، فلقيتُ في الطَّريقِ خالدَ بنَ الوليد وهو يريدُ الإسلام، ومعه عثمانُ بنُ طلحة العبدريُّ، فترافقنا حتَّى قدمنا المدينةَ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّ لوجههِ تهلُّلًا، والمسلمون مِنْ حولهِ قد سُرّوا بإسلامنا، فتقدَّم خالدٌ فبايعَ، ثم تقدَّمَ عثمانُ فبايعَ، ثمَّ تقدمتُ فبايْعتُه على أنْ يُغفرَ لي ما تقدَّم مِنْ ذنبي، فقال: «**إنَّ الإسلامَ يجبُّ ما كان قبله، والهجرةُ تجبُّ ما كان قبلها**»، فوالله ما عَدَلَ بي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبخالدٍ أحدًا من أصحابهِ في

(١) من العجيب أن سيدنا عمرو بن العاص صحابي أسلم على يد تابعي وهو النجاشي.

أمرٍ حَزَبه منذُ أسلمنا، ولقد كُنَّا عند أبي بكرٍ بتلك المنزلةِ، ولقد كنتُ عند عمرَ بتلك الحال...»[١].

صَدَقْتَ يا عَمْرو:

* يُستفادُ من سيرةِ سيِّدنا عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعضُ الدروسِ التَّربويَّة، ومنها ألا يعتمدَ الإنسانُ على ذكائِهِ في أمورِ الدِّينِ، وعلى تقليدِ الآخرين، فقد يكونوا على غيرِ هدىً، ولا هدايةٍ؛ وفيما يأتي دليلُ ذلك...

* عن زيدِ بنِ أسلمَ قال: «قال عمرُ بنُ الخطَّاب لعمروِ بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لقد عجبتُ لكَ في ذهنِكَ وعقلكَ كيف لم تكنْ منَ المهاجرين الأوَّلين؟ فقال له عمرو: وما أعجبكَ يا عمرُ منْ رجلٍ قَلْبُه بيدِ غيره، لا يستفزُّ التّخلص منه إلا إذا أراد اللهُ الذي هو بيده، فقال عمر: صدقْتَ»[٢].

* وأرَّخَ ابنُ عساكر هذه المحاورةَ العَمْريةَ فقال: «قيلَ لعمرو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أبطأَ بكَ عن الإسلامِ وأنتَ أنتَ في عْقِلكَ؟ فقال: إنَّا كُنَّا مع قوم لهم علينا تقدُّمٌ وسِنٌّ، تُوازي حلومُهم الجبالَ، ما سلكوا فجًّا فتبعناهم إلا وجدناهُ سهلًا، فلمَّا أنكروا على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكرنَا معهم، ولم نفكرْ في أمرِنا، وقلَّدناهم، فلمَّا ذهبوُا؛ وصار الأمرُ إلينا، نظرنا في أمرَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وتدبَّرنا؛ فإذا الأمرُ بَيِّنٌ؛ فوقعَ في قلبي الإسلامُ...»، إلى أنْ قال: «ولا خيرَ في التَّمادي في الباطلِ»[٣].

«اللهمَّ اغْفِرْ لعَمرو»:

* احتفى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمرو بن العاص حفاوةً منيفةً، وكسَاهُ أوسمةً من حُللِ الثَّناء والإكرام، فكان يدعو له ويقول: «**اللهمَّ اغفرْ لعمرو**»، ثلاثًا، ويقولُ:

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٤٧-٥٠)، وتاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٢٥-١٢٧)، مع الجمع والتصرف.
(٢) كنزُ العمال (١٣/ ٥٤٩-٥٥٠) برقم (٣٧٤٣٦).
(٣) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٢٨)، وانظر: العقد الثمين (٦/ ٤٠٠، ٤٠١).

«رحمَ اللهُ عمرًا»، ويشهدُ له بالصِّدقِ والخيرِ فيقول: **«صدقَ عمرو، إنَّ لعمرو عندَ اللهِ خيرًا كثيرًا»**[١]، كما ذكرَ أنَّه من الصُّلحاء فقال: **«إنَّ عمروَ بَن العاص لمن صالحي قريش»**[٢].

* ودخلَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عمرو وزوجتِهِ وابنِهما، فرأى ما يسرُّه فقال: **«إنَّ عمرو بنَ العاص من صالحي قريش، ونِعْمَ أهلُ البيتِ عبدُ الله، وأبو عبد الله، وأمُّ عبد الله»**[٣].

* وهناك أوسمةٌ نبويةٌ لعمرو، فقد نالَ وسامَ الإيمان من خيرِ الأنام، حيثُ شهدَ له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأخيهِ هشامِ بنِ العاص بهذه المنقبةِ النَّاصعة فقال: **«ابنا العاص مؤمنان: هشام وعمرو»**[٤].

* ولعمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مكانةٌ متميزةٌ عند النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو رحنا نستقصي ذلكَ لطال بنا المقام؛ فحسبنا ما ذكرناه.

عبقريَّةُ عمرو القياديَّة:

* ارتقى سيِّدُنا عمرو بنُ العاص سدَّةَ الفضلِ، فكانَ من نجباءِ الصَّحابة وقادِتهم، وكانُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسلُه في الأمور المهمة، فقد كان ناصحًا أمينًا، وصادقًا مكينًا، وخبيرًا بالحربِ ومكائدِ الأعداء.

* ولنستمعْ إلى عمرو كيما يذكرَ لنا هذا الموقفَ المعبرَ فيقول: «بعثَ إليَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«خُذْ عليكَ ثيابكَ ثمَّ ائتني»**، فأتيتهُ وهو يتوضأُ، فقال: **«إنِّي أريدُ أنْ أبعثَكَ على جيشٍ فيُسَلِّمَكَ اللهُ، ويغنمَكَ وأرغبُ لكَ في المال رغبةً صالحةً»**،

---

(١) كنزُ العمال (١٣/ ٥٤٩) برقم (٣٧٤٣٣، ٣٧٤٣٥).
(٢) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٣٧)، والشريعة للآجري (ص٢٤٨٣) برقم (١٩٧٦).
(٣) كنزُ العمال (١٣/ ٥٤٨) برقم (٣٧٤٣٢)، وتاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٣٨، ١٣٩).
(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٣٥).

فقلتُ: يا رسولَ الله، ما أسلمتُ من أجلِ مال، ولكنّي أسلمتُ رغبةً في الإسلام، ولأنْ أكونَ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**يا عمرو، نعمَ المالُ الصَّالح للمرءِ الصَّالح**»[١].

* ولما أزفَ أوانُ سريةِ ذات السَّلاسل، بعثَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمروَ بنَ العاص على ذلكَ الجيش، وعددُهُ ثلاثَ مئة رجل، فيهم أبو بكر وعمرُ وغيرهُمُا، وعقدَ له لواءً أبيضَ، ولم يمضِ على إسلام عمرو أكثر من أربعةِ أشهر، ويكون مشهدُهُ هذا أوَّلَ المشاهدِ الإسلامية التي يشتركُ فيها.

* وينبغي ألا يغيبَ عن الأذهان أنَّ هذا الجيشَ على قلَّتِهِ من أفضلِ البعوثِ والسَّرايا، فهو يضمُّ كبارَ الصَّحابةِ وساداتهم وأعيانهم من المهاجرين والأنصار السَّابقين إلى الإسلام، واستطاع عمرو لخبرته بمكيدةِ الحرب أنْ يهزَمَ العدو[٢]، وأنْ يرجعَ إلى المدينةِ النَّبويَّةِ ظافرًا ناجحًا لم يُصَبْ أحدٌ من أفرادِ جيشهِ بأذىً، فَسُرَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك سرورًا كبيرًا، وأثنى على هذا الجيشِ وقادته[٣].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١٦/ ١٤٢، ١٤٣) بتصرف يسير، وانظر: فتح الباري (٨/ ٧٥)، ومعجم الصحابة لابن قانع (٢/ ٢١٣، ٢١٤) برقم (٧١٦).

(٢) نلمسُ عبقريةَ سيدنا عمرو العسكريّة والقيادية، وخبرتَه بإدارة الحرب بما أرخه أبو القاسم بنُ عساكر ورواه، فقال: «إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَه إلى ذاتِ السَّلاسل، فسأله أصحابه أنْ يأذنَ لهم أنْ يوقدوا نارًا ليلًا، فمنعهم، فكلَّموا أبا بكر أنْ يُكلّمَه في ذلك، فأتاه فقال: قد أرسلوا إليَّ، لا يوقدُ أحدٌ منهم نارًا إلا ألقيتُه فيها، فلقوا العدوَّ فهزموهم، فأرادوا أنْ يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرفَ ذلكَ الجيشُ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكوه إليه، فقال: يا رسولَ الله؛ إني كرهتُ أنْ آذنَ لهم أنْ يوقدوا نارًا فيرى العدو قلَّتَهُ، وكرهتُ أنْ يتبعوهم فيكون لهم مددٌ، فيعطفوا عليهم، فأَحْمَدَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره...». تاريخ مدينة دمشق (٤٦/ ١٤٤).

(٣) عن الحارثِ بنِ حسان بن كلدة البكري، قال: «دخلتُ المسجدَ، فرأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائمًا على المنبر يخطب، وفلان قائم متقلِّد السَّيف، وإذا راياتٌ سودٌ تخفقُ، قلتُ: ما هذا؟ قالوا: عمرو بنُ العاص، قدمَ من جيش ذات السَّلاسل». تخريج الدلالات السمعية (ص٣٦٥).

* وعن عبدِ الله بنِ بريدة قال: «بعثَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمروَ بنَ العاص في سريةٍ فيهم، أبو بكر وعمر، فلمَّا انتهوا إلى مكانِ الحربِ أمرهم عمرو أنْ لا تنوِّروا نارًا، فغضبَ عمرُ، فهمَّ أنْ يأتيه فنَهاهُ أبو بكر؛ وأخبره أنَّه لم يستعملْه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليكَ إلا لِعِلْمِهِ بالحربِ، فهدأَ عنه»[١].

* نالتْ غزوةُ ذات السلاسل مساحةً واسعةً من شعْرِ أحمد محرم؛ الذي صاغَ قصيدةً موحيةً، منها قولُه مخاطبًا سيِّدَنا عمروَ بنَ العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وكُنتَ القائدَ الفَطِنَ الملقَّى ... فُنونَ المكْرِ والكيدِ الخفي
مَنَعتَ النَّارَ خيفةَ أنْ تَعرَّى ... جنودك شيمةَ الحذرِ الذَّكي
ولم تَتْبعْ قضاعةَ إذ تولَّتْ ... وإذ ذُهِلَ الصَّفيُّ عن الصَّفي
أَجَلْ يا عمرو ما بكَ من خَفاءٍ ... إذا فزِعَ الرجالُ إلى الكفي[٢]

* تمخَّضَتْ هذه الغزوةُ عن عبقريةِ عمرو وفضلِه، وقد تألَّق ابنُ حجر في كلامِهِ عن هذا الموضوع فقال: «وفي هذه الغزوة جوازُ تأمير المفضولِ على الفاضل؛ إذا امتازَ المفضولُ بصفةٍ تتعلَّقُ بتلك الولاية، وفيها منقبةٌ لعمرو بن العاص لتأميرِه على جيشٍ فيهم: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم، لكنْ يقتضي أنَّ له فَضْلًا في الجُملة»[٣].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٤٥). قال إبراهيمُ النخعيُّ: «عقدَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لواءً لعمرو بنِ العاص على أبي بكر وعمر، وسراةِ أصحابهِ في غزوةِ ذاتِ السَّلاسل». وقال الليثُ بنُ سعد رَحِمَهُ اللهُ: «نظرَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى عمرو بنِ العاصِ يمشي فقال: ما ينبغي لأبي عبدِ الله أنْ يشميَ على الأرضِ إلا أميرًا»، وقال الذهبيُّ: «كان عمرو من أفرادِ الدهرِ دهاءً، وجلادةً وحزمًا، ورأيًا، وفصاحةً». تاريخ الإسلام، عهد معاوية (ص٩٢، ٩٥).

(٢) ديوانُ مجد الإسلام (ص٤٤٠، ٤٤١).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٧٥) بتصرف يسير.

ولايةٌ موفَّقةٌ:

* يُصنَّفُ هذا الأبُ الحصيفُ من أُمناء الصَّحابة، فهو من كَتَبَةِ الوحي، وقد بعَثَهُ الصادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مَلِكَي عمان؛ جَيْفَر وعبد ابني جُلَنْدَى الأزديَين، فهو كاتبٌ ورسول(١).

* كانت ولايةُ سيدنا عمرو على عُمانَ موفَّقةً ميمونةً، حيث أسلمَ ملكُها وأهلُها على يديه، فقد كان عمرو من الأَبْنَاءِ الفَصَحة؛ وها نحنُ نلقي مقاليدَ قصَّة إسلامِ أهلِ عمان لعمرو، لنمتعَ الأسماع، حيثُ يقول: «بعثَني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واليًا على عمانَ، فأتيتُها، فخرجَ إليَّ أساقفتُهم ورهبانُهم، فقالوا: مَنْ أنت؟ قلتُ: عمرو بنُ العاص بنِ وائل السَّهميُّ، رجلٌ من قريش، قالوا: ومَنْ بَعَثَكَ؟ قلتُ: رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: ومَنْ هو؟ قلتُ: محمدُ بنُ عبد الله بنِ عبد المطلب، هو رجلٌ منّا قد عرفناهُ وعرفْنَا نسَبَه، أَمرَنا بمكارمِ الأخلاقِ ونهانَا من مساوئها، وأمرنا أنْ نعبدَ اللهَ وحده...»(٢).

* ثم جرى حوارٌ لطيفٌ بين سيِّدنا عمرو والعُمانيين فأسفر في ختامهِ عن فوزِ عمرو بالدعوةِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فأعلنَ رئيسهُم إسلامه، وأسلمَ مَنْ معه(٣).

من نُبلاءِ الفاتحين وأشرافِ المُلوك:

* ماتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راضٍ عن عمروِ بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي عَهْدِ الخلافةِ الرَّاشدة تبوَّأَ منزلةً متميزةً عند الخلفاء الرَّاشدين، فقد بعثَه سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جُملة مَنْ بَعَثَ من أمراءِ الجيش إلى الشَّام، فكان ممن شهدَ تلكَ الفتوحات

---

(١) المصباحُ المضي (ص٢٣١) بتصرف يسير.
(٢) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٥٢).
(٣) انظر الخبر كاملًا في تاريخ مدينة دمشق (٤٦/ ١٥٢، ١٥٣).

المباركة، وكانت له الآراءُ السَّديدةُ، والمواقفُ الحميدةُ، والأحوالُ السَّعيدةُ، والأعمالُ الرشيدةُ، وكتَبَ صحائفَ ناصعةً في سجلات الجهاد، وميادين الفتوحات، وله الآثارُ الواضحات يومَ اليرموك، وله أثرٌ كريمٌ في فتح حَلَبَ، إذ إنَّ أبا عبيدة بنَ الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثَه -بعد فراغِهِ من اليرموك- إلى قِنِّسْرين، فصَالحَ أهلَ حلب، وكتبَ لهم كتابًا[(١)].

* ولفتَ خليفةُ بنُ خياط النَّظَرَ والفكرَ إلى أعمالِ سيدنا عمرو وفتوحاتِهِ فقال: «ولَّى عمرُ بنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمروَ بنَ العاص فلسطينَ والأردنَّ، وكتبَ إليه عمرُ، فسار إلى مصرَ فافتتَحها»[(٢)].

* وما ظنُّكَ بمن يفتحُ قُطرًا شاسِعًا مُباركًا مثل مصر؟ لهذا أثنى على سيدنا عمرو كبارُ نبلاء الدنيا، ومنهم أبو سعيد الأشجّ قال: «إنَّ الله أعزَّ دينَه بعمرو بنِ العاص، ومعاويةَ بنِ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٣)].

* وفي رحلةِ الإنصاف نطَّلعُ على ما قاله الذَّهبيُّ في سيدنا عمرو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وكان من رجالِ قريش رأيًا، ودهاءً، وحزمًا، وكفاءةً، وبصرًا بالحروبِ، ومن أشرافِ مُلوكِ العرب، ومن أعيانِ المهاجرين، واللهُ يغفرُ له ويعفو عنه، ولولا حبُّهُ للدنيا، ودخولُه في أمورٍ، لَصَلحُ للخلافةِ، فإنَّ له سابقةً ليست لمعاويةَ، وقد تأمَّرَ على مثلِ أبي بكر، وعمر[(٤)]، لبَصرَهِ بالأمورِ ودهائِهِ»[(٥)].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٥٧).

(٢) السَّابقُ ذاته.

(٣) تاريخُ مدينة دمشق (٣/ ١٦١) بتصرف يسير.

(٤) سيدنا عمرو هو أوّلُ مَنْ سمَّى سيدنا عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين، إذ دخلَ عليه مرةً وقال: «السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين»، ولما سألَه سيدنا عمر عن ذلك قال عمرو: «أنتَ الأميرُ ونحنُ المؤمنون». تخريج الدلالات السمعية (ص٥٠).

(٥) سيرُ أعلام النبلاء (٣/ ٥٩).

من بُلغَاء الصَّحابة وحُكَمائهم:

* علمنا أنَّ سيدنا عمروَ بنَ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد كبارِ الصَّحابة وفرسانهم ونجبائهم وذوي آرائهم، مذكورٌ بذلك فيهم، وله أمثالٌ حَسَنةٌ، وأشعارٌ جيدة، وله كثيرٌ من الأدبيَّات في مشاهدَ شتَّى.

* ولعمرو كلماتٌ أرقُّ من نسماتِ السَّحر، وأزكى من العطر المُعَنْبر، ومنها قوله في السِّر وكتمانه وإعلانه: «ما استودعتُ رجلًا سرًّا فأفشاهُ فلمتُه، لأنّي كنتُ أضيقَ صدرًا حين استودعتهُ، وقال:

إذا أنتَ لمْ تحفظْ لنفسِكَ سرَّها فَسِرُّكَ عندَ الناسِ أفشى وأضْيعُ»[(١)]

* والعاقلُ له نصيبٌ وصفَاتٌ باهرةٌ في كلماتِ سيدنا عمرو حيثُ قال: «ليسَ العاقلُ الذي يعرفُ الخيرَ من الشَّر، ولكنَّ العاقلَ الذي يعرفُ خيرَ الشَّرَّين، وليس الواصلُ الذي يَصِلُ مَنْ وَصَله، ولكنَّه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَه»[(٢)].

* ومن بدائعِ حكمته لابنِهِ عبدِ الله قوله: «يا بنيّ؛ استراحَ مَنْ لا عَقْل له». وقال لابنه أيضًا هذه الحكمة النَّاطقة بالمعرفة: «يا بُنيَّ، سلطانٌ عادلٌ خيرٌ منْ مَطَرٍ وابل، وأسدٌ حطومٌ خيرٌ من سُلطان ظَلوم، وسلطانٌ غشومٌ ظلومٌ خيرٌ من فتنةٍ تدوم، يا بنيَّ؛ زلَّةُ الرِّجْلِ عظمٌ يُجْبَر، وزلّةُ اللسانِ لا تُبقي ولا تذر»[(٣)].

* ودقِّقِ النَّظرَ في هذه النَّصيحةِ التي تتعلَّمُ منها ريحُ الصَّبا لُطْفَ الشَّمائل، والتي تدلُّ على خبرته بمعادن النَّاس، حيث يقولُ: «استوحشْ منَ الكريمِ الجائع، ومن اللئيمِ الشَّبعان، فإنَّ الكريمَ يصولُ إذا جاعَ، واللئيمُ يصولُ إذا شبعَ»[(٤)].

---

(١) كتابُ السلطان لابن قتيبة (ص١٠٩).

(٢) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٨٦).

(٣) مختصرُ تاريخ دمشق (١٩/ ٢٥١).

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٨٥)، ولله درُّ أحدِ البلغاءِ إذا صاغَ هذه المعاني شعرًا جميلًا، واستلهمها من كلمات سيّدنا عمرو فقال: =

* ويزيدُ رصيدَ الأدبِ ألقًا في حكمتِهِ النَّفيسة عن علو الهمَّة، فيقول: «المرءُ حيثُ يجعلُ نفسَه، إنْ رفعَها ارتفعَتْ، وإنْ وضَعَها اتَّضعَتْ»[١].

* ولسيدنا عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصيبٌ لطيفٌ أليفٌ مفيدٌ من حكمةِ سيدنا عمرو وكلماته، ومنها قولُه: «ليس الأبُ البرُّ بولدِهِ بأبرَّ من عمرَ بنِ الخَّطاب برعيتِهِ»[٢].

* وذكَرِ عمرو يومًا سيِّدَنا عمرَ، فترحَّمَ عليه وقال في تحريهِ الحقِّ: «ما رأيتُ أحدًا -بعد نبيِّ الله وأبي بكر- أخوفَ لله من عمرَ، لا يبالي على مَنْ وقعَ الحقّ، على ولدٍ أو والدٍ...»[٣].

* ومن كلماتِهِ الحِسان؛ التي لها وقعٌ في نفوس أولي العرفان؛ ما ذكروا أنَّه: «رُئيَ على بغْلَةٍ هرمةٍ، وهو إذ ذاكَ أميرُ مصرَ، فقيل له: أتركبُ هذه وأنتَ أميرُ مصرَ؟! فقال: لا مَلَلَ عندي لدابتي ما حَملتني، ولا لامرأتي ما أحسنَتْ عشيرتي، ولا لصديقي ما حفظَ سرّي، إنَّ المللَ من كواذبِ الأخلاق»[٤].

* وله تجارِبُ عميقةٌ بالنَّاس، فقد قيل له: «صِفِ الأَمْصَار؛ فقال: أهلُ الشَّام أطوعُ النَّاس للمخلوق؛ وأعصاهُ للخالق، وأهلُ مصر أكيسُهم صغارًا وأحمقُهم كبارًا، وأهلُ

= إذا امتلأتْ أيدي اللئيم منَ الغنى ... تطاوَلَ كِبرًا ثمَّ قالَ أنَا أنَا
ولكنْ كريمُ الأصلِ كالغصنِ كلَّما ... تحمَّلَ أثقالًا تواضعَ وانحنى

وقال غيره:

إذا افتقرَ الكريمُ فَلُذْ إليه ... فَشَمُّ الوردِ بَعْدَ القطْفِ عاده
وإنْ سَعِدَ البخيلُ فصُدَّ عنه ... كبَيتِ خَلاءٍ تتلفُه الزِّياده

(١) غررُ الخصائص الواضحة للوطواط (ص١٢)، ولله درُّ مَن قال:

وما الحرُّ إلا حيثُ يجعلُ نفْسَه ... ففي صالح الأعمال نفسَكَ فاجعل

(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (١٩/ ٢٤١).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٧١).

(٤) النجومُ الزاهرة (١/ ٨٩)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٨١).

الحجاز أسرعُ النَّاس إلى الفتنة؛ وأعجزهم فيها، وأهلُ العراق أطلبُهم للعلم؛ وأبعدهُم منه»(١).

مَعَ ابنَـي عَمْرو:

* تزدانُ المصادرُ بحلي سيرةِ عمرو مع ابنَيه، وخصيصى ابنه عبد الله؛ فقد كان ملازمًا لأبيهِ، وفي يومِ اليرموك: «كانت رايةُ عمرو يحملهُا ابنهُ عبد الله، وكانت سوداء»(٢). قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهدَ مع أبيهِ فتحَ الشَّام، وكانت معه رايةً أبيه يومَ اليرموك»(٣).

* ولابنَيه عبد الله ومحمد خبرٌ ممزوجٌ بالتَّربية الصَّادقة لهما، ومفادُ الخبرِ وملخَّصُه: «بلغَ عمرو بيعةَ النَّاس عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَدعَا ابنَيه، واستشارهما، فقال له عبدُ الله: صحبْتَ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفيَ وهو عنك راضٍ، وصحبْتَ أبا بكر وعمرَ، فتوفيا وهما عنكَ راضيان، ثم صحبتَ عثمانَ فقُتِلَ وهو عنك راضٍ، فأرى أنْ تلزمَ بيتَكَ، فهو أسلمُ لدينكَ. وقال له ابنهُ محمد: أنتَ شريفٌ من أشراف العرب، ونابٌ من أنيابها، لا أرى أنْ تختلفَ العربُ في جسيمِ أمورها لا يُرى مكانُك. فقال عمرو لابنه عبد الله: أمَّا أنتَ فأشرتَ عليَّ ما هو خيرٌ في آخرتي، وأما أنتَ يا محمدُ؛ فأشرتَ عليَّ بما هو أَنْبَهُ لِذْكرى...»(٤).

«أطِعْ أباكَ...»:

* نِعَمُ الإلهِ على العبادِ لا تُحصى، ومن أجملها نجابةُ الأبناءِ، فقد كان عبدُ الله بنُ عمرو من نُبلاء أبناء الصَّحابة ونجبائهم، ومشاهيرهم، وكان مُجِدًّا في العبادة، تلّاءً

(١) تهذيبُ الكمال (٢٢/ ٨٢)، والنجوم الزاهرة (١/ ٨٩)، وفي النفس شيء من هذا الخبر!!
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٦) بتصرف يسير.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٢).
(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٦٦-١٦٨) بتصرف يسير.

للقُرآن، محبًا للعلم والحديثِ، كاتبًا حصيفًا، حفظَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألفَ مثَل، وفضائله فوَّاحةٌ لا تكادُ تُجمع.

* كان عبدُ الله شديدَ البِرِّ بوالديهِ، ومن أبرِّ الأبناء بآبائهم، وعملَ بوصية النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أمَرهُ فقال له: «**أطعْ أباكَ مادامَ حيًّا ولا تَعْصِهِ**».

* وكان سيدنا عمرو يهتمُّ بابنه، ويرقُبُ أعمالهَ عن جُنُب، ويوجهُهُ لما فيه الفلاح والصَّلاح والنَّجاح، ومرضاةُ العليم الفتاح، فقد ذكروا أنَّه زوَّجَه أُمَّ محمد بنتَ محمية بنِ جزء الزَّبيديّ، وكانت امرأةً ذات حسَب ونسبٍ وجَمالٍ من قريش، ودفعَ عنه مهرها، وكان يتعاهدُ أمورها، حتَّى أخبرتْه أنَّ ابنَه عبدَ الله منصرفٌ عنها إلى العبادةِ، وههنا دعاهُ عمرو ولامَهُ وقال له: «أنكحتُك امرأةً من قريش ذات حَسَب، فَعَضَلْتَها، وفعلتَ وفعلتَ وفعلتَ»، ثمَّ شكاه إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلَّمه أنْ: «يصومَ ويفطرَ، ويصلي وينامَ، ويمسَّ النِّساء»[(١)].

* وفي مضمار العبادةِ ومحبَّة الصِّيام روى ابنُ سعد: «أنَّ عبدَ الله بنَ عمرو دخلَ على أبيهِ عمرو في أيام منى، فدعاهُ إلى الغداء فقال: أني صائمٌ، ثم الثَّانية فكذلك، ثمَّ دعاه الثَّالثة، فقال عمرو: لا؛ إلّا أنْ تكونَ سمعتَه منْ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فإنّي سمعتُه من رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

لا إلهَ إلا أنتَ:

* حياةُ سيدنا عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زاخرةٌ بالعلْمِ والعَمل، ومناقبُهُ وفضائلهُ كثيرةٌ جدًا، فهو من رواةِ الحديث، روي له عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٧ حديثًا) وروى له الجماعة[(٣)].

(١) انظر كتابنا: هل تحبّين حماتك (ص٣٩٩-٤٠١)، وللحديث أصل عند البخاري برقم (٥٠٥٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٨٥).
(٣) تهذيبُ الكمال (٢٢/ ٨٥)، وتهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ٣١)، مع الجمع بينهما.

* ويعدُّ عمرو من مُعَمَّري الصَّحابة، وله وقفاتٌ عظيمةٌ عند وفاتِهِ تحملُ بين طيَّاتها الموعظة، فقد ذكروا: «أنَّه لما حضرتْهُ الوفاةُ دمعتْ عينهُ، فقال ابنهُ عبدُ الله: يا أبا عبد الله، أجزعٌ من الموتِ يحملُك على هذا؟ قال: لا، ولكنْ ما بعدَ الموت»[١].

* قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما احتُضرَ عمرو بنُ العاص نظرَ إلى صناديقَ فقال: مَنْ يأخذُها بما فيها، يا ليَته كان بَعْرًا، ثمَّ أمَر الحرس فأحاطوا بقصرِهِ، فقال بنوه: ما هذا؟ فقال: ترون هذا يُغني عنّي شيئًا»[٢].

* وحضَرتِ الوفاةُ عمرًا، فجعلَ يردِّدُ: لا إلهَ إلا أنتَ. ولم يزلْ يردِّدُهَا حتَّى توفي[٣].

* قال النَّوويُّ: «وفي وفاتِهِ حديثٌ مليح»[٤]، وهذا الحديثُ المليحُ أخرجَه مسلمٌ عن شماسة المهريِّ قال: «حضرنا عمرو بنَ العاص وهو في سياقةِ الموتِ، فبكى طويلًا وحوَّلَ وجهه إلى الجدارِ، فجعلَ ابنهُ يقولُ: يا أبتاهُ، أمَا بشَّرك رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكذا؟ قال: فأقبلَ وجهه فقال: إنَّ أفضل ما نعدُّ شهادة أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله...»، ثمَّ قال في آخره: «فإذا دفنتموني فسُنُّوا عليَّ التُّرابَ سنًّا، ثم أقيموا حولَ قبري قَدْرَ ما تُنْحَرُ جزور، ويُقسمُ لحمها، حتَّى أستأنسَ بكم، وأنظرُ ما أراجعُ به رسُلَ ربِّي»[٥].

* كانت وفاةُ عمرو في مصرَ يومَ الفطْرِ سنة (٤٣هـ) وعمرهُ يزيد عن تسعينَ عامًا، ولم يبقَ أحدٌ شهدَ العيدَ إلّا صلَّى عليه[٦].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٤٦/ ١٩٣).
(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (١٩/ ٢٥٢، ٢٥٣).
(٣) النجومُ الزاهرةُ (١/ ١٥٠).
(٤) تهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ٣١).
(٥) أخرجه مسلمٌ في الإيمان برقم (١٢١)، وهو حديثٌ طويلٌ.
(٦) انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٨١)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٦/ ١٩٩، ٢٠٠)، وغيرها.

* قال الذَّهبيُّ: «ورثَ عبدُ الله من أبيهِ قناطيرَ مقنطرةً من الذَّهب المِصريِّ، فكان من مُلوك الصَّحابة»(١). وقال أيضًا: «وخلَّف أموالاً كثيرةً، وعبيدًا، وعقارًا، يُقال: خلَّفَ من الذَّهب سبعين رقبةَ جَمَلٍ مملوءةً ذهبًا»(٢).

* تلكم أزاهرُ مونقةُ من سيرة أبٍ كريم، فما أحلاها وأملحَها! ورأينا من خلالها منَ الحسنِ والإحسانِ، بما يقصر عن وصفهِ لسانُ القلم وقلمُ اللسان. فرضي الله عن عمرو بنِ العاص، صاحبِ الفضائل التي ليس لها عددُ، و:

أدخلَـه اللهُ ظِـلَّ رحمتِـهِ ... فهو الرحيمُ المهيمنُ الصَّمدُ



---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٠)، وقال الذهبي أيضًا في موضع آخر: «ولقد خلف من الذهب قناطير مقنطرة». سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٧).

مَخْرَمَةُ بنُ نَوفَل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

❋ عالِمٌ بأيَّامِ قريشٍ وكان يُؤْخَذُ عنه النَّسَب.

❋ كانَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُداريهِ ويُهدي له.

❋ هو أحدُ المُعَمَّرين وأبو عددٍ منَ الصَّحابة منهم المِسْورُ.

❋ عاشَ (١١٥) عامًا وماتَ سنة (٥٤هـ) في خلافةِ معاوية.

مَخْرَمَةُ بْنُ نَوفَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَنَ الآباءِ المُعَمَّرين:

* هو أحدُ الآباء المُعمَّرين الذين لهم علْمٌ بأيامِ النَّاس؛ وبأحوالِ قريش، وكان يُؤْخَذُ عنه النَّسبُ، واسمُه: مخرمةُ بنُ نوفل بنِ أهيب القرشيُّ الزُّهريُّ(١)، أبو صفوان، وقيل: أبو المسور، وهو والدُ المِسْورِ بنِ مخرمةَ الزُّهريّ.

* كان كبيرَ بني زُهرة، وهو ابنُ عمِّ سعدِ بنِ أبِي وقاص(٢)، وكان والدهُ نوفلُ بنُ أهيب ابنَ عمِّ آمنةَ بنتِ وهب(٣) والدةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجاء في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَاه حُلَّةً فاخرةً، ولهذا أكرمه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبشَّ به

* أسفرتْ ترجمةُ مخرمةَ عن معلوماتٍ مفيدةٍ عند ابن عبد البرّ حينما قال: «... كان من مُسْلمة الفتح، وكان له سِنٌّ وعلمٌ بأيامِ قريش، وكان يُؤْخَذُ عنه النَّسب، وكان أحدَ علماء قريش... وكان شهمًا أبيًّا... وهو أحدُ المؤلَّفة قلوبهم، وممَّن حَسُنَ إسلامه منهم، وهو أحدُ الذين نصبوا أعلامَ الحرم لِعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٤).

أخبارُ مخْرميَّةٌ:

* تسهمُ الأخبارُ المخرميةُ في إيضاحِ بعضِ أحداثِ الدعوة الإسلاميةِ في بدايتها؛ ونطلَّعُ على ما أخرجَه الطبرانيُّ وغيرهُ عن مخرمةَ؛ قالوا: «لما أظهرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) تهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ٨٥، ٨٦)، وأسدُ الغابة (٥/ ١١٩، ١٢٠)، والتبيينُ (ص٢٥٧)، والعقدُ الثمين (٧/ ١٦١-١٦٣)، ونكتُ الهميان (ص٢٨٧، ٢٨٨)، وغيرها كثير.

(٢) اقرأ سيرته في الباب الأول من كتابنا: فرسان من عصر النبوة.

(٣) اقرأ سيرتها في كتابنا: نساء من التاريخ.

(٤) الاستيعابُ (ص٦٧٦، ٦٧٧) بتصرف، وانظر: تخريج الدلالات السمعية (ص٢٤٥)، وإتحاف الورى (٢/ ٩)، وأبناء الصحابة (ص٢٤٢)، وغيرها.

الإسلامَ؛ أسلمَ أهلُ مكَّة كلُّهم، وذلك قبلَ أنْ تُفرضَ الصَّلاةُ، حتى إن كان ليقرأ السَّجدةَ فيسجدون، ما يستطيعُ أحدهم أنْ يسجدَ من الزِّحامِ، حتَّى قدمَ رؤساءُ قريش: الوليدُ بنُ المغيرة، وأبو جهل بنُ هشام، وغيرهُما، وكانوا بالطَّائفِ في أرضهم، فقالوا: تَدَعُون دِينَ آبائكم، فكَفَروا»(١).

* وفي الأيامِ التي سبقتْ غزوةَ بدرٍ كان مخرمةُ مقبلًا من الشَّام في عيرٍ لقريش، فيها أموالٌ وتجارةٌ، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلًا: منهم: مخرمةُ، وعمرو بنُ العاص، فنجا مخرمةُ ومَنْ معه، وخلصوا إلى مكَّةَ بعد أنْ غيّروا طريقَهم، ولم يشهدْ بدرًا أحدٌ من المشركين من بني زُهرة، ولا من بني عدي(٢).

* نثرَ السُّيوطي دررًا من المعرفةِ حينما نقلَ عن البيهقي أنَّه قال: «أقبلَ أبو سفيان بنُ حرب في عِيْرٍ لقريش من الشَّام، ومعه سبعون راكبًا من بطونِ قريش كلّها، وفيهم مخرمةُ بنُ نوفل، وعمرو بنُ العاص، وكانوا تُجَّارًا بالشَّام، ومعهم خزائنُ أهل مِكَّة...»(٣).

«خبَّأتُ لكَ هذا»:

* رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وقد ورد أنَّه كان يكرمُ مخرمة ويُداريه، ويتَّقي لسانه(٤).

* أسلمَ مخرمةُ يومَ الفتح، وكان منَ المؤلَّفة قلوبُهم، وشهدَ حنينًا مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاهُ خمسين بعيرًا منَ الغنائم.

---

(١) المعجمُ الكبير (٢٠/ ٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٠)، وانظر: الإصابة (٦/ ٧٠).

(٢) انظر: البداية والنّهاية (٥/ ٢٥، ٧٨) بتصرف، وانظر: فتح الباري (٧/ ٢٨١، ٢٨٢)، والسِّيرة النبوية (١/ ٦٠٦، ٦٠٧)، وإمتاع الأسماع (١/ ٨٥، ٨٦).

(٣) الدر المنثور (٧/ ٢٩، ٣٥). وقال ابنُ عساكر عن مخرمة: «قدمَ دمشقَ في الجاهلية، وكان في عيرِ قريش التي خرجَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبها، وكانت وقعةُ بدرٍ بسببها». تاريخُ مدينة دمشق (٥٧/ ١٤٧).

(٤) قال أبو نعيم الحافظ: «مخرمةُ بنُ نوفل... كانَ منَ المؤلفة قلوبهم، أسلمَ عام الفتح، وكان في لسانه فظاظة، يكنى أبا المسور». تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ١٥٤).

* وذات مّرةٍ أهدى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخرمةَ قباء فاخرًا، ففي بابِ قسمةِ الإمام ما يَقْدُمُ عليه من جهةِ أهل الحربِ، أخرجَ البخاريُّ بسنده عن عبدِ الله بنِ أبي مليكة: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهديتْ له أقبيةٌ من دَيباج مُزرَّدة بالذَّهب، فقسمَ في ناسٍ من أصحابه، وعزلَ منها واحدًا لمخرمةَ بنِ نوفل، فجاء ومعه ابنُهُ المسورُ بنُ مخرمة، فقامَ على الباب، فقال: ادْعُهُ لي، فسمعَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذَ قباءً، فتلقَّاهُ به، واستقبله بأزراره، يا أبا المِسْور خبَّأْتُ لكَ هذا، يا أبا المسور خبأْتُ لكَ هذا، وكان في خُلُقِهِ شيءٌ»[1]. فَدَاراهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدارةً لطيفة[2].

* وفي رواياتٍ متعددة عند ابنِ عساكر ملَّخصُها: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسَّمَ أقبيةً، ولم يعطِ مخرمةَ، ثم ما لبث أنْ جاءه قباءٌ من دَيباجٍ مَزْرورٍ بالَّذهب، فوضَعَه بين يديه، فجعل كلَّما جاءَهُ إنسانٌ يخشى أنْ يسألهَ قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا لِخَالي مَخْرمة**»، فجاء مخرمةُ؛ فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خبَّأْتُ لكَ هذا**»، فنظرَ مخرمةُ إلى محاسنِ القباء، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رضيَ مخرمةُ**»[3].

---

(١) أخرجَه البخاريُّ في فرضِ الخمس برقم (٣١٢٧)، وفي الأدبِ برقم (٦١٣٢).

(٢) قلتُ: «المداراةُ علْمٌ يهبَهُ اللهُ مَنْ يشاءُ من عباده، والمداراةُ معناها: الملاينةُ والملاطفةُ وخفضُ الجناح للنَّاس، ولينُ الكلام، ودفعهُم برفقٍ، والواجبُ على العاقل أنْ يُداري النَّاس لتصفوَ له حياته، وتصفوَ له موّدتهم، فمداراةُ الناس صَدَقة، كما أنَّ التَّودّد إلى النَّاس نصفُ العقل، ولله درُّ أبي سُليمان الخطَّابي حينما أنشدَ في هذا المعنى فقال:

مادمْتَ حيًّا فدارِ النَّاس كلَّهم ... فإنَّما أنتَ في دارِ المُداراة

مَنْ يدرِ دَارى ومَنْ لم يدرِ سوف يُرَى ... عمْا قليل نديمًا للنَّدامات»

قال ابنُ بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المدارةُ من أخلاقِ المؤمنين، وهي من أقوى أسباب الأُلْفة بينهم، فإنْ قالَ بعضهم: إنَّ المداراةَ هي المداهنةُ وهذا غَلَط، لأنَّ المداراةَ مندوبٌ إليها، والمُداهنة محرمَّة... والمداراة: هي الرفقُ بالجاهل في التَّعليم، وبالفسقِ في النَّهي عن فعله، وترك الإغلاط عليه حتى لا يَظْهرُ ما هو فيه، والإنكار عليه بلطفِ القولِ والفعل، ولا سيما إذا احتيجَ إلى تألّفه، ونحو ذلك». فتح الباري (١٠/ ٥٢٨، ٥٢٩) باختصار يسير.

(٣) تاريخُ مدينة دمشق (٥٧/ ١٥٧) بتصرف، وانظر: معرفة الصحابة برقم (٦١٥٦).

* كان هذا القباءُ مفتاحَ خيرٍ وبركةٍ على مخرمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وله قصَّةٌ مفيدةٌ وهي: «كَسَا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخرمةَ حلَّةً، وقال: ما رأى العبقريُّ مثلهَا، وقال له: «**إنْ قدمتَ مكةَ اشتراها منك صفوانُ بنُ أمية، أو حكيمُ بنُ حزام بأربعين أوقية**». قال: فقدمَ مكَّة، فاشتراها أحدهُما بذلك»(١).

طَرائفُ مَخْرميَّةٌ:

* نُعيمانُ بنُ عمرو الأنصاريُّ النَّجاريُّ صحابيٌّ خفيفُ الظِّلّ، اشتُهر بالمُزاح، وكان هازلًا ومازحًا لطيفًا، وقد شهدَ بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يُضحكُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا.

* ومن طرائفِ نُعيمانَ مع مخرمةَ هذه الأقصوصةُ الضَّاحكةُ: «كان مخرمةُ بنُ نوفل الزُّهريُّ بالمدينةِ، وهو شيخٌ كبيرٌ أعمى، وكان قد بلغَ مئةً وخمسَ عشرةَ سنة، فقام يومًا من المسجدِ يريدُ أنْ يبولَ، فصاحَ به النَّاسُ، فأتاهُ نُعيمانُ، فتنحَّى به ناحيةً من المسجد، ثم قال: اجلسْ ههنا، فأجلسَهُ يبولُ، فلمَّا أجلسه وبالَ، ذهبَ وتركَه، فصاحَ به الناسُ، فلمَّا فرغَ قال: مَنْ جاءَ بي ويحكم إلى هذا الموضعِ؟ قالوا: نعيمانُ بنُ عمرو، قال: فَعَلَ اللهُ بهِ وفعلَ، أَمَا إنَّ لله عليَّ إنْ ظفرتُ بهِ أنْ أضربَه بِعَصَاتي هذه ضربةً تبلغُ منه ما بلغَتْ. فمكثَ ما شاء اللهُ حتَّى نسيَ ذلك مخرمةُ، ثم أتاه يومًا؛ وعثمانُ قائمٌ يصلِّي في ناحيةِ من المسجد -وكان عثمان إذا صلّى لا يلتفتُ- فقال له: هل لكَ في نُعيمان؟ قال: نعم؛ أينَ هو؟ دلَّني عليهِ، فأتى به حتَّى أوقفه على عثمانَ، فقال: دونك هذا هو، فجمعَ مخرمةُ يديهِ بِعَصَاهُ، فضربَ عثمانَ فشجَّه، فقيلَ له: إنَّما ضربتَ أميرَ المؤمنين عثمانَ، فقال: مَنْ قادني؟ قالوا: نُعيمانُ، قال: لا جرمَ، لا عرضتُ له بِشرٍّ أبدًا، فاجتمعَ بنو زُهرة في ذلك، فقال عثمانُ: دعوا نُعيمان...»(٢).

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٤٣).

(٢) الإصابةُ (٦/ ٢٥١)، والتذكرة الحمدونية (٩/ ٣٦٦، ٣٦٧)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٧١)، وغيرها.

* ومن الطَّرائفِ المخرميَّةِ والطرائفِ المِسورية هذه الأقصوصةُ الخفيفةُ التي تقول: «مرَّ المسورُ بنُ مخرمةِ بأبيه مخرمةَ بنِ نوفل، وهو يخاصمُ رجلًا، فقال له: يا أبا صَفْوان، أنصفِ النَّاس! فقال له أبوهُ: ومَنْ أنتَ يا صبيُّ؟ قال: أنا مَنْ ينصحُكَ ولا يغشُّكَ، قال: مِسْورُ؟! قال: نعم، فضربَ يده في ثوبهِ، وقال: اذهبْ بنا إلى مكَّةَ حتى أريكَ بيتَ أميّ، وتريني بيتَ أمِّك، فقال له: يا أبةِ، غَفَر اللهُ لك، إنَّما شرفُك شرفي، وفضلُك فضلي، وأمُّ مسور عاتكة بنت عوف»[١].

أبناءُ مخرمةَ وأسرتُهُ:

* مخرمةُ بنُ نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذو مجدٍ مؤثَّل في الجاهليةِ والإسلام، فإليه انتهتْ رئاسةُ بني زُهرة في الجاهليةِ لما كانت حرب الفِجار[٢]، وظلَّ من أشرافِ قريشٍ وذوي المكانةِ والرأي فيهم أيَّامَ الإسلام[٣].

* وكانت أسرتهُ من الأسرِ المرموقةِ في مكَّة، فأمُّهُ رقيقةُ بنتُ أبي صيفي بنِ هاشم ابنِ عبد مناف، وكانت رقيقةُ عاليةَ النَّسبُّ تعتزُّ بحَسَبها، ولما مات عبدُ المطلب جززْنَ نساءُ بني عبد مناف الشُّعورَ، وقالت رقيقةُ لابنها مخرمةَ بنِ نوفل: «شُقَّ قميصَك على خالِكَ، لمن تستبقيهِ بعده»[٤].

---

(١) العقدُ الثمين (٧/ ١٦١، ١٦٢)، وأنباءُ نجباء الأبناء (ص٨٨)، مع الجمع بينهما. قال ابنُ ظفر الصِّقلي: «إنما ألحقتُ هذا بالغُرر العوالي، لما حصل للمسور بنِ مخرمة من رتبة الصُّحبة والروايةِ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وكان المسورُ حين توفيَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَ ثمان سنين أو نحو ذلك». أنباء نجباء الأبناء (ص٨٨)، ولمخرمة أخبار مع سيدنا عمر، وسيدنا معاوية، وغيرهما.

(٢) المحبرُ (ص١٧٠).

(٣) المنمقُ (ص٣٣٢) بتصرف.

(٤) إتحافُ الورى (١/ ١٠١). قلت: «لمخرمة حديث مشهور عن أمه رقيقة مستوفى في المصادر».

* ولمخرمةَ بضعةٌ أبناءٍ، وجلُّهم من الصَّحابة، ومنهم، صفوانُ[(١)]، المسورُ، محمدُ، وأمُّ صفوان، وغيرهُم، وقد استوفت بعضُ المصادر أسماءهم وحياتهم[(٢)].

* كان مخرمةُ يكنى بأبي صفوان، أو بأبي المِسْور، فقد أخرجَ الحاكمُ بسنده عن ابنِ أبي مليكة قال: «أخبرني المسورُ بنُ مخرمة قال: قال النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي: «**يا أبا صَفْوان**»[(٣)].

* وزوجةُ مخرمةَ صحابيةٌ أيضًا، وهي: عاتكةُ بنتُ عوف أختُ عبدِ الرحمن بنِ عوف أحدِ العشَرة، وقد هاجرتْ هي وأختُها الشَّفَّاء إلى المدينة، فهي من المهاجراتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

* وأفاد ابنُ سعد بأنَّ عاتكةَ هي أختُ عبد الرحمن بن عوف لأبيه وأمه، وأمُهما الشَّفَّاء بنتُ عوف، تزوَّجها مخرمةُ بنُ نوفل، فولدتْ له المسورَ، وصفوانَ الأكبر، والصَّلتَ الأكبر، وأمَّ صفوان بنت مخرمة، أسلمتْ عاتكةُ بنتُ عوف، وأمّها، وبايعتا رسولَ **الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٤)].

وا أبتاه:

* يُعدُّ سيدنا مخرمةُ أحد آباءِ الصَّحابة المُعمَّرين الذين زادتْ أعمارُهم عن قرنٍ منَ الزَّمان، وهؤلاء المعمّرون معروفون، وللسّيوطيِّ مصَّنفٌ لطيفٌ في هذا الموضوع.

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة (٣/ ٣١).

(٢) انظر: الوافي بالوفيات (٢٥/ ٢١٤)، ونكت الهميان (ص٢٧٧)، وأبناء الصحابة (ص٢٣٧).

(٣) المستدركُ (٣/ ٤٨٩)؛ وصفوان: هو أخو المسور، وأمّه: عاتكةُ بنتُ عوف، وله روايةٌ وصحبةٌ، فقد أخرجَ الحاكمُ بسندهِ عن القاسم بن صفوانَ الزّهريِّ؛ يذكرُ عن أبيه -وكانت له صحبة- أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أبردوا بصلاة الظهرِ، فإنَّ شدَّة الحرِّ من فيحِ جهنم**». المستدرك (٢/ ٢٥١).

(٤) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٢٣٥) بتصرف يسير، وانظر: الإصابة (٨/ ١٣٨).

* كان مخرمةُ يعرِفُ أنَّ في خُلُقِهِ شدَّةً وشراسةً، فقد ذكرتِ المصادرُ هذا الأمر فقالت: «لما حضرتْ مخرمةَ الوفاةُ بكتْهَ ابنتهُ فقالت: وا أبتاه، كان هيّنًا ليّنًا، فأفاقَ فقال: مَنِ النَّادبة؟ قالوا: ابنتُك، قال: تعالَي، فجاءتْ، فقال: ليسَ هكذا يُنْدَبُ مثلي، قولي: وا أبتاه، كان شَهمًا شيظميًا، كان أبيًّا عصيًّا»(١).

* أرَّخَ الذهبيُّ وفاةَ مخرمة فقال: «بقي مخرمةُ إلى بعدِ الخمسين، فمات في سنة أربع وخمسين، وله مئةُ عام وخمسة عَشر عامًا»(٢)... وكان ولدهُ المسورُ بنُ مخرمةَ من صغار الصَّحابة، ومن أشرافِ قريش وعلمائِهم وفقهائِهم وفضلائهم، وكان من الأَلبَّاء الفَصَحة الأذكياءِ، ومن الصَّوامين القوامين(٣).

* رضي اللهُ عن مخرمة(٤)، وعن أبنائِهِ وأسرتهِ، وجمعنا في جنَّات ونهر.



(١) مختصرُ تاريخ دمشق (٢٤/ ١٤٤)، والإصابة (٦/ ٧١).

(٢) سيرُ أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٣).

(٣) اقرأ سيرةَ المسور بن مخرمة في الباب الأوّل من كتابنا: أبناء الصحابة - مكانتهم، أعمالهم (ص٢٣٧-٢٦١)، ففي سيرته مواقف تربوية مباركة.

(٤) قال الزَّبيديُّ: «مخرمةُ بنُ شريح الحضرمي، ومخرمةُ بنُ القاسم بن مخرمة بن المطلب، ومخرمةُ بنُ نوفل: صحابيون». تاج العروس من جواهر القاموس (٣٢/ ٧٤).



آباء من الأنصــار

وفيه:

١- أوسُ بنُ ثابت.

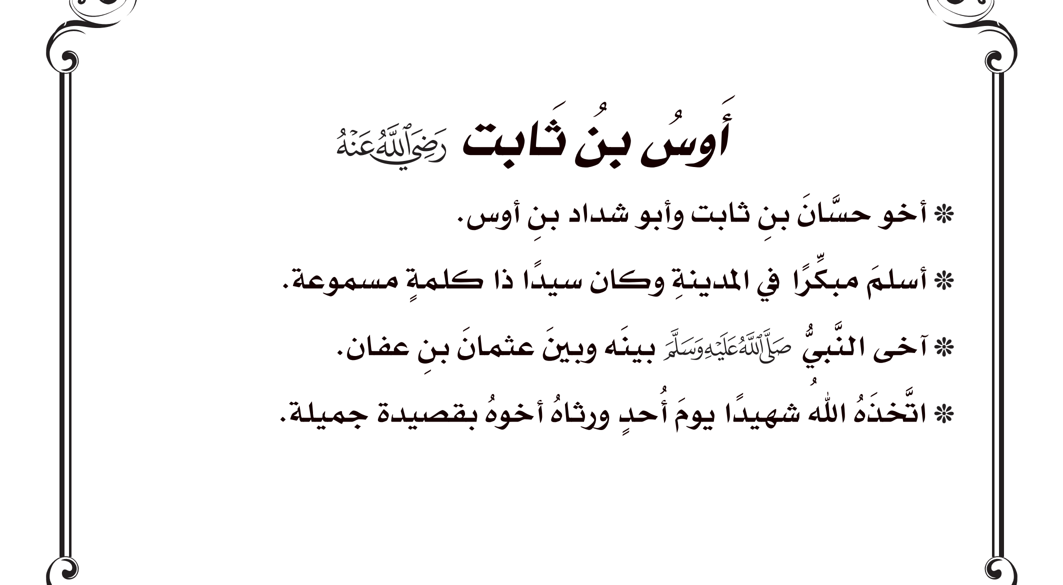
٢- البراءُ بنُ مَعرور.

٣- زيدُ بنُ عاصم.

٤- سعدُ بنُ عُبادة.

٥- عازبُ بنُ الحارث

٦- عُويمُ بنُ سَاعدة.



أَوسُ بنُ ثَابت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ

❋ أخو حسَّانَ بنِ ثابت وأبو شداد بنِ أوس.

❋ أسلمَ مبكِّرًا في المدينةِ وكان سيدًا ذا كلمةٍ مسموعة.

❋ آخى النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بينَه وبينَ عثمانَ بنِ عفان.

❋ اتَّخذَهُ اللهُ شهيدًا يومَ أُحدٍ ورثاهُ أخوهُ بقصيدة جميلة.

أوس بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هَل تعرفونَ هذا الأب:

❊ تكادُ سيرةُ هذا الأب تغيبُ عن أذهانِ بعضِ الناس، في حين أنَّه من عليةِ قومهِ بني النَّجار، ومن سادةِ الأنصار.

❊ وصلتْ إلينا معلوماتٌ نزرةٌ عنه، في حين أنَّ ابنَه وأخاه من مشاهيرِ الصَّحابة؛ فلندخلْ صرحَ أولئكَ السَّادة، ونلتقي: أوس بن ثابت بنِ المنذر الأنصاريّ الخزرجيّ؛ وهو أخو حسَّان بن ثابت شاعر الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

❊ ولأوسٍ أخٌ شقيقٌ اسمه: أُبيُّ بنُ ثابت، وكنيتُه: أبو شيخ، شهد أبو شيخ بدرًا، وأُحدًا، وقُتِلَ يوم بئر معونة شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

❊ كما أنَّ أوسَ بنَ ثابت أبو صحابيّ جليل هو شدادُ بنُ أوس الأنصاريُّ النَّجاريُّ الخزرجيُّ، وكان شدادُ من فضلاء الصَّحابة، وعلمائهم، وفقهائهم، وزهَّادهم، قالوا: «وكان شدادُ عالمًا حليمًا كثيرَ العبادةِ والورعِ والخوفِ من الله تعالى». وشهدَ له أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعلْم فقال: «إنَّ شدادَ بنَ أوس أُوتيَ علمًا وحلمًا». وكان شدادُ شابًّا إبَّان الهجرة النَّبوَّيةِ، وربَّاه أبوهُ أحسنَ تربية. ونزلَ شدادُ بيتَ المقدس في الشَّام، وقال عنه خالدُ بنُ معدان رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يبقَ بالشَّام أحدٌ كان أوثقَ ولا أفقهَ ولا أرضى من عبادةَ بن الصامت، وشدادِ بنِ أوس». ويعدُّ شدادُ من أصحاب العشَرات في الروايةِ، له خمسون

(١) الإصابةُ (١/ ٨١)، والاستبصارُ (ص٥٤)، وطبقاتُ ابن سعد (٣/ ٤٦٦، ٤٦٧)، والاستيعابُ (ص٥٦)، والدررُ (ص٧٢، ٧٩، ٨٩، ١٢٨، ١٥٥)، وغيرها كثير.

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٤٦٧)، والإصابة (١/ ١٥).

حديثًا، وخرجوا له في الكتُبِ السِّتةِ، ومات ببيتِ المقدس سنة (٥٨هـ) وعمره (٧٥ سنة) فرضي الله عنه وعن أبيه وعن عمّه[١].

سيرةٌ أوسيةٌ ومسيرةٌ موفَّقة:

* كانت حياةُ أوس في المدينة، ومن خلال استجلاء أخباره، عرفنا أنَّ أباه وجدَّه كانا ذوي مقامٍ رفيعِ القَدْرِ، وكان لثابت كلمةٌ مسموعةٌ ومكانةٌ مرموقةٌ في قومه، فقد رَضيَهُ الأوسيون والخزرجيّون حَكَمًا في إحدى حروبهم[٢] قُبيل مطْلَعِ فجرِ الرسالةِ المحمديةِ، وهذا يشيرُ إلى الحَسبِ الزَّاكي الذي كان يفتخرُ به أوسُ بنُ ثابت.

* وحينما لاحتْ أنوارُ الإسلام كان أوسٌ منَ الرعيلِ الأوَّل من الأنصار، ويظهرُ أنَّه أسلمَ على يدِ الداعيةِ اللبيبِ مصعب بن عمير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه.

* ولما كانت بيعةُ العقبة الكبرى التقى الأنصار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والتفُّوا حوله، وبايعوه، وكان من بينهم ليلتهَا أوسُ بنُ ثابت بنِ المنذر الأنصاريُّ النَّجاريُّ[٣].

* قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أوسُ بنُ ثابت أخو حسَّان، وهو أبو شدَّاد بن أوس، شهدُ أوسٌ العقبةَ مع السَّبعين»[٤].

---

(١) انظر سيرةَ شداد بن أوس في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٠-٤٦٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٢)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٧٢)، وغيرها. ولشداد أخت اسمها: أمُّ عبد الله بن أوس، شامية، روى عنها ضمرةُ بنُ حبيب. الاستبصار (ص٥٤).

(٢) كانت للأوسِ والخزرجِ وقائعُ وأيامٌ قبل الإسلام، ومنها يوم سُمَيحة فقد اقتتلَ فيه الأوسُ والخزرجُ حتى نال بعضُهم من بعض، ثم تداعوا إلى الصُّلح، فحكَّموا المنذرَ بنَ حرام، ويقال: ثابت بن المنذر والد أوس فقضى بينهم، فاصطلحوا بعهد وميثاق. انظر بالتَّفصيل شرح ديوان حسان (ص١١٥-١١٧). وقد افتخرَ حسانُ بنُ ثابت في مواضعَ من شعرهِ بصنيعِ أبيه، ومنه قوله يوم ارتضاه القوم في يوم سميحة:

وأبـــي في سُمــيــحــةَ الـقــائــل الـفـا ... صِـــلُ يـــوم الــتــفَّــتْ عــلــيــه الخــصــومُ

وقال في موطن آخر:

وجـــدّي خـطـيـبُ الـنَّـاس يـوم سُميحة ... وعـمـي ابــنُ هـنـد مـطـعـمُ الـطّـير خالد

(٣) السيرةُ النبوية (١/ ٤٥٧)، والدرر (ص٧٢).

(٤) المنتظمُ (٥/ ٩).

* وأخرجَ أبو نُعيم عن الزُّهريِّ؛ في تسميةِ مَنْ شهدَ العقبةَ من الأنصار من بني النجار: أوسُ بنُ ثابت[١].

مُؤاخاتُه مع عثمانَ:

* بدأتْ طلائعُ المهاجرين تسري نحو المدينة، وجعلَ الأنصارُ يستقبلونهم في منازلهم، فقد نزلَ سيدنا عثمانُ بنُ عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أوسِ بنِ ثابت أخي حسَّان، فلذلك كان حسَّانُ يحبُّ عثمان، ويبكيه حين قُتِل[٢].

* شرعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤاخي بين المهاجرين والأنصار ويقول لهم: «**تآخوا في اللهِ أخوَين أخوَين**»، وكانت هذه المؤاخاةُ في بيتِ أنسِ بنِ مالك، حيث جاء عنه أنَّه قال: «حالَفَ -آخى- النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار في دارنا».

* كان أخو أوسٍ عثمانُ بنُ عفان صهرُ حبيبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وآثرَ الأنصارُ المهاجرين في كثيرٍ مما يحبُّون، مما جعلهم يقولون للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأنصار: «يا رسولَ الله، ما رأينا مثلَ قوم قَدِمْنَا عليهم أحسنَ مُواساةً في قليلٍ، ولا أحسنَ بذلًا في كثيرٍ، لقد كَفَونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أنْ يذهبوا بالأجر كله»، قال: «**لا، ما أثنيتُم عليهم، ودعوتُم الله لهم**»[٣].

---

(١) معرفة الصحابة برقم (٩٨٠).

(٢) الدرر (ص٧٩)، والسيرة النبوية (١/ ٤٧٩).

(٣) أفاد السُّهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ حينما تكلَّم عن قصةِ المؤاخاة فقال: «آخى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليُذْهِبَ عنهم وحشةَ الغربة، ويؤنسُهم من مفارقة الأهلِ والعشيرةِ، ويشدَّ أزْرَ بعضهم بعض، فلما عزَّ الإسلامُ واجتمع الشملُ، وذهبت الوحشةُ، أنزلَ اللهُ سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٥]. أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم أخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. يعني في التوادد، وشمول الدعوة».

استشهادُه يومَ أُحُد:

❋ سيدنا أوسٌ من العصابةِ المباركةِ التي شهدَ اللهُ لها بالإيمانِ والخيرية، فهو من أهلِ بدرٍ، وما أدراك ما أهل بدرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

❋ ويوم أُحد سارعَ أوسٌ إلى الجهاد، واتَّخذهُ اللهُ يومها شهيدًا، وقد سجَّل أخوه حسَّانُ استشهادَه في قصيدةٍ داليةٍ بديعةٍ، ومنها قوله:

ومنَّا قتيلُ الشِّعبِ أوسِ بنِ ثابت ... شهيدًا وأسنى الذّكر مني المشاهد[١]

❋ رضي الله عن أوسٍ وابنه شداد، وعن الصَّحابة الأجواد، و:

صلّى عليهم إلهُ العرشِ ما سجعَتْ ... قمريةٌ أو شَدا في أيكةٍ شَادي

❋ اللهم صلَّ على سيِّدنا محمدٍ صلاةً تنفعنا يوم لقاك يا ربَّ العالمين.



---

(١) شرحُ ديوان حسان (ص١١٨)، وانظر: تاريخ الإسلام للذَّهبي، المغازي (ص٢٠٢)، والإصابة (١/ ٨١).

البَراءُ بنُ مَعْرور رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

* كان فاضلًا تقيًّا نقيبًا وله كلامٌ نفيسٌ يومَ العقبة.
* أسلمَ مع أهلهِ وأبنائهِ وبايعوا النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.
* له أوَّلياتٌ منها: أنَّه أوَّلُ مَنِ استقبلَ القبلةَ حيًّا وميتًا.
* ماتَ في المدينةِ المنوَّرة قبل الهجرةِ النَّبويَّةِ بشهر.

البراءُ بنُ مَعرُور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أوَّلُ المُبايعين في العقبة:

* إنَّ فضْلَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليسَ له حدٌّ فيعربُ عنه البلغاءُ بألسنتِهم، والفصحاءُ بأقلامهم، فقد ربى أصحابَه آباءً وأبناءً على ما يصلحُهم في الدُّنيا والآخرة، فقد كان هؤلاء الأصحابُ الذين نُروِّحُ الأرواحَ بقراءةِ سيرهم خيرَ أمةٍ أُخرجت للنَّاس، رفعوا معالَمَ النُّصرةِ والعلْم، ورفضُوا دعائمَ الجهلِ والظُّلم.

* تخفقُ أنسامٌ منعشةٌ من سيرة هذا الأبِ الكريم، فهو من الأنصارِ الفُضلاء، والنُّجبِ النُّبلاء، الذين آووا المهاجرين ونصروهم وآثروهم على أنفسِهم، ولله دَرُّ مَن قال:

أَبَــوَا أنْ يملُّونا ولـو أنَّ أُمَّـنـا ... تُـلاقـي الـذي يَـلْـقَـون مـنَّـا لَمَـلَّـتِ
هـمُ أسْكَـنونـا في ظـلالِ بيوتهم ... ظـلال بـيـوتٍ أدفـأَتْ وأظـلَّـتِ

* إنَّ هذا الأبَ المفضالَ من صفوةِ الأنصار وأسيادهم، وهو ابنُ عمةِ سعدِ بنِ معاذ، وكان نقيبَ قومهِ بني سَلِمَةَ، وأول مَنْ بايع ليلةَ العقبةِ الأولى، وكان فاضلًا تقيًا، فقيه النَّفْس[١] وله كلامٌ نفيسٌ يشهدُ له يومَ بيعة العقبة[٢]، ومنزلتُهُ ساميةٌ عند الخزرجِ،

(١) انظر: سير أعلام النُّبلاء (١/ ٢٧٦)، بتصرف يسير.

(٢) «العقبةُ»: كلُّ موضعٍ يصعُبُ ارتقاؤُهُ في الجبَل، والمرادُ ههنا موضعُ جمرةِ العقبةِ الأولى -الكبرى- التي يرمي عندها الحجَّاج...
وليالي العقبة التي اجتمعَ بها سيّدنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن كان يقدمُ إلى الحجِّ، يعرضُ نفسَه عليهم، كيما يعينوهُ على تبليغه رسالة ربِّه، وهذه الليالي عُرِفَ تعدادها في كتب السِّيرة النَّبوية أنَّها ثلاثُ ليالٍ، من يوم أنِ استجابَ له نَفَرٌ يسيرٌ: ستَّةٌ من رجالِ الخزرجِ، فيقولون: ليلة العقبةِ الأولى، والعقبة الثانيةِ، والعقبة الثالثةِ. المصنّف لابن أبي شيبة (٢٠/ ٦١١) بتصرف يسير جدًا.

وكلمتُهُ مسموعةُ لديهم، فهو سيدٌ نقيبٌ، ويحقُّ له الفخر، إنَّه البراءُ بنُ معرور بنِ صخر، أبو بِشْر، وهو أنصاريٌّ خزرجيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١]. وفي السُّطور الآتيةِ ننعمُ بصحبتِهِ، لعلَّ الله يحشُرنا في معيتِه.

آثارُهُمْ تَدلُّ عليهم:

* تركَ هؤلاء الآباءُ أجملَ البصَماتِ التَّربوّيةِ في حياتهم القوليّة، وأثبتُوا صدقَهم مع الله ورسولِهِ في أمورهم الفعليَّة، وكتبوا أجملَ سطورِ الآمالِ في دفاترِ النَّجاح، فكانوا بفضل من الله من أهلِ الفلاح.

* سار سيدنا البراءُ على هدي الهدى، وندي النَّدى، وسار معه أبناؤهُ ومَنْ حوله على الطَّريق ذاتِه، فكانت آثارهُم تدلُّ عليهم، وتشيرُ إلى فضلِهم.

* كان للبراء من الولد: بشْرٌ، وكان من الرُّماةِ المذكورين وممَّن شهدَ العقبة وبدرًا، بل كان من كبار البدريين، ومن أشرافِ قومه وأسيادهم، وأتتْه شهادةُ السِّيادة من سيِّد ولدِ آدم محمد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فحينما سأَل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن سيِّدهم، أشارَ إلى بشْر فقال: «**سيدُكم وابنُ سيدكم بشرُ بنُ البراء بن معرور**»[٢]. وبشْر هو الذي أكلَ مع النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الشَّاةِ المسمومة يومَ خيبر فأُصيب[٣]. وأُمُّ بشٍر اسمُها: خليدةُ بنتُ قيس بنِ ثابت، أسلمتْ وبايعتْ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وروتْ عنه، وقد دخلَتْ على رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مرضهِ الذي ماتَ فيه، ولها أخبارٌ تربويةٌ مفيدةٌ في أرادن كتابِ (أُمَّهاتَ الصَّحابة)[٤].

---

(١) صفةُ الصَّفوة (١/ ٥٠٥، ٥٠٦)، ومعجمُ الصَّحابة للبغويّ (١/ ٢٤٦-٢٥٠)، والمنتظمُ لابن الجوزي (٣/ ٨٣)، وطبقاتُ ابن سعد (٣/ ٥٧١، ٥٧٢)، وسيرُ أعلام النبلاء (١/ ٢٦٧-٢٦٩)، والاستبصارُ (ص١٤٢، ١٤٣)، وغيرها كثير جدًا.

(٢) المستدركُ (٣/ ٢١٩)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣١٥).

(٣) قصةُ بشر بنِ البراء وردتْ في صحيح البخاري في مواضعَ متعددة، وكذلك في كتب السِّيرة.

(٤) اقرأ سيرتها مفصلة في الباب الثاني من كتابنا: أمهات الصَّحابة.

* وللبراء زوجةٌ أخرى تدعى: حميمةُ بنتُ صيفي؛ أسلمتْ حميمةُ وبايعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

* ومن أبناءِ البراءِ من حميمة: ابنُه مبشِّر بنُ البراء، شهد الحديبيةَ، وبيعةَ الرضوان[٢].

* كما كانَ للبراء بناتٌ، وهُنَّ: هندٌ، سلافةُ، والربابُ، وكلُّهنَّ أسلمْنَ وبايعْنَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال ابنُ الجوزيِّ عن أبناءِ البراء: «ولهُ من الولد، بشرٌ، ومبشَّرٌ، وهندٌ، وسلافةُ، والربابُ، مبايعاتٌ»[٣].

* كان للبراءِ وأبنائِهِ وأسرتِهِ الآثارُ البيضُ، والسُّؤددُ الظَّاهرُ، والمجدُ الباهرُ في حياة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

الحمدُ للهِ الذي أكرمَنَا بمُحمَّد:

* شهدَ البراءُ البيعةَ العقبيةَ، وهو أحدُ النَّقباء الاثني عشرَ من الأنصار[٤]، وكان أوَّلَ مَنْ تكلَّم منَ النُّقباء ليلتئذ، حين لقيَ السَّبعون من الأنصار النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣٧٢)، والإصابةُ (٨/ ٥٤).

(٢) أسدُ الغابة (٥/ ٥٣)، والإصابةُ (٦/ ٤٠).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٥٠٥).

(٤) السيرةُ النبويةُ (١/ ٤٤٣، ٤٤٤)، وانظر أسماء النُّقباء في قصيدةٍ لكعبِ بنِ مالك الأنصاريّ يذكرهم، وعدد أبياتها (١٤) بيتًا، ومنها قولُه:

أبلِغْ أبيًّا أنَّه فَالَ رأيُهُ ... وحانَ غداةَ الشِّعب والحينُ واقعُ
وأبلغْ أبا سفيان أنْ قد بَدا لنَا ... بأحمدَ نورٌ منْ هدى اللهِ سَاطعُ
ودونكَ فاعلم أنَّ نقضَ عهودنا ... أباهُ عليكَ الرهطُ حينَ تتابعوا
أَبَاهُ البراءُ وابنُ عمرو كلاهُما ... وأسعدُ يأباهُ عليكَ ورافعُ

السِّيرةُ النبويةُ (١/ ٤٤٥)، وسُبُل الهدى والرشاد (٣/ ٢٨٢).

مكَّةَ المكرَّمةِ أيامَ الموسمِ، فبايعوه(١)، ومن ثمَّ أخذَ منهم النُّقباء(٢)، فقام سيِّدُنا البراءُ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، وتكلَّمَ بالكلماتِ النَّاصعَات البدائع، التي يهتزُّ لها عطف السَّامع، فقال: «الحمدُ لله الذي أكرمَنَا بمحمدٍ وحَبَانا به، فكُنَّا أوَّلَ مَنْ أجابَ، وآخر مَنْ دعَا، فأجبنَا اللهَ ورسولهَ، وسمعْنَا وأطعْنَا. يا معشرَ الأوسِ والخزرجِ قد أكرمكُمُ اللهُ بدينِهِ، فإنْ أخذتُم السَّمعَ والطاعةَ والمؤازرةَ بالشُّكر، فأطيعوا اللهَ ورسولهَ»(٣). ثم جلسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وهاكم رواية أخرى تفيدُ بأنَّ العبَّاسَ بنَ عبد المطلب، كلَّمَ الأنصار ليلةَ العقبة؛ بشأْن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجابوه بأنَّهم أهلُ الحربِ، وقد ورثوها كابرًا عن كابر، ونهضَ البراءُ وتكلَّم كلمات عجيبة تدلُّ على القريحةِ الوقَّادة، والبصيرة النَّقادة، والبديهةِ المعجزة، والبديعةِ المطرَّزة، وتوجَّه إلى العباس، وخاطبَه ببيانٍ وتبيينٍ فقال: «قد سمعنا ما قُلْتَ، إنَّا والله لو كان في أنفسِنا غيرُ ما ينطقُ به لقُلناه، ولكنَّا نريدُ الوفاءَ والصدقَ، وبذلَ مهج أنفسنا دونَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وتلا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، ثمَّ دعاهم إلى الله، ورغَّبهم في الإسلام، وذكرَ الذي اجتمعوا له، فأجابَهُ البراءُ بنُ معرور بالإيمانِ والتَّصديق، فبايعهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك»(٤).

---

(١) قال الذَّهبيُّ: «كانَ البراءُ ليلةَ العقبة هو أجلُّ السَّبعين، وهو أوّلهم مبايعةً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٧، ٢٦٨).

وقال ابنُ عبد البر: «هو أحدُ النُّقباء ليلةَ العقبة، وكان سيِّد الأنصار وكبيرهم». الاستيعاب (ص٧٩).

وقال ياقوتُ الحمويُّ: «فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النّبوة؛ أتى منهم سبعون رجلًا وامرأتان: أمّ عمارة، وأمّ منيع، ورئيسُهم البراءُ بنُ معرور...». معجم البلدان (٤/ ١٣٤).

(٢) روى البيهقيُّ عن الإمام مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «حدَّثني شيخٌ منَ الأنصار أنَّ جبريلَ كان يشيرُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مَنْ يجعلُه نقيبًا ليلةَ العقبة». وروى أبو نُعيم عن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما أخذَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقباء، قال: «**لا يجدُ امرؤ في نفسهِ شيئًا، إنَّما آخذ مَنْ أشارَ إليه جبريل**». سُبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٨١، ٢٨٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧١)، وصفة الصفوة (١/ ٥٠٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٧، ٨).

* وتنطقُ السيرةُ البرائيةُ بموقفِهِ المتألِّقِ ليلةَ العقبة؛ من قبل أنْ ينسجَ الفجرُ في رداءِ الليل خيطَ الصَّباح، وقبل أنْ تداعبَ الظَّلامَ يَدُ الإصباح، وحينما كان العَّباسُ يوصي الأنصارَ بالكتمان وعدم الإفصاح، وعدم رفع أصواتهم خيفةً عليهم من قريش وأهل تلك البِطاح، فخاطبَهُ البراءُ وبيَّن له حقائقَ الأنصار الملاح، وكلَّمه بهذا الإيضاح: «يا أبا الفَضْل، اسمعْ منّا، فسكَتَ العباسُ، فقال البراءُ: لكَ والله عندنا كتمانُ ما تحبُّ أنْ نكتمَ، وإظهارُ ما تحبُّ أنْ نظهرَ، وبذلُ مُهجِ أنفسنا، ورضا ربّنا عنا، إنا أهلُ حلقةٍ وافرةٍ، وأهلُ منَعَةٍ وعزّ، وقد كُنَّا على ما كنَّا عليه من عبادةِ حَجرٍ ونحنُ كذا، فكيفَ بنا اليوم حين بَصَّرَنا اللهُ ما عَمِي على غيرنا، وأيَّدَنا بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!؟ ابسطْ يدكَ، فكان أوّل مَنْ ضربَ على يدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البراءُ بنُ معرور»(١).

* وفي روايةٍ عن كعبِ بنِ مالك قال: «فأخذَ البراءُ بنُ معرور يدَهُ، ثم قال: نعم؛ والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيًا، لنمنعنَّكَ مما نمنعُ منه أُزُرُنا، فبايعْنا يا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنحنُ والله أبناءُ الحروبِ، وأهلُ الحلَقَةِ -السِّلاح- ورثْنَاها كابرًا عن كابر...»(٢).

هَذا سَيِّدُ قومِهِ:

* ما أجملَ قولُ القائلِ:

لا يَـنْـزلُ المَجـدُ إلا في مَنَازلنا كالنَّوم ليسَ له مأْوى سوى المُقَل

* وهبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سيِّدنَا البراءَ بنَ معرور الحصافةَ والصَّلاحَ، والندى والسَّماح، فتبوأَ منزلةً طيبةً عندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابهِ ذوي الفَلاح، وشهدَ له القاصي والدَّاني بالسِّيادة والنَّجاح، والأعمال الجليلةِ المِلَاح.

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ٨)، وصحيح السيرة النبوية (ص١١١)، والسيرة النبوية (١/ ٤٤٧).
(٢) السيرةُ النبوية (١/ ٤٤٢)، وسبلُ الهدى والرشاد (٣/ ٢٨٠).

* نتلمَّسُ في حديثِ كعبِ بنِ مالك بعضَ الملامحِ البرائية الموفَّقة، من خلال حديثِ كعبٍ الشَّائق المفيد، حيث قال: «خرجنا في حجَّاج قومنا منَ المشركين، وقد صلَّينا وفقهنا، معنَا البراءُ بنُ معرور كبيرُنا وسيّدنا، فلمَّا خرجنا من المدينةِ؛ قال البراءُ لنا: يا هؤلاء؛ إنّي قد رأيتُ أنْ لا أدعَ هذه البَنِيَّة حتَّى تظهرَ -يعني الكعبة- وأنْ أصليَ إليها، فُقْلنا له: لا نفعلُ، فكُنَّا إذا حضرتِ الصلاةُ صلَّينا إلى الشَّام، وصلَّى إلى الكعبةِ، حتَّى قدمنا مكة... فقال لي: يابنَ أخي، انطلقْ بنا إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى نسألَه عمَّا صنعتُ في سَفَري هذا... فخرجنا وسألنا عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وكُنَّا لا نعرفُه ولم نَرَهُ، وكُنَّا نعرفُ العبَّاس بنَ عبد المطلب- فدخلنا المسجدَ فإذا العباسُ جالسٌ، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ معه، فسلَّمنا، ثم جلسنا إليهِ، فقال للعبَّاس: هل تعرفُ هذَين الرُّجَلين يا أبا الفضل؟ قال: «**نعم، هذا البراءُ بنُ معرور سيّد قومه، وهذا كعبُ بنُ مالك**»، فقال له البراءُ: يا نبيَّ الله، إنِّي خرجتُ في سَفَري هذا، وقد هداني اللهُ للإسلامِ، فصلَّيتُ إلى الكعبة، فماذا ترى يا رسولَ الله؟ قال: «**قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرتَ عليها**»، فرجعَ البراءُ إلى قبلةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، وقال عونُ بنُ أيوب الأنصاريُّ:

ومنَّا المُصَلِّي أَوَّلُ النَّاس مُقْبِلا على كعبةِ الرَّحمنِ بينَ المشَاعِرِ

يعني البراء بن معرور رَضِيَ اللهُ عَنْهُ...»(٢).

---

(١) ينبغي التَّنبيه إلى أمْرٍ مهم في السِّيرة البرائيةِ العذبةِ المفيدة، وهو: لم يأمرِ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البراءَ بنَ معرور الأنصاريَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإعادةِ الصَّلاةِ التي صلَّاها إلى الكعبة، حيث إنَّ الفرضَ كان على المسلمين إلى بيتِ المقدس بالشَّام، لأنَّ البراءَ أسلمَ لما شاهدَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمْ يأمرهُ بإعادة تِلك الصَّلاة... والذي يقتضيه سياقُ القصة أنَّ البراءَ كان مُسلمًا قبل هجرته إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

وقال السُّهَيليُّ: «إنمَّا لم يأمرْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعادةِ ما قد صلَّى؛ لأنَّه كان متأوِّلًا، ثم أَمَره أنْ يستقبلَ المقدسَ فأطاعَ». شرحُ المواهب اللدنية (٢/ ٨٦)، وسبلُ الهدى والرشاد (٣/ ٢٨٧، ٢٨٨)، مع الجمع والتصرف.

(٢) انظر: السِّيرة النبوية (١/ ٤٣٩، ٤٤٠) باختصار وتصرُّف. وانظر: معجم الصَّحابة للبغوي (١/ ٢٤٧-٢٤٩)، ومعرفة الصَّحابة لأبي نعيم ترجمة رقم (٢٧٥)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٧٨، ٢٧٩)، وغيرها.

وهذه همسةٌ أدبيةٌ موحيةٌ ومنعشةٌ تصوِّرُ صلاةَ البراءِ إلى الكعبةِ، ثمَّ امتثالهُ الأَمْر النَّبَوِّي:

كعبُ بنُ مالك من رجالِ البيعةِ الكُبرى الأُبَاه
وكذا البراءُ فكانَ شيخًا من ذَوي الرَّأْيِ العُتَاه
وإذا البراءُ مقررًا تنفيذَ رأْيٍ قَدْ رَآه
لما التقينا بالنَّبيِّ هناكَ في بيتِ الإله
قصَّ البراءُ عليهِ قصَّةَ ما نَواهُ وما رَآه
فأجابَهُ الهادي وقال لقد هُدِيْتَ إلى النَّجاه
لكنْ لِدرب القومِ فالزَمْ ليسَ في دربٍ سِوَاه
رضيَ البراءُ بأمْرِ خيرِ الخلقِ لمَّا أنْ نَهَاه[1]

ركبُ الأوائلِ:

❋ علمنا أنَّ البراءَ بنَ معرور من كبارِ آباءِ الصَّحابة الأخيار، وهو أوَّلُ منِ استقبلَ القِبْلَةَ حيًّا وميتًا قبل أنْ يوجِّهَهَا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرهُ أنْ يستقبلَ بيتَ المقدسِ فأطاعَ، حتَّى إذا حضرتْه الوفاةُ؛ أوصى بثلثِ مالهِ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضعُهُ حيثُ يشاءُ[2]، وقال لأهله: «وجِّهوني في قبري نحو القبلةِ»[3]، فقدمَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ بعد موتهِ بيسير، وصلَّى عليه[4].

---

(١) تغريدة السيرة النبوية (١/ ٣٨٦) بانتقاء.

(٢) أوصى البراءُ بثلثِ مالهِ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبِلَه، ثم ردَّهُ على ولده، وهو أوّلُ مَنْ أوصى بثلثِه. شرحُ المواهب اللدنية (٢/ ٨٦).

(٣) قال ابنُ إسحاق: «قال بعضُ المؤمنين لما حُوِّلتِ القبلةُ: فكيفَ صلاتنا التي صلَّيناها نحو بيتِ المقدس؛ وكيف مَنْ ماتَ من إخواننا المسلمين -وكان منهم البراءُ بنُ معرور، وأسعدُ بنُ زرارة بالمدينة، وغيرهُم بمكَّةَ والحبشَة- وهم يصلُّون إلى بيتِ المقدس؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيتِ المقدس، بل يثيبُكم عليه». شرحُ المواهب اللدنية (٢/ ٢٥٢) بتصرف يسير.

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧١، ٥٧٢) بتصرف.

* ماتَ البراءُ في شَهرِ صَفَر قبلَ الهجرةِ النَّبويَّةِ بشهر، ودُفنَ بالبقيع، وهو أوَّلُ مَنْ ماتَ من النُّقباء، وأوَّلُ مَنْ أوصى بثلثِ ماله، وأوَّلُ مَنْ قال لأهلِهِ عند موته: استقبلوا الكعبة[١]، وأوَّلُ مَنْ صلىَّ عليه النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قدمَ المدينةَ، وقال: «**اللهمَّ اغفرْ له وارحمْهُ، وارضَ عنه، وقد فَعَلْتَ**»[٢].

* وفي روايةٍ: أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى على البراءِ بنِ معرور بعدما قدمَ المدينة فقال: «**اللهمَّ صَلِّ على البراءِ بنِ معرور، ولا تحجبْهُ عنْكَ يومَ القيامة، وأدخلْهُ الجنَّةَ، وقد فعلتَ**»[٣]. و:

مَحامِدُ فَازَ في الدُّنيا بِعَاجِلها ... وفي القِيَامةِ أجرٌ غيرُ ممنونِ

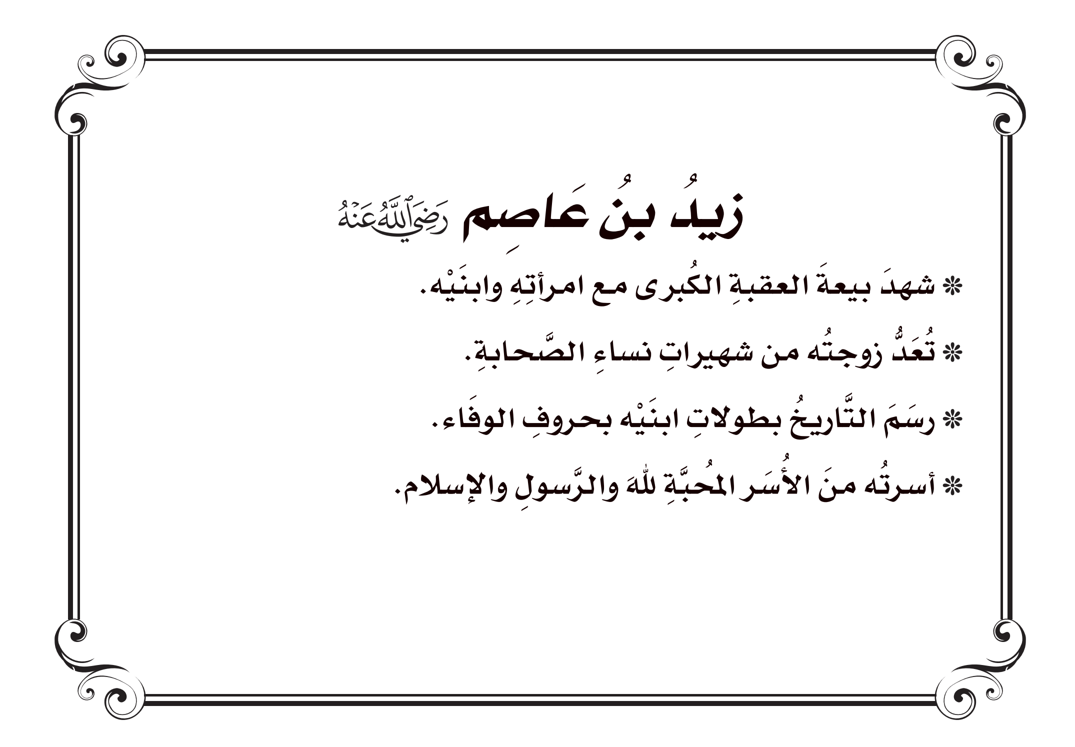
* رضي الله عن البراء بن معرور، وأدخله الجنَّة دار السُّرور.



(١) الوافي بالوفيَات (١٠/ ٦٦). قال المقريزيُّ عن تاريخ تحويلِ القبلةِ إلى الكعبة: «حُوِّلَت القبلةُ في يومِ الاثنين النّصف من رجب بعد زوالِ الشَّمس؛ ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجدِ بني سَلِمَةَ في منزلِ البراءِ ابنِ معرور رَضِيَ اللهُ عَنْهُ». إمتاع الأسماع (١/ ٧٩) باختصار.

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٥٧٢)، ومعرفةُ الصحابة لأبي نُعيم رقم (٢٧٥)، والاستيعابُ (ص٧٩)، والمنتظمُ (٣/ ٨٣).

(٣) كنزُ العمال (١٣/ ٢٩٤) برقم (٣٦٨٥١).



زيدُ بنُ عَاصِم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

❋ شهدَ بيعةَ العقبةِ الكُبرى مع امرأتِهِ وابنَيْه.

❋ تُعَدُّ زوجتُه من شهيراتِ نساءِ الصَّحابةِ.

❋ رسَمَ التَّاريخُ بطولاتِ ابنَيْه بحروفِ الوفَاء.

❋ أسرتُه منَ الأُسَرِ المُحبَّةِ للهَ والرَّسولِ والإسلام.

زَيدُ بْنُ عَاصِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أسرةٌ فريدةٌ:

* العَقبيّون ثلاثةٌ وسبعون رجُلًا وامرأتان، منهم هذا الأَبُ ذو الشَّمائل الحسَنة، والفضائل المُسْتَحسَنة.

* كان معه ابناهُ وامرأتهُ، ولم يحضرْ بيعةَ العقبةِ الكُبرى من النِّساء مع أزواجهنَّ سوى هذه المرأة؛ ومعها امرأةٌ أخرى تُدعى: أسماءُ بنتُ عمرو بنِ عدي أُمُّ منيع[١]، وزوجُها خديجُ بنُ سلامة الأنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* وتاريخُ آباءِ الصَّحابةِ حافلٌ بآثارهم الحِسَان التي تركوها، إلا أنَّ هذا الأبَ لم يذكرِ الكاتبون سيرتَه بأكثرَ من بضعةِ أسطر، غير أنَّ امرأتهَ من أشهرِ نساءِ الأنصار، بل من أشهرِ الصَّحابيات، كما أنَّ ابنَيه من فتيانِ المدرسةِ النَّبويَّة وفرسانِها، ولهما شأْنٌ مسطورٌ ومحمودٌ في واحتِها وبستانِها.

* فَهَيَّا إلى ظلالِ المصادر نستروح من خلالها شيئًا من سيرة: زيدِ بنِ عاصم بنِ كعب النَّجاريّ المازنيّ المَدنيّ[٢].

* وزيدُ بنُ عاصم ممَّن أسلمَ قديمًا في المدينةِ مع أبنائهِ وذويهِ، وهو عَقبيٌّ[٣] مع أسرته.

---

(١) اقرأ سيرتها في كتابنا: نساء من عصر النبوة (١٣٠-١٣٤)، طبعة دار ابن كثير الثالثة.

(٢) الاستيعابُ (ص٢٤٧)، وأسدُ الغابة (٢/ ٣٦٥)، والإصابةُ (٣/ ٣٠)، والسيرةُ النبوية (١/ ٤٦٦)، والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٧)، وغيرها كثير.

(٣) «عقبيٌّ»: منسوبٌ إلى مبايعةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعقبةِ. والعَقَبةُ: هي عقبة بين منى ومكّة، وفيها بُويعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندها مسجدٌ مشهورٌ عند أهلِ مكة أنَّه مسجدُ البيعة. وإذا قيل: بيعةُ العقبةِ؛ فهي صفةٌ للبيعةِ، وليستْ للعقبةِ. معجمُ البلدان (٤/ ١٣٤، ١٣٥)، وسبلُ الهدى والرشاد (٣/ ٢٦٩)، والمعالمُ الأثيرة (ص١٩٤)، مع الجمع والتصرف.

* فامرأتُه: السَّيدةُ نَسيبةُ بنتُ كعب النَّجارَّيةُ أمُّ عمارة، شهدتِ العقبةَ مع زوجِها زيدِ بنِ عاصم، ومع ابنيهما حبيبِ وعبدِ الله ابني زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين(١). ويعدُّ بيتُ زيدِ ابنِ عاصم الوحيد الذي بايعَ أفرادُه جميعهُم النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة العقبة.

* وحينما قامتْ سوقُ البيعةِ العامة؛ نهضَ الرِّجالُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلًا رجُلًا فَصَافَحوه، وأخذَ عليهم البيعةَ، وأعطاهُم بذلك الجنَّةَ، وأمَّا بيعةُ أُمِّ عمارة وأُمِّ منيع فكانت قولًا، فسيدنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صَافَح امرأةً أجنبيةً قطُّ(٢).

فِدَائيَّةُ ذَوِيه:

* ينشأُ الأبناءُ في غالبِ الأحيانِ على ما يربِّيه آباؤهم، ويعودونَهم عليه، وسيدنا زيدُ ابنُ عاصم أبٌ ميمونُ النَّقيبة، ألبسَهُ اللهُ حُللَ الكمال، وحسنَ الخصال، فكان من الأماجدِ الأبطال، ممَّن عُرِفُوا بالإقدامِ في ساحات النِّزال، واشتهروا بين ذوي الفَضل بالفضَائل، وكرم الشَّمائل، وربُّوا أبناءهم على البسالة، وعلى خدمةِ الإسلام ونبي الإسلام، وكلِّ ما فيه خيرٌ لأُمَّة خيرِ الأنام، فكانوا قدوةً للآباءِ إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

* شهدَ زيدٌ غزاة بدرٍ، ثم شهدَ أُحدًا مع ذويه: امرأتُهُ وابناه حبيبٌ، وعبدُ الله(٣)، وكان لهؤلاء الأبطال مقامٌ مأثورٌ في الدِّفاعِ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذٍ، وكان لأُمِّ عمارة صولاتٌ وجولاتٌ مع ابنيَها، فقد أجهزتْ على رجلٍ من المُشركين، وجَرَحَ رجلٌ ابنَها

---

(١) شرحُ المواهبِ اللدنية (٢/ ٨٦). قال ابنُ كثير عن المرأتين اللتين شهدتا بيعةَ العقبة: «وأمَّا المرأتان: فأمُّ عمارة نَسيبةُ بنتُ كعب المازنيةُ النَّجاريةُ، شهدتِ الحربَ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدتْ معها أختُها وزوجها زيدُ بنُ عاصم بن كعب. وابناها حبيبٌ وعبد الله... والأخرى: أمُّ منيع أسماءُ بنتُ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا». البدايةُ والنهايةُ (٤/ ٤١٨، ٤١٩) بتصرف. وانظر: تاريخ الإسلام للذَّهبي، السِّيرة النبوية (١/ ٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) الرحيقُ المختومُ (ص١٥١) بتصرف يسير.

(٣) انظر: الاستيعاب (ص٢٤٧).

عبدَ الله، فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعصُبْ جُرحَكَ**»، فَرَبَطَتْ أمُّه الجرحَ، ثمَّ أقبلَ المُشركُ الذي ضَربَ ابنَها، فاعترضَتْ له، وضربتْهُ فبركَ، ثم جاء ابنُها، وجَعَلا يضربانه بالسَّيف حتَّى مات[1].

* وفي أسلوبٍ بديعٍ شائقٍ يصوِّرُ ابنُها عبدُ الله تلكَ اللحظاتِ حولَ الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولُ: «شهِدتُ أُحدًا مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا تفرَّقَ النَّاسُ عنه، دنوتُ منه أنا وأمّي نذبُّ عنه، فقال: «**ابنُ أمِّ عمارة**»، قلتُ: نعم، قال: «**ارمِ**»، فرميتُ بينَ يديهِ رجُلًا من المشركين بِحَجرٍ؛ وهو على فرسٍ، فأصبتُ عينَ الفرس، فاضطربَ الفَرسُ حتى وقعَ هو وصاحبُه، وجعلتُ أعلوهُ بالحجارة حتَّى نضدتُ عليهِ منها وِقْرًا -حِمْلًا- والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبتسمُ، ونظرَ جُرحَ أمّي على عاتقِها، فقال: «**أُمَّكَ، أُمَّكَ، اعصبْ جرحَها، باركَ اللهُ عليكم منْ أهلِ بيتٍ...**»)[2].

* ويومَ حُنين شاركَ ابنا زيدِ بنِ عاصم وأُمُّهما في المعركةِ، وخاضُوا غمارَها وشروا وباعوا، وعاد ابناها بأسارى مكتَّفين، وأسرَ قومُها يومئذٍ ثلاثينَ مشركًا، فضربتْ أمُّ عمارة عنقَ واحدٍ منهم[3].

هكذا ربَّى زيدٌ ابنَيه:

* حينما نطالعُ سيرَ هؤلاء الآباءِ من الصَّحابة، نجدُ أنَّهم بلغُوا ذِروةَ العطاء في التَّربية، وفي تعليمِ أبنائِهم ما يصلحُهم في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣٥٥) بتصرف.

(٢) طبقاتُ ابنُ سعد (٨/ ٣٨٥، ٣٨٦).

(٣) نساءٌ مبشَّراتٌ بالجنَّة (ص٧٥، ٧٥) بتصرف، طبعةُ دار ابن كثير السادسة بدمشق، ٢٠١٢م. أَمْتعَ المقريزيُّ الأسماعَ حينما أشار إلى أم عمارة وبعضِ الصَّحابيات في يوم حنين فقال: «وكانت أمُّ عمارة في يدها سيفٌ صارمٌ، وأمُّ سليم معها خنجرٌ قد حزمتْه على وسطِها، وأمُّ سَليط، وأمُّ الحارث، وأمّ عمارة تصيحُ بالأنصار: أيةُ عادةٍ هذه! وشدَّتْ على رجلٍ من هوازن فقتلته، وأخذتْ سيفَه». إمتاعُ الأسماع (٢/ ١٥) بتصرف.

* فهذا عبدُ الله بنُ زيد بنِ عاصم هو صاحبُ حديثِ الوضوء، ويُعرفُ: بابنِ أُمِّ عمارة، وهو من فُضَلاء الصَّحابة، له ولأبويهِ وأخيه حبيبٌ صحبةٌ. شهد عبدُ الله غزوةَ أحد، وهو الذي قَتَلَ مُسيلمةَ الكذَّاب بالسَّيف مع رمي وحُشيٍّ له بحربتهِ. قُتِلَ يوم الحرة سنة ثلاث وستين للهجرة، وهو ابنُ سبعين سنة[١].

* وله روايةٌ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجَ مسلمٌ في بابِ فَضْلِ المدينة وبركتها وحدودِها بسندهِ عنه؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مكَّة، ودعا لأهلها، وإني حرَّمْتُ المدينة كما حرَّمَ إبراهيمُ مكَّة، وإنِّي دعوتُ في صاعها ومدّها بِمِثْلَي ما دعا به إبراهيمُ لأهل مكة**»[٢].

* وأمَّا ابنهُ حبيبٌ فقد تربَّى على محبَّة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونشَأَ على طرازِ كُمَّلِ الصَّالحين، ونهجِ المُتَّقين، فكان من جنودِ الإسلام الصَّادقين، الذين يُوفون بعهدِ الله ولا ينقضُون الميثاق.

* شهد حبيبٌ العقبةَ، وشهدَ أُحدًا مع أخيهِ وأبيهِ، ومن ثم شهدَ الخندقَ والمشاهدَ بالمعيَّةِ النَّبويَّةِ.

* كان حبيبٌ مَثَلًا شرودًا في صدقِ إيمانهِ، فقد بعثَهُ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مُسيلمةَ الكذَّابِ[٣] باليمامةِ، فقبضَ عليه مُسَيلمةُ، وعرَّضَهُ لامتحانِ إيمانهِ ومحبَّته للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان إذا قالَ له: أتشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله؟ قال: نعم، وإذا قالَ له: أتشهدُ أنِّي رسولُ الله؟ قال: أنا أَصمُّ لا أسمعُ، فَعَلَ ذلكَ مرارًا، وحبيبٌ ثابتُ اليقين،

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨)، والتذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص٨٥٦)، مع الجمع والتصرف.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٦٠)، وأخرجه البخاري في البيوع برقم (٢١٢٩).

(٣) اقرأ ترجمةَ المجرم الأفّاك مُسيلمة الكذاب في كتابنا: المبشّرون بالنار (ص٢٤١-٢٥٦)، طبعة دار ابن كثير الثّانية بدمشق، سنة ٢٠٠١م.

راسخُ الإيمان، لا يتزعزعُ ولا يتحوَّلُ، فضجَّ مُسيلمةُ الكذَّاب من ثبات حبيب، فقطَّعَهُ عضوًا عضوًا، ومات شهيدًا[١] في يديه، لا يزيدهُ على ذلك؛ وصَعِدَتْ روحُهُ إلى بارِئها وهو قريرُ العين، رَضِيُّ القلب، هانئ النّفس بهذهِ الشَّهادة، وهذه الرُّجُولةِ المباركة.

* عَلِمَ سيِّدنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جَنَتْه يدا مُسيلمة، وبغدرِه المَقيتِ بحبيبِ ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبلغَتْ أخبارُ جريمةِ مُسيلمة أهْلَ حبيبٍ، فصبروا وقالوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولما كانت وقعةُ اليمامة في عَهْدِ أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خرجَتْ نَسيبةُ إلى قتال المرتدين، وقد ذكَرها أحمدُ البدويَّ بنُ محمدا الشَّنقيطيُّ، فقال:

وثبتَتْ نَسيبهُ المُبايعه ... قَبْلُ وعن خيرِ الورى مُدَافعه
شَهدتِ الرضوانَ واليَمَامه ... وشَهدتْ قَتْلَ أبي ثُمامه
وجُرحَتْ فيهِ وشُلَّتْ يَدُهَا ... وللتبرُّكِ الورى يقْصدُها[٢]

* قُتِلَ مسيلمةُ الكذاب بضربةٍ صادقةٍ من سيفِ عبدِ الله بنِ زيد شقيقِ حبيبٍ، وبَرمْيَةٍ من حربةِ وحشيٍّ، فكان كأمسِ الدَّابر.

* قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن مُسيلمة ومَقْتِلِهِ: «... ولما ماتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زعم أنَّه قد استقلَّ بالأمرِ من بعدهِ، واستخفَّ قومَه فأطاعوهُ، وكان يقولُ:

خُذِي الدُّفَّ يا هذهِ والعبي ... وبُثِّي محاسِنَ هذا النَّبي
تولَّى نبيُّ بَني هاشم ... وقامَ نبيُّ بني يعربِ

(١) وازنَ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في إيضاح موقفِ حبيبِ بنِ زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وموقفِ بلال بنِ رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالَ: «ولهذا اتَّفق العلماءُ على أنَّه يجوزُ أَنْ يوالي المُكْرهُ على الكُفْر؛ إبقاءً لمهجته، ويجوزُ له أنْ يستقتلَ كما كان بلالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون بهِ الأفاعلَ... وكذلك حبيبُ بنَ زيد الأنصاريُّ لما قال له مُسيلمة الكذاب: أتشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله؟ فيقولُ: نعم، فيقولُ: أتشهدُ أنِّي رسولُ اللهِ؟ فيقول: لا أسمعُ، فلم يزلْ يقطِّعهُ إِربًا إِربًا وهو ثابتٌ على ذلك... والأفضلُ والأَوْلى أنْ يثبتَ المسلمُ على دينهِ، ولو أفضى إلى قَتْلِهِ، كما قال الحافظُ ابنُ عساكر في ترجمة عبدِ الله بنِ حذافة السَّهمي». تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٥، ٥٢٦)، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، كتاب الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

(٢) عمودُ النَّسب (ص٩٩)، و«أبو ثمامة»: مُسيلمة الكذاب.

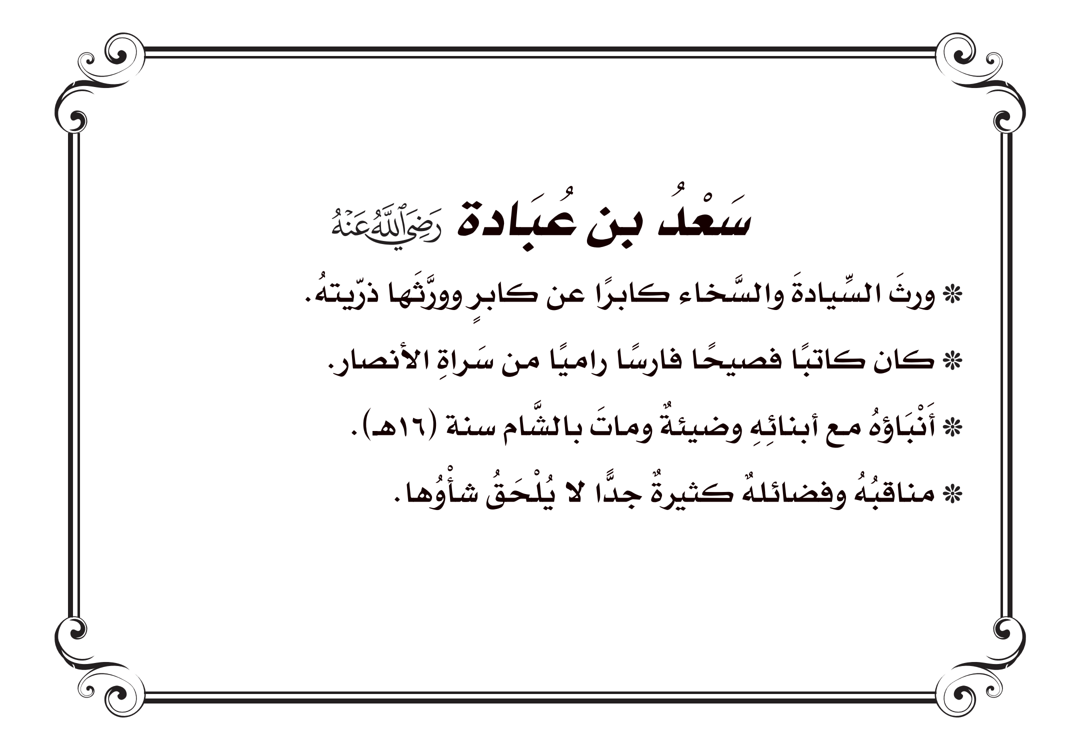
فلمْ يمهلْهُ اللهُ بعد وفاةِ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قليلًا، حتى سلَّطَ اللهُ عليه سيفًا من سيوفِهِ، وحتفًا من حتوفِهِ، فَبَعَج بطْنَه، وفَلَقَ رأْسَه، وعجَّلَ اللهُ بروحِهِ إلى النَّار، فبئسَ القرار...»[١].

* انتهتْ رحلتُنا مع النَّفحاتِ العطراتِ من سيرةِ زيدِ بنِ عاصم الأبِ الفاضلِ الذي ربَّى أبناءَه[٢] على ما يُرضي الله ورسوله، فرضَي اللهُ عنه وأرضاهُ، وجمَعَنا معهم في مُستَقرِّ رحمته.



(١) البدايةُ والنِّهايةُ (٩/ ٥٠٨). ومن الجدير بالذكر أنَّه قُتِلَ يومَ اليمامة منَ المسلمين أربعمئة وخمسون من حَمَلةِ القرآن، من الصَّحابة، وغيرهم. البدايةُ والنهايةُ (٩/ ٥٠٢).

(٢) لزيدِ بنِ عاصم ابنٌ آخر اسمه: تميمُ بنُ زيد بنِ عاصم أخو عبدِ الله وحبيب، ويُعرَفُ هو وإخوتُه ببني أمِّ عمارة. ويعدُّ تميمٌ في أهلِ المدينةِ، وروى عنه ابنُه عبَّاد. أسدُ الغابة (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، والاستبصارُ (ص٨٢)، مع الجمع بينهما.



سَعْدُ بن عُبَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ ورثَ السِّيادةَ والسَّخاء كابرًا عن كابرٍ وورَّثَها ذرّيتهُ.

❋ كان كاتبًا فصيحًا فارسًا راميًا من سَراةِ الأنصار.

❋ أَنْبَاؤهُ مع أبنائِهِ وضيئةٌ وماتَ بالشَّام سنة (١٦هـ).

❋ مناقبُهُ وفضائلهُ كثيرةٌ جدًّا لا يُلْحَقُ شأْوُها.

سَعْدُ بنُ عُبَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اللهُمَّ هبْ لي حمدًا:

جَـزَى اللّهُ أصحـابَ الـنَّبيِّ محمَّد جميعًا كما كانوا له خيرَ صَاحبِ
على اللّهِ ربِّ الّناس حُسْنُ جزائهم بمـا لا يُـوافي عـدّه ذهـنُ حاسبِ

❊ ورثَ هذا الأبُ السِّيادة كابرًا عن كابر، ووَّرثها أبناءَه وأحفادَه، ولما هاجرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، كان يبعثُ إليه كلَّ يوم جفنةً من ثريدِ اللحم، أو ثريد بِلَبن، أو غيره، وظلَّت جفنتُه تدورُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيوتِ أزواجه.

❊ فهيا نتابع كلماتِ الذَّهبيّ الذَّهبية حينما وصفَه فقال: سعدُ بنُ عبادة بنِ دُليم، السِّيدُ الكبيرُ الشّريفُ، أبو قيس، -أو: أبو ثابت- الأنصاريُّ الخزرجيُّ السَّاعديُّ المدنيُّ النقيبُ، سيّدُ الخزرجِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه(١).

❊ وسعدُ بنُ عبادة ذو عقلٍ وافرٍ، ونظرةٍ ثاقبةٍ في الأمورِ؛ كان يدركُ قَدْر نِعَم الله، ويدعو دائمًا: «اللهمَّ هَبْ لي حمدًا، وهَبْ لي مجدًا، لا مجدَ إلا بِفِعَال، ولا فِعالَ إلا بِمَال، اللهمَّ لا يصلحُني القليلُ، ولا أصلحُ له»(٢).

❊ وهذه العباراتُ السَّعديةُ تَزِنُ الجبالَ رزانةً، ومعرفةً بالأحوال، فرضي اللهُ عن سعد، ما أجملَ نبله وفضله!

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠-٢٧٩)، وانظر: معجم الصَّحابة للبغوي (٣/ ١٣-١٧)، والاستيعاب (ص٢٨٠)، وصفة الصَّفوة (١/ ٧٠٣)، والمعجم الكبير (٦/ ١٧-٢٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٢)، وغيرها مما لا يُحصر.

(٢) انظر: المستدرك (٣/ ٢٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٦).

بيتُ يطاولُ الثُّريَّا:

* للبيتِ السَّعديّ مكانةٌ باسقةٌ تُحاكي الثَّريا مجدًا وسناءً، فأمُّ سعدٍ منَ الصَّحابياتِ الكريماتِ، والمبايعاتِ الصَّادقاتِ، واسمُها: عمرةُ بنتُ مسعود النَّجَّاريةُ الخزرجيةُ، توفيت بالمدينةِ، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غائُبٌ في غزوة دُومةِ الجندل سنة خمس من الهجرة، وكان ابنُها سعدٌ معه، فلما قدمَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ، أتى قبرَها فصلَّى عليها بعد مضي شهر على موتها(١).

* ولسعدٍ بضعةُ أبناء نُجباء، ومنهم: سعيدُ ومحمدُ وعبدُ الرحمن، وأمُّهم: غزيةُ بنتُ سعد بنِ خليفة الخزرجية(٢).

* وممن اتَّصف من أبنائهِ بالنَّجابة والفَهم والذكاء؛ ابنُه قيسُ بنُ سعد، وأمامةُ وسدوس، وأمَّهم: فكيهةُ بنتُ عبيد بنِ دُليم الخزرجيَّةُ السَّاعديَّةُ(٣).

* وسيِّدنا سعدٌ أحدُ الكتبَةِ الفَصَحة الأَبِيناء في الجاهليةِ، وممَّن يجيدُ الرمايةَ والفروسيةَ، وكان الذي يتقنُ هذه المعارف والأمور يسمَّى الكامل.

* وإذا ما ذُكِر الأسخياءُ، فإنَّ سعدًا من السَّوابق، إذ كان هو وآباؤه في الجاهلية يُنادى من فوق بيوتهم: «مَنْ أحبَّ الشَّحم واللحم فَلْيأتِ أُطُمَ دُليم بن حارثة...»(٤).

(١) اقرأ: سيرةَ أم سعد بن عبادة في الباب الثالث من كتابنا: أمّهات الصَّحابة.

(٢) غزيةُ بنتُ سعد الخزرجيةُ السَّاعديةُ، تزوَّجها سعد فولدت له سعيدَ بنَ سعد، أسلمت غزيةُ، وبايعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٤٩).

(٣) فكيهةُ بنتُ عبيد، تزوَّجها سعدُ، فولدت له قيسًا وأمامةَ، أسلمتْ فكيهةُ، وبايعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ابنةُ عم سعدِ بنِ عبادة. طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣٤٩)، وأسدُ الغابة (٧/ ٢٣٢)، مع الجمع بينهما.

(٤) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٥٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٨، ٢٧٩)، مع الجمع بينهما. وانظر: المستدرك (٣/ ٢٥٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٦٠٧)، والتراتيب الإدارية (٢/ ٢٧٧)، وغيرها كثير.

* قال محمدُ بنُ سِيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان سعدُ بنُ عبادة يرجعُ كلَّ ليلةٍ إلى أهله بثمانين من أهلِ الصُّفَّة يُعشِّيهم»(١).

* وفي روايةٍ أخرى تُظْهِرُ مقامَ البيتِ السَّعديِّ ومكانته: «كان أهلُ الصُّفَّة إذا أمسَوا انطلقَ الرَّجلُ بالرَّجل، والرَّجلُ بالرَّجلين، والرَّجلُ بالجماعةِ، فأمَّا سعدُ بنُ عبادة فكان ينطلقُ بثمانين كلَّ ليلةٍ يُعَشِّيهم»(٢).

مناقبُ سعديّةٌ:

قَدْ ماتَ قومٌ وما ماتَتْ مكارمُهم ... وعاشَ قومٌ وهمْ في النَّاس أمواتُ

* كتبَ سيدنا سعدُ بنُ عبادة بمدادِ الفضائل، أجملَ مكارمِ المجدِ في صحائفِ محاسنِ الخصائلِ، فكان من آباءِ الصَّحابة الذين تُتْلى شمائلهم في المحافل.

* لم يغفلْ كاتبو سيرتِهِ مناقبَهُ، بل أشاروا إليها بالأصابع، ودلُّوا على محاسنها، واتَّفقوا على أنَّه كان نقيبَ بني ساعدة يومَ بيعةِ العقبة، وكان صاحبَ رايةِ الأنصارِ في المشاهد كلِّها، وكان سيِّدًا جوادًا وجيهًا في الأنصار، ذا رياسة وكرَم، مشهورًا بالسَّخاء، وكان له ولأبنائِهِ في الجودِ أشياءُ جميلةٌ... شهدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنهِ قيس أنَّه من بيتِ جود... وقد حضر سعدٌ العقبةَ وبدرًا وباقي المشاهد، وهو أحدُ السَّعْدَين من الأنصار اللذين لهما ذِكْرٌ في ثنايا السِّيرة النَّبوية(٣).

* ومن مناقبِ سعدٍ الجليلة أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرادَ أنْ يهاجرَ إلى المدينة، سمعوا صوتًا بمكَّة يقول:

فإنْ يُسْلمِ السَّعدان يصبِحْ محمدٌ ... بمكَّةَ لا يخشى خلافَ المُخالفِ

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٦٩٥)، طبعة بيروت.
(٢) كنز العمال (١٣/ ٤٠٥) برقم (٣٧٠٨٣).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٢، ٢١٣)، والدرر (ص٧١)، مع الجمع والتصرف اليسير، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٠/ ٢٣٩-٢٤١).

فقالت قريشٌ: لو علمنا مَنِ السَّعْدان لَفَعَلْنا وفَعَلْنَا، فسمعوا في اليوم التَّالي قائلًا يقول:

فيا سعد سعد الأوسِ إنْ كنتَ مانعًا ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارفِ

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيا ... على الله في الفردوس زلفةَ عارفِ

فسعدُ الأوس: سعدُ بنُ معاذ، وسعدُ الخزرجين: سعدُ بنُ عبادة، وعلمت قريشٌ أنَّ السَّعدين نَاصَرَا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمَنَا بما يدعو إليه[١].

* وحينما خرجَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجرًا إلى المدينة، راكبًا ناقته، متوجِّهًا حيثُ أمره اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أدركتْهُ الجمعةُ في بني سالمِ بنِ عوف، فصلَّاها في بطْنِ الوادي، وسأله ناسٌ أنْ ينزلَ عندهم ويقيمَ، فقال: «**خلُّوا النَّاقة فإنَّها مأمورةٌ**»، ثمَّ مضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى أتى دُوْرَ بني ساعدة، فتلقَّاهُ سعدُ بنُ عبادة والمنذرُ بنُ عمرو، ورجالٌ من بني ساعدة، فدعوهُ إلى النَّزول والبقاء عندهم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعو الناقةَ فإنَّها مأمورةٌ...**»[٢].

مِنْ صَحَائفِ جهادِه:

* لسيّدنا سعدٌ مواقفُ وآثارٌ بيضٌ في المغازي النَّبوية، ومواقفهُ تشهدُ له بالفضل والأوَّليّة والإقدام. فحينما أسلمَ هو، والمنذرُ بنُ عمرو، وأبو دجانة؛ راحوا يكسرونَ أصنامَ بني ساعدة، ويجعلونها جُذاذًا، ثم يرمونها.

* شهدَ سعدٌ العقبةَ مع السَّبعين من الأنصار، وكان يومها أحدَ النُّقباء الاثني عشر المعروفين. وعلمت قريشٌ بنبأ البيعةِ، فانطلقوا في أَثَرِ القوم، وأدركوا سعدَ بنَ عبادة، وطفقُوا يلكزونَه، فهتفَ بالمُطعم بنِ عدي والحارثِ بنِ أمية، فجاءا وخلَّصاهُ من أيدي قريش، فانطلقَ إلى المدينةِ، وازداد عزمًا وحزمًا، ولم تَثْنِهِ تلك المحنة عن دينِهِ.

---

(١) الوافي بالوفيات (١٥/ ٩٤، ٩٥) بتصرف.

(٢) الدرر (ص٨٦) بتصرف يسير.

* وفي صفر سنة اثنتَيْن من الهجرة كانت غزوة[١] ودّان، ويقال لها: غزوة الأبواء؛ خرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غازيًا، واستعملَ على المدينةِ سعدَ بنَ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... وكانت هذه الغزوةُ أوَّلَ غزوةٍ غزاها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسهِ[٢].

* وحينما أزفتْ غزوةُ بدر كان سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالب صاحبَ رايةِ المهاجرين، وسعدُ بنُ عبادة صاحبَ رايةِ الأنصار وكان إذا استحرَّ القتالُ؛ يكونُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت رايةِ الأنصار[٣].

* ويُصنَّفُ سيدنا سعد معَ ذوَي المكانةِ عند الصَّادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان يستشيرهُ في مهامِ الأمور، وفي شؤونِ المغازي.

* ففي غزوة بدرٍ كان لسعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مفاخرُ مأثورةٌ، ومناقبُ مشهورةٌ، ومواقفُ مذكورةٌ، وفي صحيح مسلم مسطورةٌ.

* أخرجَ الإمامُ مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ بسندهِ عن سيدنا أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاوَرَ حين بلغَهُ إقبالُ أبي سفيان، قال: فتكَلَّم أبو بكر فأعرضَ عنه، ثم تكلَّمَ عمرُ فأعرضَ عنه، فقام سعدُ بنُ عبادة، فقال: إيانا تريدُ يا رسولَ الله؟! والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أنْ نخيضَها البحرَ لأخضناها، ولو أمرتنا أنْ نضربَ أكبادَها إلى بِرْك الغماد لَفَعَلْنَا...»[٤].

---

(١) كانت غزواتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي خرجَ فيها بنفسه غازيًا (٢٧غزوة) وقد قاتلَ بنفسِهِ في تسعِ غزوات منها، وهي: بدرٌ، أحدٌ، المريسيعُ، الخندقُ، قريظةُ، خيبرُ، فتحُ مكة، حنينٌ، والطائفُ. وبلغ عدد سراياه قرابة (٤٧ سرية) وقيل: قرابة ستّين سرية. وعند الرواة وأصحاب السير أنَّ الغزوة هي التي يحضرها النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه، أما السَّرية؛ فإنَّه يرسلُ فيها طائفة من أصحابه. والله تعالى أعلم.

(٢) نهايةُ الأَرَب (١٧/ ٦)، و«وَدَّان»: موضع بين المدينة ومكة بالقرب من مدينة مستورة، وتبعدُ عن المدينة (٢٥٠ كيلًا). المعالم الأثيرة (ص٢٩٨).

(٣) مختصرُ تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٧، ٢٣٨) بتصرف يسير.

(٤) أخرجهُ مسلمٌ في الجهاد والسير، باب غزوة بدر، برقم (١٧٧٩)، و«برك الغماد»: موضعٌ في أقصى اليمن. =

* عرفَ الأنصارُ وغيرُهُم أنَّ سعدَ بنَ عبادة من الآباء أصحابِ العقلِ والحلمِ والرأي السَّديد، ففي غزاةِ بني المُصطلق قال عبد الله بنُ أبي ابن سلول المنافق: «... لئن رجعنا إلى المدينة لِيخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ...»، جاء سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشرحَ للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسيَّة ابنِ سلول، وأوضحَ ما تنطوي عليه سريرتُهُ الخبيثةُ، فقال: «يا رسولَ الله، إنَّ هذا رجلٌ يحمله حسدُهُ على النِّفاق، فَدَعْهُ إلى عمله، وقد كان قومه على أنْ يتوِّجوه بالخَرزِ قبلَ قدومك المدينةَ، ويقدِّموهُ على أنفسِهم، فهو يرى أنَّك نزعْتَ ذلك منه، وقد خابَ وخَسِرَ إنْ كان يضمرُ خلافَ ما يظهر، وقد أظهرَ الإيمانَ، فَكِلْهُ إلى ربِّه...»[(١)].

* ولهذا الأبِ الحكيمِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مواقفُ رشيدةٌ باهرةٌ، وأعمالٌ سديدةٌ زاهرةٌ، في مغازي أخرى، ومنها: غزوةُ الخندق، وحنينٌ، وغيرُ ذلك، وهذه المواقفُ جميعها تدلُّ على نُبلِهِ، وفَضْله، وبُعْدِ نظرِهِ، ومحبَّتِهِ للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا وصفَه الذَّهبيُّ بقوله: «قلتُ: كان مَلِكًا شريفًا مُطاعًا، وقد التفَّ عليه الأنصارُ يوم وفاةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبايعوهُ، وكان موعوكًا، حتَّى أقبلَ أبو بكر والجماعة فردُّوهم عن رأيهم...»[(٢)]. ولله درُّ القائل في مدحِ الأنصار:

أكرمْ بأنصارِ النَّبيِّ محمّد ... أُسْدًا وأكرمْ بالمدينةِ غيلا

بُغْضُ الأَسَافلِ لم يُنَقِّصْ فضلَهم ... بل زادهم بينَ الورى تفضيلا

الصَّحابيَّان:

* الأبوَّةُ السَّعديَّةُ أبوَّةٌ كريمةُ الخصَال، نديةُ الفعال، فقد علَّم أبناءَه سُبُلَ المكارم، وغرسَ فيهم غِراسَ الفضائل، وعلوّ الهمَّة؛ وكان ابنُه قيسٌ سبّاقًا إلى دوحة المعالي، وكان يُجاري أباه في كلِّ مكرمةٍ تسرُّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=وفي رواية: أنَّ سعدًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انظر أمركَ فوالله لو سِرْتَ بنا إلى عدن لَسِرنا، ما تخلّف رجلٌ». انظر: إعراب القرآن (٣/ ١٠٦).

(١) الدرر (ص١٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٦).

* وقيسُ بنُ سعد أحدُ الفُضلاءِ النُّجباءِ الأذكياء، وممن شَرُفَ في قومه، وممَّنْ صَحِبَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبيه، وأخيه سعيد[(١)]، وفازوا بهذا الشرَّف الوافي[(٢)].

* أخرج البخاريُّ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ قيسَ بنَ سعد كان يكونُ بين أيدي النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنزلةِ صاحب الشّرطة من الأمير»[(٣)].

* وحينما كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوةِ الغابة: «أقام سعد بن عبادة في ثلاث مئة من قومهِ يحرسون المدينةَ خمسَ لَيَالٍ؛ حتى رجعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعثَ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحمالِ تَمْر، وبعشرِ جَزَائر بِذِي قَرَد، وكان في النَّاس قيسُ بنُ سعد على فرسٍ له يُقال له الورد، وكان هو الذي قَرَّبَ الجُزُرَ والتَّمر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا قيسُ، بَعَثَكَ أبوك فارسًا، وقوَّى المجاهدين، وحرسَ المدينةَ من العدوِّ، اللهمَّ ارحمْ سعدًا وآلَ سعد»**. ثم قالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نِعمَ المرءُ سعدُ بنُ عبادة»**، فتكلَّمتِ الخزرجُ فقالت: يا رسولَ الله، هو بيتُنا وسيِّدُنا، وابنُ سيِّدنا، كانوا يطعمون في المَحْلِ، ويحملون في الكَلِّ، ويُقْرونَ الضَّيفَ، ويعطون في النَّائبة، ويحملون عن العشيرة، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خيارُ الناسِ في الإسلام خيارُهم في الجاهلية، إذا فقهوا في الدِّين»**[(٤)].

* قدَّم ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمةِ «نسطاس مولى سعد بنِ عبادة» أقصوصةً تسيلُ عذوبةً ورقَّةً عن سخاءِ الصَّحابيين سعدٍ وابنهِ قيسٍ، فقال: «كان سعدُ بنُ عبادة يغزو سنةً،

---

(١) سعيدُ بنُ سعد بنِ عبادة: له صحبةٌ، وروى عنه ابنُه شرحبيل بنُ سعيد وكان واليًا لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على اليمن، وأمُّهُ غزيةُ بنتُ سعد من المبايعات. ويُعدُّ سعيدُ بنُ سعد ممن روى عن أبيهِ، فقد أخرجَ ابنُ قانع عن سعيد، عن أبيه: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى باليمين مع الشَّاهد الواحد في الحقوق». معجم الصَّحابة لابن قانع (١/ ٢٤٨)، والاستبصار (ص٩٩)، مع الجمع بينهما.

(٢) أبناءُ الصَّحابة (ص٣٦١) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاريُّ في الأحكام برقم (٧١٥٥).

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٢٠/ ٢٥٧، ٢٥٨).

ويغزو ابنه قيس بن سعد سنةً، فَغَزَا سعدٌ مع النَّاسِ، فنزلَ برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيوفٌ كثيرٌ مسلمون، فبلغَ ذلك سعدًا وهو في ذلك الجيش، فقال: إنْ يكُ قيسٌ ابني فسيقولُ: يا نسطاسُ، هاتِ المفاتيحَ أخرجْ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجَتَه، فيقولُ نسطاسُ: هاتِ من أبيك كتابًا، فَيَدُقُّ أنفَه، ويأخذُ المفاتيحَ، ويُخرجُ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجَتَه، فكان الأمرُ كذلك، وأخذَ قيسٌ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئةَ وسقٍ»[(١)].

* وقال ابنُ قُدامة: «يُقال: لم يكنْ في الأنصارِ كُلِّها أربعةٌ مُطعِمون يتوالون في بيتٍ واحد، إلا قيسُ بنُ سعد بنِ عبادة بنِ دليم، ولم يكن ذلك في سائرِ العرب»، وقال: «وهو أحدُ الأجواد المذكورين، وأخبارُه في الجودِ والبسَالة مشهورة»[(٢)].

«صَدَقْتُم يا أَبا ثَابت»:

* لعلَّ نفحاتِ المكارم السَّعديَّةَ لا تنتهي، ولا تُمَلُّ، فقد كان سعدٌ وقيسٌ من الخيارِ الأخيارِ في الجاهليةِ والإسلامِ، وتابعَا رحلةَ الفضائلِ ومسيرةَ العطاء أيام النُّبوة. ففي حجَّةِ الوداع: «جاءَ سعدُ بنُ عبادة وابنهُ قيس[(٣)] بزاملةٍ تحملُ زادًا يؤمَّان رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني: يوم ضَلَّتْ زاملتُه في حجَّةِ الوَدَاع- حتى يجدَا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا عند منزلِه؛ قد أتى اللهُ بزاملته، فقال سعدٌ: يا رسول الله، بلغَنَا أنَّ زاملتَك ضلَّتْ مع الغُلام، وهذه زاملةٌ مكانَها، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد جاءَ الله بزاملتِنَا، فارجعَا بزاملتكما باركَ اللهُ عليكما، أَمَا يكفيكَ يا أبا ثابت ما تصنعُ بنا في ضيافتكَ منذُ نزلْنَا المدينةَ؟**»، قال سعدٌ: يا رسولَ الله، المِنَّةُ لله ولرسولِه، والله يا رسولَ الله للذي تأخذُ من

---

(١) الإصابةُ (٦/ ٢٣٤).

(٢) الاستبصارُ (ص٩٣ و٩٨).

(٣) قال أحمد البدوي بن محمدًا عن سخاء قيس وأبيه سعد:

قيسُ بنُ سعد بنِ عبادة السَّري ... ذي الطَّول والطُّول وطيب العُنْصر
يخصُّ سعدٌ كلَّ يومٍ أحمد ... بجفنةٍ ثرَّدها وجوَّدا

عمود النسب (ص١٠٣).

أموالنا أحبَّ إلينا منَ الذي تدعُ، قال: «**صدقتم يا أبا ثابت، أبشرْ فقد أفلحتَ، إنَّ الأخلاقَ بيد الله، فَمَنْ أرادَ اللهُ أن يمنحَه منها خُلُقًا صالحًا منحَه، ولقد منحَك اللهُ خُلُقًا صالحًا**»، فقال سعدٌ: الحمدُ للهِ هو فَعَلَ ذلك»[١].

* وروى جابرُ بنُ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ بَعْثًا عليهم قيسُ ابنُ سعد بنِ عبادة، فجهدوا، فنحَرَ لهم تِسْعَ ركائب، فلمَّا قدموا ذكروا ذلك لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**إنَّ الجودَ لمن شيمةِ أهلِ ذلك البيت**»[٢].

* ويضيفُ زيدُ بنُ ثابت الأنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكرمةً ناصعةً إلى صحيفةِ سعدٍ فيقول: «أوَّلُ هديةٍ أُهديتْ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نزلَ دارَ أبي أيوب أنا جئتُ بها: قصعة فيها خبزٌ مثرودٌ بلبَنٍ وسَمْنٍ، فقلتُ: أرسلتْ بهذه القصعة أمِّي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**باركَ اللهُ فيك**»، ودعا أصحابَه فأكلُوا، ثمَّ جاءت قصعةُ سعدِ بنِ عبادة: ثريدٌ وعراقُ ولحمٍ، وما كان من ليلةٍ إلا وعلى بابِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلاثةُ والأربعةُ؛ يحملون الطَّعام يتناوبون»[٣].

«يا أبا ثابت ما هَذا»:

* ارتدى سيدنا سعدٌ محامَد الخلال، وتحلَّى بالفضائل والكمال، ودعا له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحُسْنِ الفعال.

* فمن شيمِ سعدٍ السَّامقة الباسقة، ما رواه أبو بكر بنُ محمد بنِ عمرو بنِ حزم قال: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خَطَبَ المرأةَ قال: «**اذكرْ لها جفنةَ سعدِ بنِ عبادة**»[٤].

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٠/ ٢٥٨)، والمغازي (ص١٠٩٥).
(٢) درُّ السَّحابة للشَّوكاني (ص٤٢٩)؛ نقلًا عن كنزِ العمال (١١/ ٧٤٢، ٧٤٣) برقم (٣٣٦٢٨).
(٣) انظر تفصيل ذلك في سيرة النَّوَار بنتِ مالك في الباب الثاني من كتابنا: أمهات الصحابة. قلت: «اشتُهر كثير من الصَّحابة بالسَّخاء، ولهم في باب الجود أخبار جميلة، مسطورة في ثنايا ترجمتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».
(٤) تاريخ مدينة دمشق (٢٠/ ٢٥٦).

* كانت الجفنةُ السَّعديةُ مرَّةً بِلَحم، ومرةً بسمن، ومرةً بلبن؛ يبعثُ بها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما دارَ دارتْ معه الجفنةُ

* وعن سيِّدنا سعدِ بنِ عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أُتي النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصحفة -أو: جفنة- مملوءةً مُخًّا، فقال: «**يا أبا ثابت؛ ما هذا؟!**» فقال: والذي بعثَك بالحقِّ لقد نحرتُ -أو: ذبحتُ- أربعين ذات كبد، فأحببتُ أن أشبعَكَ من المخِّ. قال: فأكلَ، ودعا له النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير»(١).

* قال إبراهيمُ بنُ حبيب: «سمعتُ أنَّ الخَيْزُرَان(٢) -أمُّ الرشيد- حُدِّثَتْ بهذا الحديث، فقسمتْ قِسْمًا من مالها على ولدِ سعدِ بنِ عبادة، وقالت: أكافئُ به وَلَدَ سعدٍ على فعلِهِ برسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

يا قَيسُ اصحبْ رسولَ الله:

* كان الصَّادقُ المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور سعدًا في بيته ويسلِّم عليه، وكان سعدٌ يسعدُ بالزِّيارة النَّبوية؛ ويستزيدُ من السِّلام والدُّعاء النَّبويِّ.

* رُويَ عن سيِّدنا أنسٍ وغيرِه: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استأذنَ على سعدِ ابنِ عبادة، فقال: «**السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ**»، فقال سعدٌ: وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ الله؛

---

(١) السابق ذاته (٢٠/ ٥٦). وانظر: كنز العمال (١٣/ ٤٠٤، ٤٠٥)، رقم (٣٧٠٨٢).

(٢) اقرأ سيرةَ الخيزُرَان في كتابنا: نساء من التَّاريخ، (ص٢٢٩-٢٥٤)، ففيها فوائد جمَّة.

(٣) انظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٠/ ٢٥٦، ٢٥٧). ومن بدائع الإشارات والتَّنبيهات اللطيفة ما علَّق به محمد عبد الحي الكتّاني على هذه الأقصوصةِ السَّعديةِ تعليقًا فيه المعرفةِ والفطنةِ وحسن الاستنباط، فقال: «هذه القصةُ من عظيمِ ما جاء عن ذلك التَّاريخ، مّما يدلُّ على التَّوسُّع والرَّفاهية، ولذيذِ المطعم، وفيه قوّةُ عمارة المدينة، وأنَّها كانت تحملُ أنْ يُذْبَحَ فيها مثلَ ذلك العدد من ذواتِ الكبد، ولا يُعدُّ ذلك تضييعًا للمال، وما كان الصَّحابةُ يأتون من الأعمالِ الحامل عليها منهم التَّقرب إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلِّ غالٍ ورخيص... وعن سعد؛ كنَّا عند النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبلَ العبَّاسُ فقال: «هذا أجودُ قريش كفًّا»... ثم قال بعد أنْ ذكرَ نماذج من جُودِ الصَّحابةِ وسخائهم: «ويدلُّ هذا على عظيم بَذْلِ الصَّحابة، وبرِّهم وهبتِهم، فَبَخٍ بخٍ لتلكَ الهمم القعساء، والخلل الشمَّاء». التَّراتيب الإدارية (٢/ ٢٧٩) باختصار وتصرف.

ولم يسمعِ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى سلَّم ثلاثًا؛ وردَّ عليه سعدٌ ثلاثًا، ولم يسمعْهُ، فرجعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاتَّبعَه سعدٌ فقال: يا رسول الله، بأبي أنتَ، ما سلَّمْتَ تسليمةً إلا وهي بأذني، ولقد رددتُ عليك، ولم أُسْمِعْكَ، أحببتُ أنْ أستكثرَ من سلامكَ، ومن البركةِ، ثم دخلوا البيتَ، فقرَّبَ إليه زبيبًا، فأكلَ نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا فرغَ قال: «**أكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّت عليكم الملائكةُ، وأفطرَ عندكم الصَّائمون**»(١).

* وفي رواية أخرى عن قيسِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «... فرجعَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتَّبعَهُ سعدٌ، فقال: يا رسولَ الله، قد كنتُ أسمع تسليمكَ، وأردُّ عليكَ ردًّا خفيًا، لِتُكثرَ علينا مِنَ السَّلام، قال: فانصرفَ معه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرَ له سعدُ بغسلٍ، فوضعَ فاغتسَلَ، ثم ناوله ملحفةً مصبوغةً بزعفران ووَرْس، فاشتملَ بها، ثم رفعَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه وهو يقول: «**اللهمَّ، اجعلْ صلواتكَ ورحمتكَ على آلِ سعدِ بنِ عبادة**»، ثم أصابَ من الطَّعام، فلمَّا أراد الانصرافَ قرَّب إليه سعدٌ حمارًا قد وطَّأَ عليه بقطيفةٍ، فركبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال سعدٌ: يا قيسُ، اصحبْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال قيسٌ: فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اركبْ**»، فأبيتُ، ثمَّ قال: «**إمَّا أنْ تركبَ، وإمَّا أنْ تنصرف**»، قال: فانصرفتُ»(٢).

---

(١) مختصرُ تاريخ دمشق (٩/ ٢٤٠)، وانظر: سنن أبي داود برقم (٣٨٥٤)، ومجمع الزوائد (٨/ ٣٤)، وغيرها.

(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (٩/ ٢٤٠). ومن أرصدةِ سيِّدنا سعد الغنية بالمكارم النَّبوية، ما ورد أنَّ فروةَ بنَ مسيك المراديَّ قد أسلمَ عام الفتح، ولما قدمت وفودُ العرب؛ قدم فروةُ إلى المدينةِ النبويةِ، وكان رجلًا له شرفٌ ومكانةٌ، فأنزله سعدُ بنُ عبادة عليه، ثم غدا فروةُ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله: «**أينَ نزلتَ يا فروةُ؟**» قال: على سعدِ بنِ عبادة، قال: «**باركَ اللهُ على سعدِ بنِ عبادة**». خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ١١٦) بتصرف.

* وعن قيسٍ أيضًا قال: «زارَنَا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزلِنا... فذكرَ كلامًا، ثمَّ قال: ثم رفعَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه وهو يقولُ: «**اللهمَّ اجعلْ صلواتك رحمتك على آلِ سعدِ بنِ عبادة**»[1].

مرحبًا بالأنصار:

* تُسْفِرَ السيرةُ السَّعديةُ عن بدائع جميلة، ومنها أنَّ سعدًا كان يربّي ابنَه على المحبَّةِ النَّبويَّةِ، فكان يصحبُهُ ويدخلان على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدعو لهما.

* روى زيدُ بنُ ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «دخلَ سعدُ بنُ عبادة على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ومعه ابنُه، فسلَّم، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مرحبًا بالأنصار، مرحبًا بالأنصار**»، وأقامَ ابنُه بين يدي رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجلسْ**»، فجلسَ، فقال: «**أُدْنُ**» فَدَنَا، فقبَّلَ يَدَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجْلَه... فقال سعدٌ: أكرمَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كما أكرمتنا، فقال: «**إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد أكرمكم قبل كرامتي**»[2].

«كيفَ أخي سَعدٌ»:

* أَلَمَّ بسعدِ بنِ عبادة مرضٌ، فكان له نصيبٌ ميمونٌ من زيارةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفضيلةٌ باهرةٌ زاهرةٌ، حيث دعَاهُ النَّبيُّ بقوله: «**أخي سَعدٌ**».

* أخرجَ مسلمٌ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «كُنَّا جُلوسًا مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذْ جاءَهُ رجلٌ من الأنصار، فسلَّم عليه، ثمَّ أدبرَ الأنصاريُّ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أخا الأنصار؛ كيفَ أخي سعدُ بنُ عبادة؟**»، فقال: صالحٌ، فقالُ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥١٨٥)، والطَّبرانيُّ (١٨/ ٣٥٣، ٣٥٤) برقم (٩٠٢)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١٤٧)، وكنز العمال (١١/ ٦٨٩) برقم (٢٣٣٢٩). وعن ابن شهاب قال: «كان حاملَ راية الأنصار مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيسُ بنُ سعد بن عبادة، وكان من ذوي الرأي من الناس» كنز العمال (١٣/ ٥٧٧) برقم (٣٧٤٧٩).

(٢) مختصرُ تاريخ دمشق (٩/ ٢٤١)، بتصرف يسير.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَعُودُهُ منكم؟**» فقامَ وقُمْنَا معه، ونحنُ بضعة عشر، ما علينا نِعَالٌ؛ ولا خفافٌ؛ ولا قلانسُ؛ ولا قُمُصٌ، نمشي في تلك السِّباخ حتى جئناهُ، فاستأخرَ قومه مِنْ حوله، حتى دنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأصحابُه الذين معه»(١).

* وكيما ندركَ مكانةَ سعدٍ وجلالة قَدْره ينبغي أنْ نعلمَ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بكى لمرضهِ، ففي بابِ البُكاء عند المريض، أخرجَ أميرُ أهلِ الحديث، أبو عبد الله البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بسندِه عن عبدِ الله بنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «اشتكى سعدُ بنُ عبادة شكوى، فأتاه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعودُهُ مع عبد الرحمن بنِ عوف، وسعدِ بنِ أبي وقاص، وعبدِ الله بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلمَّا دخلَ عليه فوجدَهُ في غاشيةِ أهله، فقال: «**قد قضى؟**» قالوا: لا يا رسولَ الله، فبكى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا رأى القومُ بكاءَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكوا، فقال: «**ألا تسمعون؟ إنَّ اللهَ لا يُعذِّب بدمعِ العين، ولا بحزنِ القلب، ولكنْ يُعذِّب بهذا** -وأشار إلى لِسَانِهِ- **أو يرحمُ، وإنَّ الميت يُعَذَّب ببكاءِ أهلهِ عليه**»(٢).

نَفَحاتٌ قُبيلَ الرَّحيل:

* قبلَ أنْ نُودِّع سيرةَ هذا الأبِ الكاملِ الفاضلِ، لا بأس أنْ نذكرَ شيئًا من النَّفحات السَّعديةِ المنعشةِ، ومنها أنَّه روى عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه: ابنُه إسحاق، وابنُه سعيد، وابنُه قيس، وحفيدُهُ شرحبيل بنُ سعيد، وسعيدُ بنُ المسيب وغيرهُم.

---

(١) أخرجه مسلمٌ في الجنائز برقم (٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاريُّ في الجنائز برقم (١٣٠٤)، وقوله: «اشتكى»: ضَعُفَ. و«في غاشية أهله»: أي الذين يغشَونَه للخدمةِ وغيرها، والغاشية: هي الداهية من شرٍّ، أو من مرضٍ، أو من مكروه، والمرادُ ما يتغشَّاه من كربِ الوجع الذي هو فيه لا الموتُ، لأنَّه أفاقَ من تلك المرضة، وعاشَ بعدها زمانًا.
قال ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث ابنِ عمر من الفوائد: استحبابُ عيادة المريض، وعيادةُ الفاضل للمفضول، والإمامُ أتباعه مع أصحابه، وفيه النهي عن المنكر وبيان الوعيد عليه». فتح الباري (٣/ ١٧٦).

* ولسعدٍ أحاديثُ يسيرةٌ، وهي عشرون بالمكرر، وقد ماتَ قبل أوانِ الرِّواية، وله ذِكرٌ في غيرِ موضعٍ من الصَّحيحَيْن، وروى له الأربعةُ.

* مات سعدٌ في حورانَ من أرضِ الشَّام إبَّان خلافة سيِّدنا عمرَ حوالي سنة (١٦هـ)، وزعموا أنَّ الجنَّ رمتْهُ فقَتَلته، وقبرهُ بأرضِ دمشقَ يُزار، واللهُ أعلم[١].

* إذن: لسعدٍ محاسنُ نادرةٌ مذهبةٌ، من حقّها أنْ تكتبَ بماء الذهب، وإذا ما أرادَ الباحثُ تدوينها، فإنَّه يحتاجُ إلى مجلدٍ كبير، ولعلَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يقيضُ له مَنْ يفيهِ شيئًا من حقوقهِ علينا، قال المزيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومناقبه وفضائلُه كثيرة جدًا»[٢].

* قلتُ: «باركَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ذريّةِ سيدنا سعدِ بنِ عبادة، فقرَّ الإسلامُ بهم عينًا، وكان من ذُريته -كما قال القلْقَشَنْديُّ-: «ومن بني سعدِ بنِ عبادة سيِّدِ الخزرج: بنو الأحمرِ ملوكُ غَرْنَاطَةَ بالأندلس، وأوَّل مَنْ مَلَك منهم: محمدُ بنُ يوسُف بنِ نصر»[٣]، والله تعالى أعلم».

* رضيَ الله عن سعدِ بن عبادة، وحشَرنا في معيَّتِهِ بِدارِ السَّعادة.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٧٨، ٢٨١)، والاستبصار (ص٩٧)، ومعجم الصحابة لابن قانع (١/ ٢٤٨) و(٣/ ١٤، ١٥)، وغيرها.

(٢) تهذيبُ الكمال (١٠/ ٢٨١).

(٣) قلائدُ الجمان (ص٩٤).

عَازبُ بنُ الحَارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

❁ ربَّى أبناءَه على مائدةِ العِلْم والفضائلِ والعَطاء.

❁ نالَ شرفَ الصَّحبة مع أبنائِهِ: البراء، عُبيد، أُمّ عبد الله.

❁ سيرتُه مقتضَبةٌ في مصادر الصَّحابة الأنصار.

❁ له قصَّةٌ جميلةٌ مع أبي بكرٍ مذكورةٌ في صَحيح البُخاري.

عَازِبُ بْنُ الحَارِث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مِنْ قُدماءِ الأَنْصار:

* لهذا الأبِ ثلاثةُ أبناء من الصَّحابة لهم أثرٌ ميمونٌ في تاريخِ عصر النُّبوّة؛ غير أنَّ أقلامَ الكاتبين لم تسترسلْ في سيرتهِ، وهو من الأنصارِ الذين أثنى الله عليهم في القُرآن الكريم.

* حينما كتبَ علماءُ الإسلام أسماءَ الصَّحابة وحياتهم، ذكروا أنَّه: عازبُ بنُ الحارث ابنِ عديّ الأنصاريُّ الحارثيُّ المدنيُّ[١].

* وسيرةُ عازبٍ مقتضبةٌ في المصادر؛ ومن خلال استقرائها ظهرَ أنَّه أسلم مبكِّرًا مع قومهِ قبل الهجرةِ النَّبويَّةِ، ولكنَّه لم يظهرْ في المَغازي، أو المَشاهد، ولم يُسجِّلْ له الرُّواةُ إلا بعضَ المعلوماتِ اليسيرة.

* قال ابنُ سعد: «قالوا: وكان عازبُ قد أسلمَ أيضًا... وكانَ له من الولد: البراءُ، وعبيدُ، وأمُّ عبد الله، مبايعة... ولم نسمعْ لعازب بذكرٍ في شيءٍ من المغازي»[٢].

* وفي كلامٍ للذَّهبيِّ عن ابنِ البراء قال: «وأبوهُ من قُدماءِ الأنصار، قال الواقديُّ: لم نسمعْ له بذكرٍ في المغازي»[٣].

* وأكَّدَ ابنُ كثير الكلامَ نفسَه عن البراءِ وأبيهِ فقال: «البراءُ بنُ عازب... صحابيٌّ جليلٌ، وأبوهُ أيضًا صحابي»[٤].

(١) الاستبصارُ (ص٢٤٩)، وطبقاتُ ابن سعد (٥/ ٢٨٣)، وأسدُ الغابة (٣/ ١٠٦)، والإصابة (٤/ ٣)، وغيرها.
(٢) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٢٨٣).
(٣) سيرُ أعلام النبلاء (٣/ ١٩٥).
(٤) البدايةُ والنهايةُ (١٢/ ١٧٤).

* وقال النَّوويُّ: «وأبوهُ عازبُ صحابيٌّ، ذكرَ محمدُ بنُ سعد في الطَّبقات أنَّه أسلمَ»(١).

* وأمَّا المِزِّيُّ فقال عنهما: «البراءُ بنُ عازب... صاحبُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابنُ صاحبِهِ»(٢). وكذا قال ابنُ حجر عن كليهما: «له ولأبيهِ صُحبةٌ»(٣).

* ولعازبٍ أخٌ صحابيٌّ اسمُه: قيسُ بنُ الحارث بن عدي، وهو أوَّلُ مَنْ قُتِلَ من المسلمين بعدما ولُّوا يومَ أُحد مع طائفةٍ من الأنصار، أحاطَ بهم المشركون، فلم يفلتْ منهم أحدٌ، وقاتلهم قيس بنُ الحارث حتى قَتَلَ منهم عدَّة، ثم لم يقتلوهُ حتى نظموهُ برماحِهم نظْمًا، وهو يقاتلُهم بالسَّيف، فَوُجِدَ به أربعَ عشرةَ طعنةً قد أجافته، وعشرَ ضرباتٍ في بَدَنهِ... وفي روايةٍ؛ أنَّه قُتِلَ يوم اليمامة شهيدًا. والله تعالى أعلم(٤).

نزهةٌ مع أبناءِ عازب:

* البيتُ العازبيُّ من بيوتِ الأنصار المباركةِ، فقد أسلمَ أفرادُ هذا البيتِ مع السَّابقين، وملأتْ ذريةُ عازب صحائفَ التَّاريخ بالمواقفِ العطرة، وأشادَتْ بتربيةِ عازبٍ لأبنائهِ على حبِّ اللهِ ورسوله، فَسعِدَ جميعُهم بالصُّحبة النَّبويَّة، وطار ذكرُهُم في البلاد، وبين العباد.

* فالبراءُ بنُ عازب؛ صحابيٌّ جليلٌ، وفقيهٌ كبيرٌ، وعالم جِهْبذٌ من علماء الصَّحابة وفضلائهم، وممَّنَ نقلَ كثيرًا من الشَّمائل المحمديةِ، ويعدُّ من أصحاب المئات في الرِّواية، له (٣٠٥ أحاديث)، وهو أحدُ فرسانِ مدرسةِ النُّبوة، وأوَّلُ مشاهدهِ الخندق، ثم شهدَ غزواتٍ كثيرةً بالمعيَّةِ النَّبويَّة... وفي عهدِ الخلفاءِ الراشدين؛ كان من القادةِ الفاتحين، وممن

(١) تهذيبُ الأسماء واللغات (١/ ١٣٢).
(٢) تهذيبُ الكمال (٤/ ٣٥).
(٣) الإصابة (١/ ١٤٧).
(٤) أسدُ الغابة (٤/ ٣٩٧)، والاستبصارُ (ص٢٤٨، ٢٤٩)، مع الجمع بينهما.

شاركَ في فُتوح البلدان. وللبراء سيرةٌ جميلةٌ ترفلُ في مطارفِ العزِّ، وهي مستوفاةٌ في موسوعتنا: (علماء الصَّحابة)[١]. وتوفي بالكوفةِ سنة (٧١هـ) بعدما أضر[٢].

* ولعازب ابنٌ آخر اسمُه: عُبيد، وهو أخو البَراء، ويعدُّ من الصَّحابة الذين لهم روايةٌ عن رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقد روتْ حفصةُ بنتُ البراء بنِ عازب، عن عمِّها: عُبيدِ بنِ عازب، قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي**»[٣]. وشهدَ عبيدٌ وأخوهُ البراءُ مع سيدنا عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مشاهده كلّها[٤]. وكان عُبيد أحد العشَرة من الأنصار الذين وجَّههم عمر مع عمَّار بن ياسر إلى الكوفة، وله بقيةٌ وعقبٌ بالكوفة[٥].

* وابنةُ عازب صحابية أيضًا، وتدعى: أمُّ عبدِ الله، وهي أختُ البراء لأُمِّه وأبيهِ، أسلمتْ أمُّ عبد الله بنتُ عازب، وبايعت رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ[٦].

عازبٌ وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

* لعازبٍ خبرٌ مشهورٌ مع سيِّدنا أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٧]، وكان البراءُ ابنهُ شاهدًا في هذا الخبرِ المذكور في الصَّحيح.

* كان عازبٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحبُّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويتقصَّى أخبارَهُ، وكان يريدُ أنْ يُسمِعَ ابنَه البراءَ ويعلِّمَه شيئًا من السِّيرةِ النَّبويَّة، والشَّمائل المحمدية، وقصصِ أكابر الصَّحابة وسابقيهم إلى الإسلام.

---

(١) انظر سيرته في الباب الثالث من كتابنا: علماء الصحابة (ص٧٤١-٧٦٦).
(٢) نكتُ الهميان (ص١٢٤، ١٢٥).
(٣) أسدُ الغابة (٣/ ٥٣٧).
(٤) الاستيعابُ (ص٤٦٤)، والاستبصار (ص٢٥٠).
(٥) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٢٨٧) و(٨/ ١٤٠)، والإصابة (٤/ ٢٠٥).
(٦) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣١٣)، والإصابة (٨/ ٢٥٤).
(٧) كتابُ التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص٣٣٩) برقم (٣٠١٨).

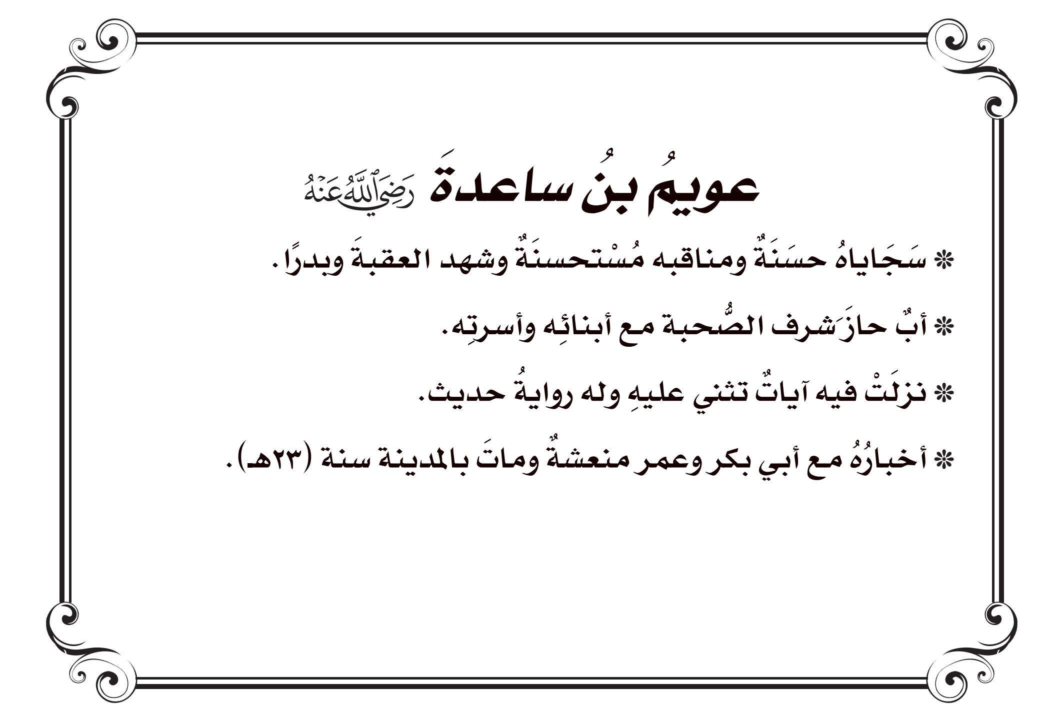
* أخرجَ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن البراءِ بنِ عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاءَ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أبي في منزلِهِ، فاشترى منه رحلًا، فقال لعازبٍ: ابعثْ ابنكَ يحملُه معي، قال: فحملتُه معه، وخرجَ أبي ينتقدُ ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر، حدِّثْني كيف صنعتُما حين سريتَ مع رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم...»(١)، ثم روى بقيّة حديث الهجرة إلى المدينةِ.

* لا نعلمُ أكثرَ من هذه الشَّذرات من حياةِ هذا الأب الصَّحابي والد الصَّحابة، والمحبّ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ لم يذكر أحدٌ منَ الرُّواة تاريخَ وفاته، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّه ماتَ في المدينةِ المنوَّرة زِمنَ الخلافة الراشدة، واللهُ تعالى أعلم.

* رضي الله عن عازب وعن أبنائِه، وعن سائرِ أصحاب رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يرحمنا، وأنْ يغفرَ لنا، وأنْ يحشرنا معهم.



(١) أخرجه البخاريُّ في المناقب برقم (٣٦١٥)، كما أخرجَه في مواضعَ كثيرةٍ، وهو عند مسلم برقم (٢٠٠٩).



عويمُ بنُ ساعدةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* سَجَاياهُ حسَنَةٌ ومناقبه مُسْتحسنَةٌ وشهد العقبةَ وبدرًا.

* أبٌ حازَ شرف الصُّحبة مع أبنائِه وأسرتِه.

* نزلَتْ فيه آياتٌ تثني عليهِ وله روايةُ حديث.

* أخبارُهُ مع أبي بكر وعمر منعشةٌ وماتَ بالمدينة سنة (٢٣هـ).

عويم بن ساعدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سَابقُو الأَنْصَار:

❊ أكرمهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بإشراقِ العقلِ، وكمالِ الفَضْل، وكريمِ السَّجايا، ولطيفِ المحاسن والمزَايا، عرِفَ بمكانتِهِ بين الأنصار، وتخلَّقَ بالسَّكينة والوقَار، ولكنَّه لم يتصدَّرْ ساحةَ المشاهيرِ البهاليلِ، مع العلْم أنَّه صحابيٌّ جليلٌ، وفاضلٌ نبيلٌ، وأبناؤه معدودون في الصَّحابة، وجميعُهم من أهل العِلْم والنَّجابة.

❊ ولما كانت بيعةُ العقبةِ الأولى كان ممَّن رفعَ الله مقامَه، وأظهرَ في مَدَارجِ التَّوفيق أعلامَه؛ فَمَنْ هذا الأبُ الذي تبوَّأ هامَ المناقب، في تلك الليلة التي توقَّدت بها نجومُ الليل الثَّواقب؟

❊ الإمامُ النَّوويُّ يجيبُ عن ذلك في تهذيبه فيقول: «هو عويمُ بنُ ساعدة بن عايش الأنصاريُّ الأوسيُّ، الصَّحابي أبو الصَّحابي»[(١)].

❊ وسيدنا عويمٌ ممَّن أثنى عليه أهلُ العِلْم والتَّاريخ، وذكروُهُ من أصحاب بيعةِ العقبةِ الأولى[(٢)]، وأشاروا إلى أنهَّم لَّما انصرفوا من مكةَ؛ بعثَ معهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) تهذيبُ الأسماء واللغات (٢/ ٤١)، وانظر: التّذكرة (ص١٣١٤)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٢٤، ٤٢٥)، وتاج العروس (٣٣/ ١٥٩)، والمستدرك (٣/ ٦٣١)، والمنتظم (٤/ ٢٦٣)، والاستبصار (ص٢٧٩)، وعُويم على وزن: زُبير.

(٢) في معرضِ كلامِهِ عن حوادثِ سنة ١٢ منَ النبوة قال ابنُ الجوزي: «ومن الحوادثِ في هذه السَّنَة: خروجُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامئذٍ إلى الموسم، وقد قَدِمَ وفْدٌ من الأنصار اثنى عشر رجلًا، فلَقوه بالعقبة...». ثم ذكر منهم عويم بن ساعدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. المنتظم (٣/ ٣٣)، وانظر: إمتاع الأسماع (١/ ٥٢).
وذكر ابنُ سعد أنَّ عويمًا التقى رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ الهجرة مع نَفَرٍ من قومه، وسلّموا عليه في منزل عمّه العباسِ بنِ عبد المطلب. طبقات ابن سعد (٤/ ٦، ٧) بتصرف.

مصعبَ بنَ عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وأمره أنْ يقرئَهم القرآنَ الكريمَ ويعلِّمهَم الإسلام، ويفقِّهَهم في الدِّين؛ فَفَعَلَ، وآتتِ الدعوةُ المصعبيةُ أُكُلَها، فأسلمَ بنو عبد الأشهل، وعلى رأسهم سعد بن معاذ صِدِّيق الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنهم أجمعين.

* أطلَّت بيعةُ العقبةِ الثانيةِ، فكان عويمٌ من رجالها المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله، وبايعوا رسوله، وشهدوا العقبتين(١)، فكان من السَّابقين الميامين.

* آزرَ صاحبُ التذكرة مَنْ سَبَقَه بقولهِ عن سيِّدنا عُويم: «عويمُ بنُ ساعدة الأنصاريُّ، أبو عبد الرَّحمن المدنيُّ، له صُحبةٌ وروايةٌ، وعنه ابنُه عتبةُ، شهد العقبةَ مع السَّبعين، وشهدَ بدرًا وأحدًا والخندقَ، وماتَ في خلافةِ عمرَ...»(٢).

مُربٍّ مخلصٌ وأبناءٌ ميامين:

* حازَ سيدنا عويمٌ قَصَبَ السَّبْقِ في ميادين الفضَائل، وساحات المكارمِ، فهو من الطَّبَقةِ الأولى من البدريين الأنصار، ومن الآباءِ المُخلصين الأخيار، وقد ساق ابنُ سعد بعضَ الأخبار العُويميّةِ والأُسريَّة فقال: «عويمُ بنُ ساعدة، ويكنى: أبا عبد الرحمن، وأمُّه: عميرةُ بنتُ سالم بنِ سلمة... وكان لعويم من الولَد: عتبةُ، وسُويدُ، وقرظةُ، وأمُّهم: أمامةُ بنتُ بكير الخزرجيَّةُ... ولعويم عَقِبٌ بالمدينةِ، وبدربِ الحَدَث، وعويمٌ في الثَّمانية نَفَر الذين يُروى أنَّهم أوَّلُ مَنْ لقيَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكَّةَ، فأسلمُوا، وشهدَ عويمٌ العقبتَيْن جميعًا»(٣).

* فمن أبناءِ عويم: عبدُ الله بنُ عويم الأنصاريُّ، وعداده في أهل المدينة، وله صحبةٌ، وروايةٌ(٤).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٣)، وشرح المواهب اللدنية (٢/ ٨١)، والمغازي لموسى بن عقبة (ص٩٥)، والمنتظم (٣/ ٤١)، وغيرها.

(٢) التذكرةُ بمعرفةِ رجال الكتب العشرة (ص١٣١٤) برقم (٥٢٤٤).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٤٢٥، ٤٢٥) بتصرف يسير. وانظر: المغازي لموسى بن عقبة (ص٨٩).

(٤) أسدُ الغابة (٣/ ٣٥٦)، والإصابةُ (٤/ ١١٦)، ومعجمُ الصحابة لابن قانع (٢/ ١٤٢، ١٤٣) برقم (٦١٥).

* وابنه: عتبةُ بنُ عويم ممن شهد بيعةَ الرضوان تحت الشَّجرة، وشهد ما بعدها، ولهذا قال الذَّهبيُّ: «والظَّاهرُ أنَّ لِعُتْبَةَ ولأبيهِ صحبةٌ»(١). وأكَّد ابنُ سعد أنَّ لِعُتبةَ بنِ عُويمٍ صحبةٌ حينما تكلَّم عن عُميرةَ بنتِ كُلثوم بنِ الهدم فقال: «تزوَّجها عتبةُ بنُ عويم بنِ ساعدة... أسلمتْ عُميرةُ بنتُ كلثوم، وبايعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢). ولعُتبةَ روايةٌ عن أبيه، عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إنَّ اللهَ اختارني، واختارَ لي أصحابًا، وجعلَ لي منهم أصهارًا وأنصارًا ووزراء، فَمَنْ سبَّهم فعليه لعنةُ الله، والملائكة، والنَّاس أجمعين، لا يقبلُ اللهُ منه يومَ القيامةِ صرفًا ولا عدلا**»(٣).

* وابنُه: عبدُ الرحمن بنُ عويم، وُلِدَ على عَهْدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: قَبْلَ الهجرة، وله روايةٌ، ومنها: «لَمَّا سمعْنَا بمخرجِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُنَّا نخرجُ كلَّ غداةٍ إلى ظَهْر الحَرَّة...»(٤).

* باركَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في أبناءِ عويمُ وذريته، فكانوا من كبارِ الرُّواة والثِّقات، وأعيانِ الأئمة، وعلماء الدِّين وهداة الأُمَّة، ولهم آثارُ بيضٌ في صحائفِ المعرفةِ، وتاريخِ جهابذةِ العُلماء والفقهاء، وقد جعلَ اللهُ الخيرَ في هذه الذُّريةِ العويميَّةِ التي بلغَتْ صهواتِ العلوم، وأحيتْ ذكرَ عُويم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥).

---

(١) ميزانُ الاعتدال (٥/ ٣٩).

(٢) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣٢٨). ولما حبَّر ابنُ حبيب أسماء المبايعات ذكرَ عُميرة بنتَ كلثوم فيمن بايع منهنَّ. المحبَّر (ص٤١٩).

(٣) معرفةُ الصحابة برقم (٥٣٥٠)، ومعجمُ الصحابة لابن قانع (٢/ ٢٨٨) برقم (٨٢٠)، والمعجمُ الكبير (١٧/ ١٤٠) برقم (٣٤٩)، والمستدركُ (٣/ ٦٣٢)، و«الصَّرف»: الفريضة، و«العدل»: النَّافلة. وانظر: كنز العمال (١١/ ٥٢٥) وما بعدها.

(٤) الاستبصارُ (ص٢٧٩)، وأسد الغابة (٣/ ٤٨٠، ٤٨١).

(٥) ذكر ابنُ قانع أنَّ لعويم أخًا اسمه: عتبةُ بنُ ساعدة، وأوردَ له حديثًا فقال: جاءنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحنُ نبني مسجدَ قباء، فقال: «**قد أفلحَ مَنْ بنى المساجدَ، وقَرأَ القرآنْ قائمًا وقاعدًا**». معجمُ الصحابة (٢/ ٢٦٨). =

الشجاعُ الأَمينُ:

* اتَّصفَ سيدنا عويمٌ بالأمانةِ والشَّجاعةِ والصَّفاءِ والصَّلاح، وقد آخى النَّبيُّ ﷺ بينَه وبينَ عمرَ بنِ الخطاب، أو بينه وبين حاطب بنِ أبي بلتعة رضي الله عنهم أجمعين، ولم يغبْ عويمٌ عن المغازي النَّبويَّة، فهو من أهل بَدْرٍ، فقد شَهدها وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكذلك شهدَ المشاهدَ كلَّها مع النَّبيِّ ﷺ، وكان من أوائلِ الشُّجعان يومَ غزوةِ المُريسيع، ويومَ غزوة بني قُريظةَ، وله مكانةٌ مرموقةٌ بين أبطالِ الأنصار وفرسانهم.

* ومن سِماتِ عُويم رضي الله عنه: الحزمُ، والوفاءُ، لهذا كان الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ يُوكلُ إليه بعضَ المهَام التي تحتاجُ إلى الحزْمِ والأمانةِ.

* ذكروا: «أنَّ الحارثَ بنَ سُويد بنِ الصَّامت قَتَلَ يومَ أحدٍ المُجذَّرَ بنَ زياد غدرًا، فنزلَ جبريلُ عليه السلام على رسولِ الله ﷺ فأخبرهُ أنَّ الحارثَ بنَ سويد قتلَ مُجذَّرًا غيلةً، وأمرَهُ بقتْلِهِ، فركبَ رسولُ الله ﷺ إلى قباء في اليوم الذي أخبَرَهُ جبريلُ، في يوم حارٍّ، وكان يومًا لا يذهبُ فيه إلى قباء، إنَّما كان يذهبُ يوم السَّبت ويوم الاثنين، فلما دخلَ قباء، وسمعَتِ الأنصارُ بمجيئِهِ، جاءتْ تسلِّمُ عليه، فجلسَ رسولُ الله ﷺ يتحدَّثُ حتَّى طلعَ الحارثُ بنُ سويد في ملحفةٍ مُورّسةٍ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**قتلْتَ المُجذَّرَ؟**»، فقال: نعم، هو قاتلُ أبي، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عويمَ بنَ ساعدة، فقال له: «**قدِّم الحارثَ بنَ سُويد إلى بابِ المسجد فاضربْ عنقَه بمجذَّر بنِ زياد، فإنَّه قتَلَهُ يوم أُحد**»، فأخذَهُ عويمٌ؛ وأراد الحارثُ أنْ يكلِّم رسولَ الله ﷺ وهو راكبٌ يريدُ أنْ يعودَ؛ فأبى عويمٌ عليه، وجعلَ الحارثُ يتكلَّمُ ويعتذرُ، حتى إذا استوعبَ كلامه، قال

= وذكر ابنُ قدامة: «أنَّ لعويم أخوين، وهما: عبدُ الرحمن بنُ ساعدة، وعبدُ الله بنُ ساعدة، ولهما رواية». الاستبصارُ (ص٢٧٩).

رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قدِّمْه يا عويمُ فاضربْ عُنَقَه**»، فقدَّمهُ عويمٌ على بابِ المسجد؛ فضربَ عنقَه، وكان أوَّل مَنْ أُقِيْدَ في الإسلام، ثم رجعَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينزلْ عندهم»[١].

منهم عُويمٌ:

* بلغَ سيدنا عويمٌ مرتبةً سامقةً من الصَّفاء والنَّقاء، فكان من صالحي الأنصار وفضلائهم، وجاءه تشريفٌ نبويٌّ لذلك، ذكره الطَّبريُّ عن جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه سمعَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**نِعمَ العبدُ من عبادِ الله، والرَّجلُ من أهلِ الجنَّة عويمُ ابنُ ساعدة**»[٢].

* وكان عويمٌ جيِّدَ السَّريرة، عفَّ السَّريرة، طاهرَ القلب، نقيَ الأثواب، فحينما نزلَ قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]. قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**منهم عويمُ بنُ ساعدة**»، وكان عويمٌ أوَّلَ من غَسَل مقعدتَه بالماء...[٣].

* وعن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما نزلتْ هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨]. بعثَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عويمِ بنِ ساعدةَ، فقال: «**ما هذا الطّهور الذي أثنى اللهُ عليكم؟**»، فقال: يا رسولَ الله، ما خرجَ منَّا رجلٌ ولا امرأةٌ من الغائطِ إلا غَسَل فرجه، أو قال: مقعدته، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو هذا**»[٤].

---

(١) إمتاعُ الأسماع (١٠/ ١٠، ١١)، والدررُ (ص٣٠٣-٣٠٥)، مع الجمع والتصرف. قال ابنُ سعد: «قتلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحارثَ بنَ سويد بالمجذَّر بنِ زياد، وكان الذي ضربَ عنقه بأمرِ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عويمُ بنُ ساعدة، على بابِ مسجد قباء». طبقات ابن سعد (٣/ ٥١٢).

(٢) انظر:الدرّ المنثور للسيوطي (٧/ ٥٣٥).

(٣) الدرُّ المنثورُ (٧/ ٥٣٥).

(٤) أخرجه الطبرانيُّ عن عويم بن ساعدة (١٧/ ١٤٠) برقم (٣٤٨)، وانظر: الدر المنثور (٧/ ٥٣١).

* قال الذَّهبيُّ: «وقيل: عويمُ بنُ ساعدة ممَّنْ نزلَتْ فيه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨].»(١).

* ولعويم أوليَّةٌ مباركةٌ قيَّدها الذَّهبيُّ أيضًا فقال: «قيل: كان من أوَّل من استنجى بالماء»(٢).

روايتُه للحديثِ النَّبويِّ:

* ما تركَ سيدنا عويمٌ بابًا من أبوابِ الفضائلِ إلا طرقَه، فهو من آباءِ الصَّحابةِ الأنصار الذين نقلُوا الحديثَ النَّبويَّ، وقد روى عنه أولادُهُ وأحفادُهُ، وغيرهُم.

* نقرأُ عند الطَّبرانيّ ما أخرجَهُ بسنده عنه قال: «أَنْهَرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا معه قوسٌ فارسيةٌ، فقال: «**اطرحْهَا**»، ثمَّ أشار إلى القوسِ العربيةِ، وقال: «**بهذهِ وبرُمْحِ القَنَا يُمكَّنُ لكم في البلاد، وينصرُكم على عدوِّكم**»(٣).

* وأخرجَ الطبرانيُّ وغيرُهُ عن سيِّدنا عويمٍ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالأبكارِ فإنَّهنَّ أعذبُ أفواهًا، وأنتقُ أرحامًا، وأرضاهنَّ باليسير**»(٤).

* وفي ميدانِ الأخلاقِ والسُّلوك أخرجَ ابنُ قانع عن عويمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطوا المجلسَ حقَّه: ردُّ السَّلام، وإرشادُ ابنِ السَّبيل**»(٥).

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ٥٠٤)، وانظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦٧)، والحديث أخرجه أحمد برقم (١٥٤٢٤).

(٢) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ٥٠٣).

(٣) المعجمُ الكبير (١٧/ ١٤١) برقم (٣٥١)، وانظر: معجم الصَّحابة لابن قانع (٢/ ٢٨٨).

(٤) المعجمُ الكبير (١٧/ ١٤١) برقم (٣٥٠)، وانظر: معرفة الصَّحابة لأبي نعيم برقم (٥٣٢٤). ومعجم الصَّحابة لابن قانع (٢/ ٢٨٨).

(٥) معجمُ الصَّحابة (٢/ ٢٨٩).

عويمٌ والعُمَران:

* عويمُ بنُ ساعدة الأنصاريُّ من الصَّحابة المرضيين، فقد توفيَ رسولُ الله وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راضٍ عنه، وعن أبنائِهِ. ولعويمٍ موقفٌ رشيدٌ سديدٌ مع العُمرين: أبي بكر وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حيثُ قال عمرُ: «فَلِقِينا رجُلان صالحان من الأنصارِ»(١).

* قدَّم هذا الموقفَ ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذكر: «أنَّ الرَّجلين الصَّالحين الذين لَقِيَا أبا بكر وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهما يُريدان سقيفةَ بني ساعدة، فذكَرا ما تمالأَ عليه القومُ وقالا: أينَ تُريدان يا معشرَ المهاجرين؟ فقالا: نريدُ إخواننا منَ الأنصار، فقالا: لا عليكم أنْ لا تقربوهم، اقضوا أمركم»(٢).

* والرُّجلان الصَّالحان اللذان لَقُوهما: عويمُ بنُ ساعدة، ومعنُ بنُ عدي العجلانيُّ(٣).

* ويضيفُ الزُّبيرُ بنُ بكار معلومةً على ماسبق فيقول: «ولَمَّا اجتمعَ جمهورُ النَّاس لأبي بكر، أكرمتْ قريشٌ معنَ بنَ عدي(٤)، وعويمَ بنَ ساعدة، وكان لهما فضْلٌ قديمٌ في الإسلام»(٥).

---

(١) الإصابةُ (٥/ ٤٥)، والمستفادُ من مبهمات المتن والإسناد (٢/ ٥٦٦).

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٤٢٦)، وسيرُ أعلام النّبلاء (١/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٣) الإصابةُ (٥/ ٤٥).

(٤) معنُ بنُ عدي بن الجد الأنصاريُّ العجلانيُّ، شهدَ العقبةَ وبدرًا وأحدًا والخندقَ وسائر المشاهد كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يكتبُ العربية قبلَ الإسلام، وحينما بكى الناسُ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات، وقالوا: «ليتَنا متْنَا قبلَه؛ نخشى أنْ نُفْتَنَ بعده»، قال معنٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لكنّي واللهِ ما أحبُّ أنّي متّ قبلَه حتى أصدّقَه ميتًا كما صدّقتُه حيًّا»، وكان النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد آخى بينَه وبين زيدِ بنِ الخطابِ، فقُتلا جميعًا يومَ اليمامة سنة (١٢هـ)، في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أسدُ الغابة (٥/ ٢٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٥) الأخبارَ الموفقيّات (ص٤٦٩).

* وزعمَ الزُّبيرُ بنُ بكار أنَّ لعويم قصيدةً في فضْلِ أبي بكر وقريش، ومنها يخاطبُ الأنصارَ، فيقولُ:

أنا صَاحبُ القولِ الذي تعرفَونَه ... أُقَطِّعُ أنفاسَ الرجالِ على مَهْل
أريدُ بذاكَ اللهَ لا شيءَ غيره ... وما عند ربِّ النَّاسِ من درجِ الفَضْل
وما ليَ رحمٌ في قريشٍ قريبةٌ ... ولا دراها داري ولا أصلُها أصلي
ولكنَّهم قومٌ علينا أئمةٌ ... أدينُ لهم ما أنفذَتْ قدمي نَعْلي
وكان أحقَّ النَّاس أنْ تقنعوا به ... ويحتملوا مَنْ جَاء في قولهِ مِثْلي[(١)]

تحتَ ظِلِّها:

* لبَّى عويمٌ نداءَ رَبِّه في أواخرِ الخلافةِ العمريةِ حوالي سنة (٢٣هـ)، وعمرُهُ قرابةَ (٦٥ عامًا)[(٢)]، ووقَفَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قبرِهِ، وجعلَ يذكرُ فضائِله، ويثني عليه، ويشهدُ له بالسَّبْق.

* وشهدَ شاهدٌ من أهلِ عويم بذلك؛ قالت عمرةُ بنتُ عويم بنِ ساعدة: قال عمرُ ابنُ الخطاب وهو واقفٌ على قبرِ عويمِ بنِ ساعدة: «لا يستطيعُ أحدٌ منْ أهلِ الأرض أنْ يقولَ إنَّه خيرٌ من صاحبِ هذا القبر، ما نصبَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رايةً إلا وعويمٌ تحت ظلّها»[(٣)].

* وتبرزُ روايةٌ أخرى تشهدُ لعويمٍ بالرفعة والصِّدق مع اللهِ ورسولِهِ، فتقولُ: «دُعيَ عمرُ إلى جنازةِ عويم، وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخى بينهما، فقال عمرُ: ما نُصِبَتْ رايةٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وتحتَ ظلها عويم»[(٤)]، أَجَل:

---

(١) الأخبارُ الموفقيّات (ص٤٧٥)، قلتُ: «في النَّفس شيءٍ من هذه الأبيات».
(٢) الكاملُ في التّاريخ (٢/ ٤٦٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٠٤).
(٣) أسدُ الغابة (٤/ ٣٠٤)، وتاريخُ الإسلام للذّهبي، عهد الخلفاء الراشدين (ص٢٩٢)، وتهذيبُ الأسماءُ واللغات (٢/ ٤١)، والإصابةُ (٥/ ٤٥)، وغيرها.
(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم برقم (٥٣٢٠).

قومٌ محاسنُ جُودِهم مَبْثُوثةٌ   يَفْنَى الزَّمانُ وذكرُهَا يتجدَّدُ

* أَجَل، هذا سيّدنا عويمُ بنُ ساعدةَ الأنصاريُّ، الأبُ المربيّ الكريم، الذي قضَينا معه وقتًا نافعًا تحت ظلال سيرته النَّدية النافعة التي يقتدي بها الآباءُ والمربّون.

* رضيَ الله عن عويم وأبناءِ عويم، وجمعنا مَعهم في مقام أمين كريم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.





الباب الخامس

آباء من قبائلَ مختلفةٍ

وفيه:

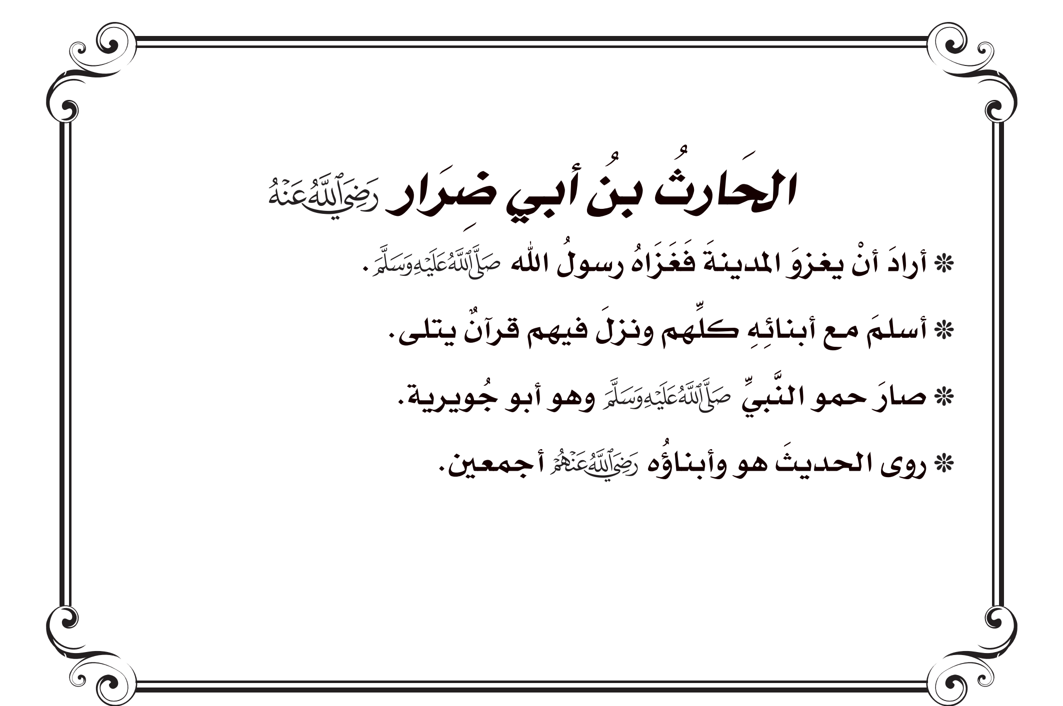
١- الحارثُ بنُ أبي ضِرار.

٢- زيدُ بنُ حارثةَ.

٣- سَمُرَةُ بنُ جنَادة.

٤- ياسرُ بنُ عامر.

٥- اليمانُ بنُ جابر.



الحَارِثُ بنُ أبي ضِرَار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* أرادَ أنْ يغزوَ المدينةَ فَغَزَاهُ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* أسلمَ مع أبنائِهِ كلِّهم ونزلَ فيهم قرآنٌ يتلى.

* صارَ حمو النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أبو جُويرية.

* روى الحديثَ هو وأبناؤُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

الحَارِثُ بنُ أَبي ضِرَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اللهُ يفعلُ ما يَشَاء:

* الحارثُ بنُ أبي ضرار بنِ الحارثِ الخزاعيُّ المصطلقيُّ، أبو جويرية زوج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

* وبنو المُصطلقِ من القبائلِ التي عَادتِ الإسلامَ وعاندتْهُ، وهامَتْ في كلِّ وادٍ فيه رواسبُ الجاهلية، بزعامةِ رئيسها الحارثِ بنِ أبي ضرار؛ الذي لَعِبَ به الغرورُ يمينَ يسارَ، وسولتْ له نفسُهُ أنْ ينقضَّ على المدينة.

* صكَّتِ الانتصاراتُ النَّبويةُ آذانَ الحارثِ وقومِه، وأقضَّتْ مضاجعَهم، واخلولقت تثيرُ في أنفسهم الهجومَ على المسلمين، وكانت هذه الهواجسُ سببًا في خلاصِ هذه القبيلةِ من الكُفْر، واستيقاظها من رقدة العَدم، وصار الحارثُ المصطلقيُّ من أحماءِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحظيَ بسعادة الدَّارَيْن بإذن الله، وهذا من نِعم الله ولطفهِ وتدبيرِه، فهو يفعلُ ما يشاء.

حِلْفُ الحارثِ:

* تخلَّفَ الحارثُ بنُ أبي ضرار وقبيلتُه[2] عن ركبِ المسلمين، ولم يستجيبوا لنداءِ الحقِّ، وخافوا على أنفسِهم من هذه العُزْلةِ، وراودتهم فكرةُ مهاجمةِ المدينةِ، فجعلوا

---

(١) أسدُ الغابة (١/ ٦١٧)، والإصابةُ (١/ ٢٩٤)، وإمتاعُ الأسماع (٨/ ٣٧٠)، ومشارع الأشواق (ص٨٨٥)، وغيرها كثير.

(٢) منَ الجديرِ بالذكر أنَّ ناسًا من قبيلةِ خزاعة كانوا مخلصين لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان منهم جماعة أسلموا مع السَّابقين، ومنهم:

* معتبُ بنُ عوف بن عامر الخزاعيُّ المعروف بابن الحمراء، كان من المهاجرين إلى الحبشةِ، وشهد بدرًا وما بعدها. =

يعدِّون العَدّة، ويجمعون الرِّجال والسِّلاح، ومشى الحارثُ[١] يلفُّه الغرور، وجعل يُغري القبائلَ من حولهِ كيما يسيرَ بهم إلى المدينةِ التي اكتسحتْ جيوشُها الوثنيةَ الجاهليةَ. وقد ذكر حسَّانُ بنُ ثابت الحارثَ وحلْفَه في قصيدةٍ مشهورةٍ طويلةٍ قال فيها:

وحِلْفُ الحارثِ بنِ أبي ضرارٍ وحلْفُ قُريظة منَّا براءُ

* بلغت أنباءُ بني المصطلق المدينةَ، فأرادَ رسول الله ﷺ أنْ يتعرَّفَ حالَهم وأخبارَهم، فبعثَ بُريدةَ بنَ الحُصيب الأسلميُّ[٢] لِيَعْلَمَ ما أجمعَ عليه القوم... فأتاهم بريدةُ، ودخلَ في صفوفهم، ثمَّ اجتمعَ برأسهم ورئيسهم الحارثِ بنِ أبي ضرار، فكلَّمه واختبرَ أمره، وسِرَّهُ وجَهْرهُ، فوجدَهُ وقومَهُ على عزيمةِ مهاجمةِ النَّبي ﷺ والمدينة.

* استطاعَ بريدةُ أنْ يراوغَ المُصطلقيين، وأنْ يلقيَ في روعهم أنَّه سيسيرُ في قومهِ وجماعتِهِ، ويكونون يدًا واحدةً لمحاربةِ المسلمين، فطمعَ الحارثُ وقومُهُ، وقال له: «نحنُ على ذلك الأمرِ، فعجِّلْ علينا»، فقال بريدةُ: «أركب الآن فآتيكم بجمعٍ كثيفٍ من قومي ومَنْ أطاعني» فَسُرُّوا بذلك منه.

* علمَ بريدةُ ما هم عازمون عليه، فمضى إلى المدينةِ، وأخبر النَّبيَّ ﷺ خَبَرَهم، وألقى بين يديه سِرَّهُم وجَهْرَهُم.

= * نافعُ بنُ بديل بنِ ورقاء الخزاعيُّ، استُشهد في بئرِ معونة.
* أمينةُ بنتُ خلف بنِ أسعد الخزاعيَّةُ، هاجرتْ إلى الحبشةِ مع زوجها: خالد بنِ سعيد بنِ العاص، وولدتْ له بأرض الحبشة سعيدَ بن خالدَ، وأمَةَ بنت خالد.
* أمُّ معبد الخُزاعيَّةُ، واسمها: عاتكةُ بنتُ خالد، أسلمتْ حينما مرَّ بها النبي ﷺ أثناء الهجرة، ونزلَ عندها وهي التي وصفتِ النَّبي ﷺ من عندها.

(١) ما كان الحارثُ بنُ أبي ضرار من المشاهير إلا في حدودِ قبيلته، ولما فتح اللهُ عليه بالإسلام أصبح من الصحابة، ومن رجالاتهم المشاهير.

(٢) اقرأ سيرةَ سيدنا بريدة في الباب الثَّالث من كتابنا: فرسان من عصر النّبوة (ص٧٠٥-٧٠٥)، ففي سيرته مواقف تربوية نافعة.

زَلْزلةُ الحَارث:

* أمرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابَهُ بالمسيرِ إلى بني المصطلق؛ فخرجُوا وكانوا سبعمئة مقاتل، وبلغَ الحارثُ مسيرهم، فتملَّكَهُ الخوفُ، وقذفَ اللهُ في قلبِهِ الرُّعْبَ، وزُلزلَ زلزالًا شديدًا، واستولى عليه الهلع والذُّعر، واستحوذَ الفزعُ على جموعِهِ، فتفرقُوا عنه، وتركوهُ مع قومه.

* وصلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المُريسيع[1]، وتهيَّأَ الجمعان للقتال، وأمرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ ينادي بني المُصطلق[2] أن يقولوا: لا إله إلا الله، لِيمنعُوا بها أنفسَهم وأموالَهم، فأَبَوا أنْ يستجيبوا، وشرعوا في إشعالِ فتيلِ المعركة، فرمى رجلٌ منهم المسلمين بنَبْلِهِ وسهامه، وإذ ذاك صدرَ الأمرُ النَّبويُّ لأصحابه أنْ يحملُوا على بني المصطلق حملةَ رجلٍ واحدٍ، فسارعوا صادقين في حملتهم حتَّى أخذوهم ولم يفلتْ منهم أحدٌ، وقتلوا منهم عشرة، وأسروا سائرهم، وكانوا سبعمئة رجلٌ، وغنموا أموالَهم، وسَبَوا نساءَهم وذراريهم، وكان من السَّبايا جُويريةُ بنتُ الحارث[3]... وقد رسمَ أحمد محرم هذه الغزوة بكلماتِهِ فقال:

نَهَضَتْ مِنْ كلِّ أَوْبٍ تلتقي   فاحذروها يا بني المُصْطلقِ

---

(١) «المُريسيع»: تصغيرُ المرسوع: وهو الذي انسَلَقَتْ عينه من السَّهر، وهو اسمُ ماءٍ في ناحية قديد إلى السَّاحل، سار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنة خمس من الهجرة إلى بني المُصطلق لما بلغه أنَّ الحارثَ بنَ أبي ضرار قد جمعَ له جمعًا، فوجدهم على ماءٍ يُقال له: المريسيع، فقاتلَهم وسبَاهم، وفي السَّبي جويريةُ بنتُ الحارث الخزاعيةُ زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. معجم البلدان (٥/ ١١٨).

(٢) هذه الغزوة تُسمى: غزوة المريسيع، أو: المصطلق، قال النَّاظم:

ثمَّ المريسيعُ أو المصطلقُ   كِلاهُما على الغَزَاةِ يُطلَقُ

(٣) تفسيرُ الطبري (٢٢/ ٦٦٧)، والمفصَّلُ في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٢٦٦). من المعلوم أنَّ العدوَّ إذا بُوغتَ في عقرِ داره على حين غفلة، فإنَّه تتحطمُ معنوياته وتنهارُ قواه، ويسهلُ القضاء عليه، ويُصابُ بالذعر، ولما كان المسلمون هم المهاجمون في هذه الغزوة، فإنَّهم لقنوا أعداءهم درسًا عظيمًا، لا نزالُ نجني فوائده إلى الآن.

لا تـظـنُّـوا جمعَـكـم كـفـؤًا لها ... حـين تمضـي في الـعَـجـاجِ المطبقِ
يـا رسـولَ الـصِّـدق مـاذا جمعوا ... لـذوي الـبـأسِ وأهـلِ المـصْـدَقِ
نـهـضَ الـفـاروقُ يـدعـوهـم إلى ... مِـلَّـةِ الخـيـر دعـاءَ المُـشـفـقِ
فـأبـى الـقـومُ وقـالـوا ديـنـنـا ... إنْ نـدعْـهُ لِـسِـواه نـفـسـقِ(١)

ابنةُ سيِّدِ قومِه:

* تبوَّأَتْ جويريةُ منزلةً سامقةً في قومها، وكانت ذاتَ سيادةٍ وريادةٍ، وقد زيَّنَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ بخصائلَ جميلةٍ، ومنها: الاتِّزانُ، الهدوءُ، العقلُ، الفصاحةُ، والملاحةُ، وكانت طموحةً إلى معالي الأمور، فوقعتْ في سَهْم ثابتِ بنِ قيس الأنصاريّ، فكاتبها على تسعِ أَوَاقٍ من الذَّهب، فجاءتْ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبرتْهُ خبرَها، ثم قالتْ: «يا رسولَ الله؛ إنِّي امرأةٌ مسلمةٌ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّكَ رسولُ الله، أنا جُويرية بنتُ الحارثِ سيِّد قومِهِ، وكان مِنْ أمري ما لا يخفى عليك، ووقعتُ في سَهْم ثابت بن قيس، فكاتَبني على ما لا طاقةَ لي به... وما أكرهني على ذلك إلا أنِّي رجوتُك صلى الله عليك، وجئتُك أسأُلك في كتابتي»، فقال لها النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هلْ لكِ في خيرٍ من ذلك؟**»، قالت: «وما هو يا رسولَ الله؟» قال: «**أؤدي عنك كتابتَكِ وأتزوَّجك**»، فأجابتْ: «نعم، يا رسول اللهِ، قد فعلتُ»(٢).

* كانت كلماتُ جُويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بركةً عظيمةً على قومها، فقد دخلتْ إلى خدرها أمًّا للمؤمنين وزوجًا لخاتمِ الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) ديوان مجد الإسلام (ص١٢٧-١٢٩) بانتقاء.

(٢) انظر: إمتاع الأسماع (١٣/ ٣١٤) بتصرف يسير، وانظر: السِّيرة النبوية (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥)، قال أبو داود عن هذا الحديث: «وهذا حجةٌ في أنَّ الولي هو يزوِّج نفسه». سنن أبي داود (٢/ ٣٤٧)... واقرأ ما خطتْه ريشة أحمد محرم الأدبية:

يـا ابـنـةَ الحـارثِ طِـيـبي وانـعـمـي ... أيُّ رزقٍ صـالحٍ لمْ تُـرزَقـي
اصـطـفـاكِ الله فـيـمـن يصطفي ... وانـتـقـى بـيـتَـكِ فـيـمـا ينـتـقي

* عَلِمَ الصَّحابةُ بهذا النَّبأ الكريمِ، وقالوا في صدقٍ وتكريم: «إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوَّجَ جويريةَ بنتَ الحارث المصطلقية»[١]، ثمَّ تركوا ما في أيديهم من الأموالِ والسَّبي إكرامًا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلالًا له، وقالوا: «هم أصهارُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

* كانت جويريةُ امرأةً عظيمةَ البركةِ على قومها، فقد أعتق اللهُ بها مئة أهلِ بيتٍ من بني المُصطلق[٢]، وصاروا أحرارًا وأصهارَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابهِ... وما أجمل أنْ نستجمَّ مع هذه التَّغريدة اللطيفةِ التي ترسمُ حالَ جُويريةَ مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

سمعَ الرَّسولُ حديثَ بنتِ الحرثِ جاءتْ تَسْتَعين
فأجابَها أقضي لِدَينكِ ثمَّ بي تتزوَّجين
قالت رضيتُ بما تقولُ أيا رسولَ العَالمين
المسلمون جميعُهم صاروا بهذا عَارِفين
فزواجُها خيرٌ على أقوامِها المتشرِّدين[٣]

أصبْتُم ابنَتي

* دوَّنَتْ بعضُ الرِّوايات خبرًا مفادُه؛ أنَّ الحارثَ بنَ أبي ضرار قدمَ المدينةَ من أجلِ ابنتهِ جويريةَ، ولم يكن يعلمُ أنَّها أسلمتْ، وغدتْ أمًّا للمؤمنين.

---

(١) أنشد أحمد محرم في هذا المجال:

جويريةُ احمدي عقبى البناء ... بنى بك خيرُ مَنْ تحت السَّماء
وكنتِ لقومكِ الأدنين يُمنًا ... يريهم يُمْنَ خيرِ الأنبياء
فكم أسرى فككتِ وكم سبايا ... رددتِ إلى الخدور بلا فداء
محررة الرقاب كفاكِ فضلا ... صنيعك بالرجال وبالنساء

(٢) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ١١٣) بتصرف.

(٣) تغريدةُ السِّيرة النبوية (٣/ ٢٤٦) بانتقاء.

* روى ابنُ سعدٍ عن أبي قلابة: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبى جويريةَ بنتَ الحارث، فجاء أبوها إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إنَّ ابنتي لا يُسبى مثلها؛ فأنا أكرمُ من ذاك، فَخَلِّ سبيلَها. قال: «**أرأيتَ إنْ خيَّرناها أليس قد أَحْسَنَّا؟**» قال: بلى؛ وأدَّيتَ ما عليك، قال: فأتاها أبوها فقال: إنَّ هذا الرجلَ قد خيَّرك فلا تفضحينا، فقالت: فإنِّي قد اخترتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: قد واللهِ فَضَحْتِنا»(١).

* وفي روايةٍ أخرى: «أنَّ الحارثَ أقبلَ بفداءِ ابنته، فلمَّا كان بالعقيق، غَيَّبَ بعيرين في شِعْبٍ، ثمَّ أتى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا محمدُ؛ أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأينَ البعيران اللذان غيَّبتَ بالعقيق في شعْبِ كذا وكذا؟**» فقال الحارثُ: «أشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّك رسولُ الله، فوالله ما اطَّلعَ على ذلك إلا الله. وأسلمَ الحارثُ، وأسلم معه ابنان(٢)، وناسٌ من قومه»(٣).

* ولْنرِّوحِ القلوبَ سُويعةً في واحةِ الأدب، ونقرأْ هذه الهمساتِ المورقةَ التي تحكي إسلام الحارثْ:

أقبـلَ الحـارثُ يحـدو إبلـه　　　وبـهِ مـنْ طُـولِ هَـمٍّ مـا به

(١) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ١١٤).

(٢) أسلمَ ابنُ الحارث واسمه: عمرو بنُ الحارث بنِ أبي ضرار، وهو أخو جويريةَ أمِّ المؤمنين، لهُ ولأبيه صحبةٌ، عدادهُ في أهلِ الكوفة، روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن أبيه، وعن ابنِ مسعود، وغيرهم. التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص١٢٥٩). وقال في التَّقريب: «صحابي قليلُ الحديث بقيَ إلى بعد الخمسين» وقال المِزِّيُّ: «عمرو بنُ الحارث، له ولأبيه صحبة، وكان أَبوهُ صِهْرَ عبدِ الله بن مسعود، روى له الجماعة». تهذيب الكمال (٢١/ ٥٦٩، ٥٧٠) باختصار.

وقال ابنُ قانع: «عمرو بنُ الحارث بن أبي ضرار، أخو جويرية بنتِ الحارث، له روايةٌ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: «**مَنْ سرَّه أنْ يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأهُ على قراءةِ ابنِ أمِّ عبد**». وأخرج ابن قانعُ بسنده عن عمرو بنِ الحارث أخي جُويرية قال: «واللهِ ما تركَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينارًا ولا درهمًا ولا أَمَةً ولا شيئًا، إلا بغلتَه وسلاحَه وأرضًا جعلها صدقة». معجم الصحابة لابن قانع (٢/ ٢٠٧) برقم (٧٠٨).

(٣) الوافي بالوفيات (١١/ ١٩٤، ١٩٥)، وإمتاع الأسماع (١٣/ ٣١٥)، وانظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٥، ٢٩٦).

سـاقَـهـا إلا بـعـيرين هـمـا ... مـن صَـفَـايا المـالِ أو صُبَّـابـه

قـال دَعْـهـا يـا رعـاكَ اللهُ لي ... واشْـف هـذا الـقـلـبَ مـن أوصابـه

إنـهَّـا بـنـتي الـتي ربـيـتُـهـا ... في حمـى الـعـزِّ وفي محـرابـه

أعـطِـنـيـهـا وتـقـبَّـلْ مـا معي ... مـن فـداءٍ جـلَّ عـن أضـرابـه

قـال بـلْ أحـدثْـتَ أمـرًا لم تخفْ ... سُـوءَ مـا يغشي الـفتى مِـنْ عابه

قـال أسـلـمـتُ ومـا أدنـى الهُـدى ... يـا رسـولَ اللهِ مـنْ طُـلّابـه

يـا رسـولَ اللهِ لا كـان امـرؤٌ ... لم يـكـنْ ديـنُـكَ مـن آرابـه

أنـتَ نِـعْـمَ الـصِّـهـرُ مجـدًا وسَـنًا ... إنْ طَـلَـبْـنَـا المجـد في أقـطـابـه(١)

حكمةٌ بالغةٌ:

* أسلمَ الحارثُ بنُ أبي ضرار إسلامَ الموقنين الصَّادقين، وصارَ من الصَّحب الكرام الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، وفي إسلامه حكمةٌ بالغةٌ، إذ لطفَتْ به العنايةُ الإلهيةُ، ليؤمنَ بوحدانيةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وانتشلتْه من براثنِ الشَّرك والوثنية.

* ومن الألطافِ الإلهيَّةِ، والحِكم الرَّبانية أنَّ غزوةَ بني المصطلق بدأتْ بِفِتَنٍ عظام، ثم خُتمتْ بزواجِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجويريةَ بنتِ الحارث سيِّد بني المُصطلق، وأسلمَ الحارثُ وأبناؤه، وصارت جويريةُ أمًّا للمؤمنين، ولمن أسلمَ من قومها وغيرهم(٢):

واصـطـفـى بـنْـتَـه الـنَّـبيُّ عـروسًـا ... هُـم جميـعًـا لأجـلـهـا عُـتَـقَـاءُ(٣)

* وأشار صاحبُ (نَظْم الأُمَّهَات) إلى قصَّةِ جُويرية، وإلى اجتماعِها في النَّسب مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى صحبةِ أبيها الحارثِ، فقال:

ومـنْ بـني مُـصـطـلَـقٍ جُـويـريـه ... أَبْـرُكُ عـرسِ أُمِّـنـا الخُـزَاعِـيَـه

---

(١) ديونُ مجد الإسلام (ص١٣٠، ١٣١) بانتقاء، والقصيدة مؤلفة من (٢٣) بيتًا.

(٢) إمتاع الأسماع (٨/ ٣٧٠، ٣٧١) بتصرف.

(٣) المجموعةُ النَّبهانية (١/ ٢٥٠).

نــالَ بـهـا عـشـيرُهَـا إذ أُسِـــروا ... مـا لمْ يـنـلْـهُ بـالـنِّـسـاءِ مَـعْـشَـرُ

وهــي بـنــتُ حـــارثٍ نجــلُ أبــي ... ضِــرارٍ الـقـائـدِ صـاحـبِ الـنَّـبي

يجـمـعُـهـا مــع الــنَّـبي الهــادي ... جـدّهـمـا إلـيـاس ذو الأَيــادي(١)

إيضاحُ الإشكالِ:

* ظلَّ الحارثُ بنُ أبي ضرار وقومُه أوفياءَ للإسلام، وصاروا يقيمون الصَّلاة، ويُؤْتُون الزَّكاة، ويحافظون على حدودِ الدِّين القيِّم، غير أنَّ إشكالًا عكَّر الأجواء، وظنَّ بعضُ المسلمين أنَّ المصطلقيين قد بدا لهم أمرٌ ما، ترى؛ ما هذا الأمرُ المُشْكِلُ؟

* أهلُ التَّفسير، وجهابذةُ السِّيرة، عندهم إيضاحُ الإشكالِ؛ وذكروا في بيانِ وتبيينِ ذلك فقالوا: «بعثَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوليدَ بنَ عقبة إلى بني المُصطلق ليأخذَ منهم الصَّدقَات -وكانوا أسلمُوا وبنوا المساجدَ- فلمَّا أبصروهُ أقبلوا نحوه فرحًا به، وتعظيمًا للهِ ولرسوله، ومعهم زكاتُهم، فهابهَم، ورجعَ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرهُ أنَّهم ارتدُّوا عن الإسلام، فبعثَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالدَ بنَ الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأمره أنْ يتثبَّتَ ولا يعجلَ، فانطلقَ حتى أتاهم ليلًا، فبعثَ عيونَه، فلما جاءهم أخبروهُ أنَّهم متمسّكون بالإسلام، وسمعوا أذانَهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالدٌ فرأى ما يعجبُهُ، ثمَّ لقيَ الحارثَ بنَ أبي ضرار الخزاعيَّ رئيسَهم، فقال: إلى أين؟ قال خالدٌ: إليكم، قال: ولِمَ؟ فأخبرهُ خالدٌ سببَ منعهم للزّكاة، فقال الحارثُ: لا والذي بَعَثَ محمدًا بالحقِّ... فرجعَ خالدٌ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبَرهُ الخبرَ، فأنزل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلك القرآن، وكان نبيُّ الله يقول: «**التَّبيينُ منَ الله، والعجلةُ من الشَّيطان**»(٢).

---

(١) إنارةُ الدجى (ص٤٥٢).

(٢) تفسيرُ الطبري (٢١/ ٣٥١، ٣٥٢)، والدرُّ المنثور (١٣/ ٥٥١، ٥٥٢)، مع الجمع والتصرف، وانظر: نهاية الأرب (١٧/ ٢٤٧)، والرسالة المحمدية (ص٥٣٥، ٥٣٦)، وغيرها.

* ولْننعُمْ مع هذه الهمسةِ العذبةِ التي تفترُّ عن مَبْسِم الحقِّ، وتتكلَّمْ عن أقصوصةِ بني المُصطلق:

قد صارَ قومُ بَنيَّ مُصطلق جميعًا مسلمين
من بعدِ ذلك أرسلَ الهادي إليهم مرسلين
ورسوله كان الوليدُ ليجمعَ المتصدقين
لما أتاهم من بعيدٍ قابلوه مرحِّبين
لكنَّه قد ظنَّ سوءًا إذ رآهم مُقبلين
منْ ثَمَّ ولَى راجعًا فَورًا إلى الهادي الأمين
قد قالَ للهادي بأنَّ القومَ صاروا كافرين
لكنَّهم لمْ يلبثُوا جاؤوا المدينةَ مُسرعين
قد قدَّمُوا صدقاتِهم للمصطفى مُستسلمين
في شأنهم قولٌ تنزَّلَ منْ إلهِ العالمين(١)

الحارثُ وروايةُ الحديث:

* يعدُّ الحارثُ من آباءِ الصَّحابة الذين لهم روايةٌ للحديثِ النَّبوي(٢)، وكذلك أبناؤه: أمنا جويرية، وابنه عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* ومن مرويّات الحارثِ المهمّة في مضمار السِّيرة النَّبوية، ما أخرجه الإمامُ أحمدُ بسنده عن عيسى بنِ دينار، عن أبيه، أنَّه سمعَ الحارثَ بنَ ضرار الخزاعيَّ قال: «قدمتُ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاني إلى الإسلام، فدخلتُ فيه، وأقررتُ به، فدعاني إلى الزَّكاةِ فأقررتُ بها، وقلتُ: يا رسول الله، أرجعُ إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداءِ

(١) تغريدةُ السّيرة النبوية (٣/ ٢٤٦)، بانتقاء.
(٢) الحارثُ بنُ ضرار، ويُقال: ابن أبي ضرار الخزاعيّ المصطلقي، أبو مالك الحجازي له صحبةٌ ورواية عنه، وعنه دينار الخزاعي. التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص٢٦٦).

الزّكاة، فَمَنِ استجابَ لي جمعتُ زكاته، فيرسل إلى رسولِ اللهِ ﷺ رسولًا بأنَّ كذا وكذا ليأتيكَ ما جمعتُ من الزّكاة، فلما جمعَ الحارثُ الزكاةَ ممن استجابَ له، وبلغَ الأبَّان الذي أرادَ رسولُ الله ﷺ أنْ يبعثَ إليه، احتبسَ عليه الرسولُ، فلم يأتِهِ، فظنَّ الحارثُ أنَّه قد حَدَثَ فيه سخطة من اللهِ عَزَّوَجَلَّ ورسولِهِ، فدعا بِسَرواتِ قومه، فقال لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان وقَّتَ لي وقتًا يرسلُ إليَّ رسوله ليقبضَ ما كان عندي من الزَّكاة، وليسَ من رسول الله ﷺ الخُلْفُ، ولا أرى حبسَ رسولِهِ إلا من سخطةٍ كانت، فانطلقوا فنأتيَ رسولَ الله ﷺ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عقبة إلى الحارثِ ليقبضَ ما كان عنده ممَّا جمعَ منَ الزكاة، فلما أنْ سارَ الوليدُ حتى بلغَ بعضَ الطَّريق، فَرَقَ، فَرَجَعَ، فأتى رسولَ الله ﷺ، وقال: يا رسولَ الله، إنَّ الحارثَ منعني الزَّكاة، وأرادَ قتلي، فضربَ رسولُ الله ﷺ البعثَ إلى الحارثِ، فأقبلَ الحارثُ بأصحابه، إذ استقبل البعثَ وفَصَلَ من المدينةِ، لقيهم الحارثُ، فقالوا: هذا الحارثُ، فلما غشيهم قالَ لهم: إلى مَنْ بَعِثْتُم؟ قالوا: إليكَ، قال: ولِمَ؟! قالوا: إنْ رسولَ الله ﷺ كان بَعَثَ إليك الوليدَ بنَ عقبة، فزعمَ أنَّك منعْتَه الزكاة، وأردتَ قَتْلَهَ، قال: والذي بعثَ محمدًا بالحقِّ ما رأيتُه بتَّةً، ولا أتاني، فلمَّا دخلَ الحارثُ على رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**منعتَ الزكاة سخطةً من اللهِ عَزَّوَجَلَّ ورسولِهِ**»، قال: فنزلتِ الحُجرات: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ** ﴾، إلى هذا المكان: ﴿ **فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ** ﴾ [الحجرات:٦-٨]»[(١)].

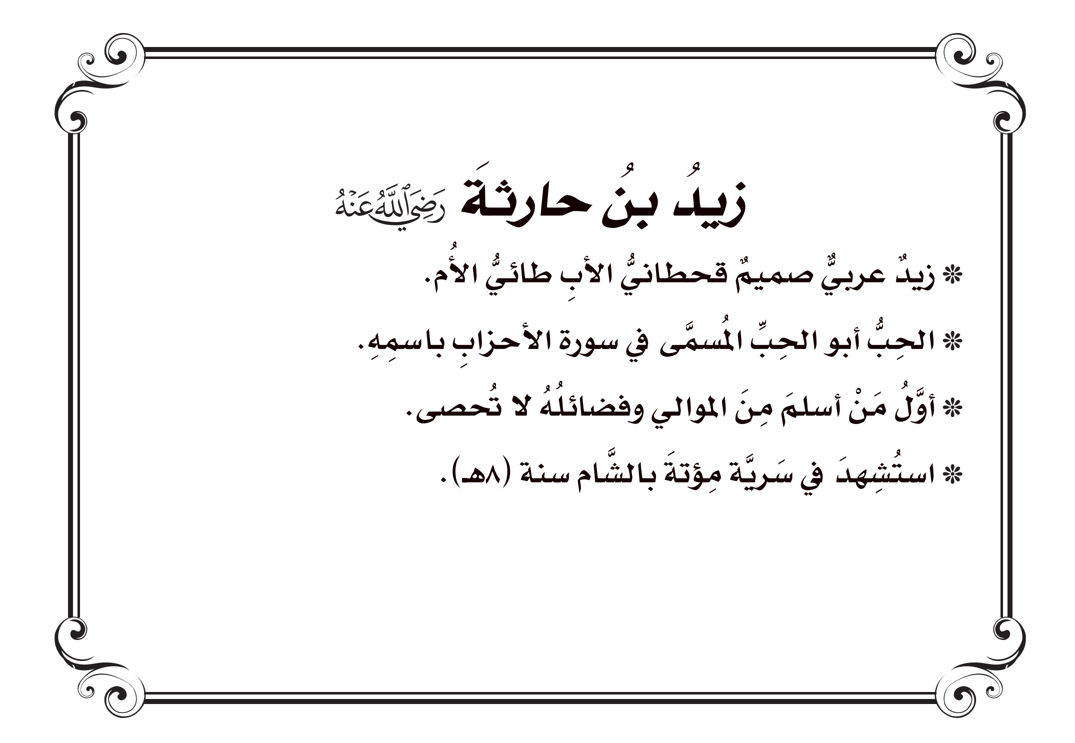
---

(١) المسندُ (١٤/ ١٧٩، ١٨٠) برقم (١٨٣٧١)، وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح، رجالهُ ثقات». وقال الهيثميُّ: «رجالُ أحمد ثقات». مجمع الزوائد (٧/ ١٠٨، ١٠٩). وقولُه: «أبّان»: أي وقتَ كذا، والمرادُ وقت حصول التّمر. و«سخطة»: أي عدم الرضا علينا. و«سَروات قومه»: أشرافهم. و«الفرق»: الخوف والفزع. و«غشيهم»: اختلط بهم. و«ما رأيته بتة»: ما رأيته أصلًا.

* وقُبيل الختام، فهذه شذراتٌ من سيرةِ أبٍ من آباء الصَّحابة الذين لم تُكشَفِ الأستارُ عن سيرتهم، مع العِلْم أنَّهُ أبٌ لواحدةٍ من أُمَّهَات المؤمنين، وأبٌ لاثنين من الصَّحابة، أحدهُم له روايةٌ في البُخاري؛ وكتبُ الحديث...

* لا ندري متى كانت وفاةُ الحارثِ المصطلقيّ، فرضي الله عن الأُسرة الحارثيةِ المصطلقية، ونفعنا بسيرِ آباء الصَّحابة وأبنائهم أجمعين.





زيدُ بنُ حارثةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* زيدٌ عربيٌّ صميمٌ قحطانيُّ الأبِ طائيُّ الأُم.

* الحِبُّ أبو الحِبِّ المُسمَّى في سورة الأحزابِ باسمِهِ.

* أوَّلُ مَنْ أسلمَ مِنَ الموالي وفضائلُهُ لا تُحصى.

* استُشهِدَ في سَريَّة مِؤتةَ بالشَّام سنة (٨هـ).

زَيدُ بْنُ حارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

حِبُّ سَيِّد النَّاس:

* تهبُّ من سيرةِ هذا الأبِ الابنِ أنداءٌ مزاجُها من صفاءِ التَّسنيم، إذ إنَّ له منقبةً مختومةً بالمسكِ من العزيزِ الرحيمِ، فمكانتُه أوضحُ من الجوزاء، ومناقبُه بِعَدَدِ أنجمِ السَّماء، وتقصرُ عن استيفاءِ فضائله الأقلام، وتعجزُ عن حَصْرِها الأرقام، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ محظوظًا، وبعين المحبَّةِ النَّبوية ملحوظًا...

* ذاكم هو الأميرُ الشهيدُ النَّبويُّ المحمَّديُّ، سيِّدُ الموالي، وأسبقُهم إلى الإسلام، حِبُّ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو حِبِّه، ومَا أحبَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا طيِّبًا، المُسمَّى في سورةِ الأحزاب؛ ولم يُسَمِّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في كتابه صحابيًّا باسمِهِ إلَّا زيدَ بنَ حارثةَ بنِ شراحيل، أبو أسامة الكلبيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه[١].

* كان زيدٌ حِبَّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوَّلَ مَنْ آمن به وصدَّقَه من الموالي، وهو من كبار السَّابقين الأوَّلين، ومنَ الرُّماة المذكورين، من الصَّحابة الميامين:

حِبُّ خَيرِ الأَنَامِ طرًّا جميعًا ... سيّدِ النَّاس حبُّه في الصُّدور

«أَنْتَ أخونَا...»:

* لزيدِ الحِبِّ سيرةٌ رائقةٌ ترتاحُ لسماعها الأرواحُ، وترتعُ النُّفوس منها في مراتعِ الارتياح، فهي تصوِّرُ كيفَ انتقلَ إلى بيتِ النُّبوَّة، فاستنار بمصابيحِ مشكاةِ الأُبوَّة والبُنوة،

(١) لا حصر للمصادر التي ترجمت لزيد، ومنها: صفةُ الصَّفوة (١/ ٣٧٨-٣٨٣)، وتهذيبُ الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢، ٢٠٣)، والمصنَّفُ لابن أبي شيبة (١٧/ ٢٣٢-٢٣٧)، وأسدُ الغابة (٢/ ٣٥٠-٣٥٣)، ودرُّ السَّحابة (ص٣٦٤)، وخزانةُ الأدب (٢/ ٣٠٦)، ومئات لا تحصر.

وصارَ من ذوي الشَّأْن والسَّناء، بين الصَّحابة الآباء والأبناء، وحمل لَقَبَ الحِبِّ النَّبويِّ، والأليفَ المصطفويّ:

بُـورِكْـتَ يـا زيـدَ بـن حـارثـةٍ فما لَـكَ في الموالـي الصَّالحين نظير[١]

* اختار زيدٌ أنْ يعيشَ مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُمِّ القُرى، وقرارةِ أهلِ الفَضْل والنُّهى، وموطنِ أهلِ العِلْم والتُّقى، على الحياةِ مع أبيهِ وعمِّهِ وإخوته وأهله أجمعين.

* إنَّ سيرةَ زيدٍ لَمباركةٌ كريمةٌ، فهو الذي نتعبَّدُ اللهَ بذكْرِ اسمهِ الذي وَرَدَ في القُرآن الكريم[٢]. وهو الذي كَتَبَ أجملَ خطوطِ الوفاء ومعانيه في حياةِ الصَّحابة، وارتسمتْ على مُحيَّاه مخايلُ النَّجابة، ولاحَتْ عليه دلائلُ الصِّدق والإنابة، لهذا دعاهُ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أنتَ أخونا ومولانا**».

* والمعنى؛ أنَّ زيدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخوهم بالإيمان، ومولاهم من جهةِ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعتقَه، ومولى القومِ منهم.

في خَيرِ أُسرةٍ:

* سيدنا زيدُ بنُ حارثة من صميمِ العَرب، وعُلْيا قبائِلهم، فهو قحطانيُّ الأبِ، طائيُّ الأُمِّ، وقد فصَّلَ الرواةُ نَسَبَهُ ونسبَ أُمِّهِ وذَويهِ، ونقلوا بعضَ المعلوماتِ المهمَّة، فذكروا أنَّ أمَّ زيد اسمُها: سعدى بنتُ ثعلبةَ الطَّائية.

---

(١) ديوان مجد الإسلام (ص٣٨٣).

(٢) قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لم يسمِّ اللهُ تعالى في كتابهِ صحابيًا باسمه إلا زيدَ بنَ حارثة، وعيسى ابنَ مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ينزلُ حكمًا مُقْسطًا، ويلتحقُ بهذه الأمَّةِ المرحومةِ في صلاته وصيامهِ وحجِّه ونكاحِهِ وأحكام الدِّين الحنيف جميعها، فكما أنَّ أبا القاسم سيّد الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضل هذه الأمّة مطلقًا، ويكون ختامهم، ولا يجيء بعده مَنْ فيه خير، بل تطلعُ الشَّمس من مغربها، ويأذنُ اللهُ بدنوّ السَّاعة». سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠).

* ونستطيعُ الآن أنْ نوجزَ سيرةَ زيدٍ ببضعةِ أسطرٍ، فهو مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحِبُّه، أَسَرَهُ بنو القَين، ثم اشترته خديجةُ بنتُ خُويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فوهبَتْهُ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحبَّهُ وتبنَّاه بمكَّةَ قبلَ المبعثِ، وكان يُدعى زيدَ بنَ محمد، حتَّى نزلَ القرآنُ الكريمُ وأَمَرَ بِتَركِ ذلك[1].

* أمَّا تفصيلُ ذلك فقد أدلى به المصنِّفُون في كتبِهم، ونحنُ واردو مناهلَهم كيما نرتويَ من معينِ السِّيرة الزَّيدية.

* خرجتْ سُعدى أُمُّ زيدٍ تزورُ قومَها، وزيدٌ معها، فأغارتْ خيلٌ لبني القَين بنِ جَسْر في الجاهليةِ على أبياتِ بني مَعْن -رهط أمّ زيد- فاحتملوا زيدًا وهو غلامٌ يَفَعَة[2] قد أوصفَ -أي: بلغَ حدِّ الخِدْمَة- فوافَوا به سوقَ عكاظ، وزيدٌ يومئذٍ ابنُ ثمانية أعوام، فعرضوهُ للبيع، فاشتراهُ منهم حكيمُ بنُ حزام بنِ خويلد لعمتِهِ خديجةَ بنتِ خويلد بأربعمئةِ درهم، فلمَّا تزوَّجَها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَبَتْهُ له، فقبضَه وتبنَّاهُ...

* وجعلَ حارثةُ لما فَقَد ابنَه زيدًا يبكيهِ، وينشدُ الشِّعر الذي يقطرُ لوعةً وحزنًا على غيبةِ زيدٍ المجهولةِ، فكان إذا قالَ لم يَدَعْ قولًا لقائلٍ في التَّفجُّع على ابنِهِ زيد، ومن ذلك قوله:

بكيتُ على زيدٍ ولمْ أَدْرِ ما فَعَل ... أحيٌّ فَيُرجى أمْ أتى دونَه الأَجَل

فياليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهْر رجعةً ... فحسبي منَ الدنيا رجوعُكَ لي بَجَل

* وحج أناسٌ من قبيلةِ كلْب، فرأَوا زيدًا فعرفَهم وعرفُوه، فأمرهمْ أن يبلغوا أهله قولَه:

---

(١) العقدُ الفريد (٤/ ٤٥٩)، والمصنفُ لابن أبي شيبة (٢٠/ ٢٦٤).

(٢) قال ابنُ الأثير: «أيفعَ الغلامُ فهو يافع، إذا شارفَ الاحتلام ولَمَّا يحتلمْ». النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٩٩)، مادة: يفع.

فـإنِّـي بحـمْـدِ اللهِ في خَـيرِ أسـرةٍ   كـرامِ مـعـدٍّ كـابـرًا بـعـدَ كابرِ

* انطلقَ الكلبيُّون وأعلموا أباه، فخرجَ حارثةُ وأخوهُ كعبٌ، وقدما مكَّةَ لفداءِ زيدٍ، ودخلا على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلَّماه في فداء زيدٍ، فقال لهما: «**ادعُوهُ فأخيّرهُ، فإن اختاركم، فهو لكم بغيرِ فداء، وإنِ اخْتَارني فواللهِ ما أنا بالذي أختارُ على مَنِ اختَارني أحدًا**» فَدَعَاهُ، فقال: «**هل تعرفُ هؤلاء؟**» قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمِّي، قال: «**فأنا مَنْ قد علمتَ، ورأيتَ صُحْبَتي لكَ، فاخْتَرني أو اخترهما**»، فآثر زيدٌ البقاءَ عند المحبوبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: ما أنا الذي أختارُ عليكَ أحدًا، أنتَ منّي بمكانِ الأبِ والعمِّ... فقالا: ويحكَ يا زيدُ، أتختارُ العبودية على الحريةِ، وعلى أبيكَ وعمِّكَ، وعلى أهْلِ بيتكَ؟! قال: نعم، فإنِّي قد رأيتُ من هذا الرجلِ شيئًا ما أنا بالذي أختارُ عليهِ أحدًا أبدًا. فلمَّا رأى الحبيبُ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلكَ الحُبَّ الزَّيديَّ الوفيَّ، أخرجَ زيدًا إلى الحِجْر، وقال: «**يا مَنْ حضَر، اشهدوا أنَّ زيدًا ابني يرثني وأرثُهُ**».

* ولَمَّا رأى أبوهُ وعمُّهُ هذا المشهدَ الآسرَ الكريمَ طابَتْ نفسَاهُما، ودُعي زيدَ بنَ محمَّد، حتَّى جاءُ اللهُ بالإسلام، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥]، فدعيَ يومئذٍ زيد بن حارثة(١)، ودُعِي الأدعياءُ إلى آبائهم(٢)...

---

(١) قال ابنُ الأثير: «قدمَ حارثةُ بنُ شراحيل أبو زيد بن حارثة على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالبًا لابنه زيد فأسلم... روى أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا أباه حارثة إلى الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله». أسد الغابة (١/ ٦٥٢).

علَّق ابنُ حجر على هذا الخبر بعد أنْ أوردهُ فقال: «المحفوظ أنَّ حارثةَ قدمَ مكَّةَ في طلبِ ولده زيد، فخيّره النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاختارَ صحبة النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ولم أرَ لحارثة ذكْرُ إسلامٍ إلا من هذا الوجه». الإصابةُ في تمييز الصَّحابة (١/ ٣١١، ٣١٢).

وأشارَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ إلى أنَّ حارثةَ أسلمَ حين جاء في طلبِ ابنه زيد، ثم ذهبَ إلى قومه مسلمًا. تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٣).

(٢) إمتاعُ الأسماع (٦/ ٣٠٢-٣٠٦) باختصار وتصرف. وانظر: الأخبار الموفقيات (ص٢٦٤-٢٦٨)، والمستدرك (٣/ ٢١٣، ٢١٤)، وتخريج الدلالات السمعية (ص٥١١-٥١٤)، وغيرها كثير جدًّا.

سَابقُ المَوالي:

* لا خلافَ بين أهلِ التَّحقيق والعِلْم أنَّ أَوَّلَ النَّاس إسلامًا أُمُّنا خديجةُ بنتُ خُويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها وحشَرنا في معيتها، وغَفَرَ لنا بمحبَّتِها ومَحَبَّةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* وفي مضمار أسبقيةِ زيدٍ قال أهلُ العِلْم: «أوَّلُ مَنْ أسلمَ مِنَ الموالي زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». وتعدَّدتِ الأقوالُ في هذا الموضوع، فانقدحَ في ذهنِ السُّيوطي أنْ يجمعَ بينَها في (نَظْم الدُّرر)، ويقربَّهَا إلى الأذهان، فقالَ وأجادَ:

واختلَفُوا أوّلَهم إسْلاما ... وقد رأَوا جَمْعَهُم انتظاما
أَوَّلُ مَنْ أسلمَ في الرجالِ ... صِدِّيقُهم وزيدُ في الموالي
وفي النِّسَا خديجة وذي الصِّغَر ... عليّ والرِّقِّ بلال استقرّ

* وأخرجَ الحاكمُ بسنده عن أسامةَ، عن زيدِ بنِ حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عن نبيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّه أتاهُ في أَوَّلِ ما أُوحي إليه، فأراهُ الوضوءَ والصلاةَ، وعلَّمَه الإسلام[1].

تشريفُ زيدٍ وإيناسُهُ:

* إشراقاتُ سيِّدنا زيدٍ ومكارمُه ظاهرةٌ للعيان، يجني المحبُّ من رياضها أزاهرَ المحاسنِ الحِسَان، ومن أعلاها وأكملها: أنَّهُ مذكورٌ في القرآن الكريم باسمِهِ العَلَمِ الصَّريح، وليس ذلك لغيره في مثل هذا التَّصريح.

* صَرَّحَ أهلُ العِلْم بأنَّه: «لما نزلتْ الآيةُ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب:١٥]. امتثَلها سيدنا زيدٌ، وقال: أنا ابنُ حارثة، فَجَبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وحشتَه، وشرَّفَه بأنْ سمَّاه باسمهِ في القُرآن[2] العظيم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ... ﴾ [الأحزاب:٣٧]. حتَّى

(١) المستدركُ (٣/ ٢١٧).
(٢) أوضحَ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ المعنى بذكر زيدٍ في القرآن فقال: «والمقصودُ أنَّ اللهَ تعالى لم يُسَمِّ أحدًا منَ الصَّحابة في القرآنِ غيره، وهداهُ إلى الإسلام وأعتقهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوَّجه مولاته أمّ أيمن، واسمُها بركة، =

صارَ وَحْيًا يُتْلى في المحاريب، فنوَّهَ بهِ غايةَ التَّنويه، فكان في هذا تأنيس ٌله، وعِوَضٌ من أبوَّةِ سيِّدنا وحبيبنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، ألا ترى قول أُبيِّ بنِ كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ أمرني أنْ اقرأَ عليكَ**: ﴿ **لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ** ... ﴾ [البينة:١]»، قال: وسمَّاني؟! قال: «**نعم**»، فبكى»[1]، وكان بكاؤه منَ الفرح حين أُخبرَ أنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَهُ، فكيفَ بمنْ صارَ اسمُه قُرآنًا يُتْلى مُخلَّدًا لا يبيدُ؛ يتلوهُ أهلُ الدُّنيا إذا قَرؤوا القرآنَ، وأهلُ الجنَّة كذلك في الجِنَان، ثم زادَهُ في الآيةِ غاية الإحسان؛ إذ قال: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ** ... ﴾ [الأحزاب:٣٧]. يعني: بالإيمانِ، فدلَّ على أنَّه عند اللهِ من أهلِ الجنانِ، وهذه فضيلةٌ أخرى هي غايةُ مُنتهى أمنيةِ الإحسان»[2].

أَبو الحِبِّ:

* كان زيدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أَحبِّ الأصحابِ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الملقَّب بالحِبِّ، أي: المحبوب. ولما بلغَ أشدَّه واستوى؛ تزوَّج بركةَ بنتَ ثعلبة بنِ حِصن أُمّ أيمن الحبشيَّة مولاة سيِّدنا وحبيبنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاضنته، وهي منَ المهاجراتِ الأُوَل، هاجرت الهجرتَيْن إلى الحبشة؛ وإلى المدينة[3]، وكانت تُلْطِفُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وتقومُ عليه، فقال: «**مَنْ سرَّه أنْ يتزوَّجَ امرأةً من أهلِ الجنَّة؛ فَلْيتزوَّجْ أمَّ أيمن**»، فتزوَّجها زيدٌ ليالِيَ بُعِثَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فولَدت له أسامة[4] بنَ زيد حِبَّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=فولدت له أسامةَ بنَ زيد، فكان يُقال له: الحِبُّ بنُ الحبِّ، ثم زوَّجه بابنة عمته زينبَ بنت جحش، وآخى بينَه وبينَ عمِّه حمزة بن عبد المطلب، وقدّمه في الإِمرة على ابن عمه جعفر ابن أبي طالب يوم مؤتة». البداية والنهاية (٦/ ٤٤٩).

(١) أخرجه البخاريُّ برقم (٣٨٠٩)، ومسلم برقم (٧٩٩)، والترمذي برقم (٣٧٩٥، ٣٨٩٤). واقرأ سيرة أُبيّ في موسوعتنا: علماء الصحابة (ص٥٥٣-٥٨٦)، فسيرته ممتعة نافعة.

(٢) إنارةُ الدجى (٥٧٢، ٥٧٣) بتصرف يسير.

(٣) الاستيعابُ (ص٨٧٦).

(٤) أفادَ ابنُ حجر وغيره: «أنَّ أمَّ أسامة هي أمُّ أيمن حاضنَةُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يقولُ عنها: «**هي أمّي بعد أمّي**». وأشار ابنُ حجر إلى أنَّ: «أيمنَ هو ابنُها، وأبوهُ هو عبيدُ بنُ عمرو بن هلال من بني هلال من =

* كان رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورُ أُمَّ أيمن، ثم أبو بكر، ثم عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. فَعَنْ أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو بكر لعمرَ: «انطلقْ بنا إلى أُمِّ أيمن نزورها كما كانَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورها»(١).

* نشأَ الحِبُّ بنُ الحِبِّ في رحابِ البيت النَّبويِّ المسعود، وحَلَّ منه المحلَّ المَوْدود، فكانَ أسامةُ حِبَّ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومولاه، وابنَ مولاه، وصحَّ أنَّ الحبيبَ المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأخذُ أسامةَ والحسنَ بنَ عليٍّ ويقولُ: «**اللهمَّ إنّي أحبُّهما فأَحِبَّهما**»(٢). وكان أسامةُ أكبرَ من الحسنِ بأزيدَ من عشْرِ سنين، وكان شديدَ السَّواد، خفيفَ الرُّوح، شاطرًا شجاعًا، ربَّاهُ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحبَّه كثيرًا.

* وُلِدَ الحِبُّ ابنُ الحبِّ في مكَّةَ بُعيدَ البعثةِ ببضعةِ أعوام، ولاحظَتْه العنايةُ الإلهيَّةُ، فلم يعرفْ إلا الإسلام بين أبوين كريمين مُسْلِمين، وهاجر مع الصَّادقِ المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينةِ المنورة، وكان عنده كبعضِ أهله، وافتخرَ أسامةُ بهذه المودَّة المحمديَّةِ فنقشَ على خاتمه: «حِبُّ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وهذا جعله أيضًا أحدَ مشاهيرِ العَالَمِ وسادتهم وقادتهم، حيثُ إنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيَّنه قائدًا على كبار الصَّحابة وأعيانهم(٣).

* انعقدتْ محبَّةُ الحبِّ وابنه بقلبِ حبيبنا رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن ابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لما استعملَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامةَ، طَعَنَ أناسٌ في إمارتِهِ، فجلسَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبرِ، وقال: «**بلغني أنَّ رجالًا يطعنونَ في إمارةِ أسامةَ، وقد**

=الخزرج... وتزوَّجَ أمَّ أيمنَ قبلَ زيدِ بنِ حارثة، فولَدَتْ له أيمن، واستُشْهد يوم حُنين مع النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونُسِبَ أيمنُ إلى أمّه لِشَرفها على أبيهِ، وشهرتها عند أهلِ البيتِ النَّبويِّ الطَّاهرِ، وتزوَّج زيدُ بنُ حارثة أمَّ أيمن فولدتْ له أسامة، وعاشَتْ أمُّ أيمن بعد النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قليلًا». فتحُ الباري (٧/ ٨٩)، وذخائر العقبى (ص٤٣٦)، مع الجمع بينهما، والتصرف اليسير.

(١) ذخائرُ العقبى (ص٣٣٤)، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاريُّ برقم (٣٧٤٧).

(٣) انظر: معرفة الصحابة برقم (٨٤).

كانوا يطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبله، وايمُ اللهِ إنَّه لخليقٌ بالإمارةِ، وإن كان أبوهُ لمن أحبِّ النَّاس إليَّ، وإنَّه لمن أحبِّ النَّاسِ إليَّ منْ بعدِهِ»[١].

* حقًّا، إنَّ أسامة فاضلٌ نَبيه، قامَ بالإمارة مقامَ أَبيه، وقد صاغ أحمد محرم هذا الموقفَ بكلماتٍ حافلةٍ بالإيحاء؛ فقال من قصيدة:

ولئنْ رمَوهُ بما يَسوءُ فقد رمَوا ... مِنْ قبلُ والده ولجَّ النَّاقمُ
نَقمُوا الإمارةَ فيهما وهُما لها ... أهلٌ فكلٌّ أحوذيٌّ حازمُ
الخيرُ فيه وفي أبيهِ فآمنوا ... يا قوم وانطلقُوا لما أنا عازمُ
حِبُّ الرَّسولِ لكَ البشارةُ إنَّه ... شرفٌ له فوق النُّجوم دعائمُ

زيدٌ منَ الأُمنَاء:

* تحفلُ سيرةُ زيدٍ وأخباره بفرائدِ الفوائدِ، والامتثالِ والمسارعةِ إلى مرضاةِ اللهِ ورسولهِ.

* ذكر ابنُ إسحاق: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قدمَ المدينةَ بعثَ زيدَ بنَ حارثةَ، فأحضرَ زوجتَه سودةَ بنتَ زمعةَ، وبنتَيه: فاطمةَ وأُمَّ كلثوم، وأمَّ أيمنَ زوج زيد بنِ حارثة، وابنها أسامة»[٢].

* وفي روايةٍ عن أُمِّنا عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وأرضاها قالت: «لما هاجرَ رسولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبو بكر خلَّفَنا بمكَّةَ، فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ بعثَ زيدَ بنَ حارثة وأبا رافع، وبعثَ أبو بكر عبدَ الله بنَ أُريقط، وكتبَ إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ أنْ يحملَ معه أُمَّ رومان، وأُمَّ أبي بكر، وأنا وأختي أسماءُ، فخرجَ بنا، وخرجَ زيدٌ وأبو رافع بفاطمةَ وأمّ كلثوم

(١) أخرجه البخاريُّ برقم (٣٧٣٠)، ومسلمٌ برقم (٢٤٢٦)، والترمذيُّ برقم (٣٨١٦)، وابنُ أبي شيبة في المصنف (١٧/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وغيرهم. وانظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٤٣).
(٢) فتحُ الباري (٧/ ٢٤٩).

وسودَة بنتِ زمعة، وأخذ زيدٌ امرأته أمَّ أيمن وولديها أيمن وأسامة، واصطحَبْنَا حتَّى قدمنا المدينة...»[١].

* وحينما أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَصرَهُ على المؤمنين في بدر: «بعثَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ زيدَ ابنَ حارثةَ بشيرًا إلى أهلِ السَّافلةِ بالمدينةِ يبشِّرُهُم بنصرِ اللهِ وفتحِهِ على نبيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فوافَقَ زيدٌ ابنَه أسامة حين سُوِّي التُّراب على رقيةَ بنتِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقيلَ له: ذاك أبوك حين قدم، فجاءَ أسامةُ وسمعَ أباه وهو واقفٌ للنَّاس يقولُ: قُتِلَ عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وأبو جهل ونبيهُ ومنبِّهُ وأميةُ بنُ خلف، فقال: يا أبتِ، أحقٌّ هذا؟ قال: نَعَم واللهِ يا بنيَّ»[٢].

«قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ»:

* حَمَلَتْ عوارفُ الألطافِ الخفية أبا الحِبِّ زيدًا، فكان يسارعُ إلى الأعمال التي تُقرِّبُهُ من مرضاةِ اللهِ ورسوله.

* أخرجَ الطَّبريُّ بسنده عن عمرو بنِ دينار قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢]. جاء زيدُ بنُ حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بفرس يُقال لها: سَبْلٌ إلى النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال: تصدَّقْ بهذه يا رسولَ الله، فأَعطَاها ابنَه أسامةَ بنَ زيدٍ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّما أردتُ أن أتصدَّقَ بهِ، فقال رسولُ الله : «**قد قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ**»[٣].

* وجاءت روايةٌ أخرى عن أيوبَ وغيرِه؛ أنَّها حينَ نزلت:﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢]. جاء زيدُ بنُ حارثة بفرسٍ كان له يحبُّها، فقال: يا رسولَ الله، هذه في سبيلِ اللهِ، فحملَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عليها أسامةَ بنَ زيد، فكأنَّ زيدًا وَجَدَ في نفسِهِ، فلمَّا رأى ذلك منه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**أَمَا إنَّ اللهَ قد قَبلَها**»[٤].

---

(١) المعجم الكبير (٢٣/ ٢٥) بتصرف يسير.
(٢) المستدركُ (٣/ ٢١٨) بتصرف يسير، والدرُ المنثور (٧/ ٢١٣)، وذخائر العقبى (ص٣١٢).
(٣) تفسيرُ الطبري (٥/ ٥٧٧) بتصرف. وانظر: الدر المنثور (٣/ ٦٦٢)، وتاريخ مدينة دمشق (١٩/ ٣٦٧).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٧).

«بعضُها منْ بعض»:

* لزيدِ الحِبِّ وابنِهِ أسامةَ مشاهدُ سارَّةٌ في حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد استنارَ وجهُهُ الشَّريفُ حينما قال مُجزِّزُ المُدلجيُّ عن زيدٍ وابنِهِ أسامةَ: «إنَّ هذه الأقدامَ بعضُها منْ بعضٍ»، وذلك أنَّ أسامةَ كان أسود اللون، وزيد أبيض، فطعَنَ بعضُهم في نسبِهِ، فلمَّا قضى مُجزِّزُ القائفُ بإلحاقِ نسبِ أسامةَ بزيدٍ أبيهِ مع اختلافِ اللون، فرحَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، لأنَّ أهلَ الجاهلية كانت تعتمدُ قولَ القائف، وعلْم القيافة(١).

* روتْ أمُّنا عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: «دخلَ عليَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ وهو مسرورٌ، فقال: **«يا عائشةُ! أَلَمْ تَرَي أنَّ مُجزِّزًا المُدلجيَّ دخلَ عليَّ، فرأى أسامةَ وزيدًا، وعليهما قطيفةٌ؛ قد غطَّيَا رؤوسَهما، وبدتْ أقدامها، فقال: إنَّ هذه الأقدامَ بعضُها مِنْ بعض»**(٢).

---

(١) «علمُ القيافة»: القيافةُ قسمان: قيافةُ الأثر؛ ويُقالُ لها: العيافة، وقيافةُ البشر؛ وهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشَّخصين على المشاركة والاتّحاد بينهما في النَّسبِ والولادةِ في سائرِ أحوالها وأخلاقهما.
قال أبو منصور الثَّعالبيُّ: «قيافةُ بني مدلج: القيافةُ عِلمٌ اختصَّت به العربُ من بينِ سائرِ الأمم، وهو إصابةُ الفراسة في معرفةِ الأشياء في الأولادِ والقَرابات، ومعرفة الآثار، وهي في كنانة أكثر منها في غيرها، وبنو مدلج القافة منهم، وما ظنُّكَ بقوم يلحقون الأسودَ بالأبيض، والأبيضَ بالأسود، والوضيءَ بالدَّميم، والدميمَ بالوضيء، والطَّويل بالقصير، والقصيرَ بالطَّويل، فمنهم: سُراقة بنُ مالك المدلجيُّ... ومنهم مُجزِّزُ المدلجيُّ، دخلَ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأى زيدَ بنَ حارثة وأسامةَ بنَ زيد قد ناما في قطيفةٍ، وغطَّيا رؤوسهما، وبدتْ أقدامُهما، فقال: إنَّ هذه أقدامٌ بعضُها منْ بعض، فَسُرَّ بذلك رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص١٢٠، ١٢١) بتصرف يسير.
قلتُ: «اشتُهرَ بالقيافةِ عددٌ غير يسير من مشاهير المسلمين ومنهم: أبو سفيان، ووحشيُّ بنُ حرب، ولهما في هذا المضمار أشياءُ عجيبة».

(٢) أخرجه البخاريُّ برقم (٦٧٧١)، ومسلم برقم (١٥٩)، وهو عند أصحاب السّنن وغيرهم، كما أنَّه حديثٌ مشهور في مصنَّفات السِّيرة، والتَّراجم والأدبِ. قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قال العُلماء: سببُ سُرورِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أسامةَ كان لونُه أسودَ، وكان طويلًا؛ خرجَ إلى أمّه، وكان أبو زيد قصيرًا أبيضَ، وقيلَ: بين البياض والسَّواد، وكان بعضُ المنافقين قَصَدَ المغايظةَ والإيذاء، فدفعَ اللهُ ذلك وله الحمد». تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١١٥).

أَخذَ الرايةَ زيدٌ:

* تابعَ هذا الأبُ الابنُ العطاءَ في مجالاتِ المكارمِ جميعها، ومنها روايةُ الحديث[١]، وأمَّا في ميدانِ الفُروسية، فبلغَ الذِّروة؛ وما ظَنُّكَ فيمن نشَأَ وتَربَّى في أكرمِ بيتٍ في الدُّنيا؟!

* شهدَ سيدنا زيدٌ بدرًا وأُحدًا والخندقَ والحُديبية وخيبرَ، واستخلفَهُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على المدينةِ حين خرجَ إلى غزوةِ المُريسيع، وخرجَ زيدٌ أميرًا في سَبْعِ سرايا، وتاريخُه في صحائفِ الجهاد تاريخ ناصعٌ ساطعٌ.

* وفي سَنَةِ ثمانٍ من الهجرة، بعثَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جيشًا إلى مؤتةَ بقيادةِ زيدِ، وقال: «**إنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على النَّاس، فإنْ أُصيبَ جعفرُ فعبد الله بن رواحة على النَّاس**»، وودَّعهم رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومضوا إلى غايتهم. ولنهصرِ الآنَ أفنانَ هذه التَّغريدة الهامسة التي تتكلَّمُ عن زيدٍ وصاحبَيْه جعفرَ وعبدِ الله:

قَدْ جهَّزَ الهَادي رجالًا لِلْقِتالِ مُدرَّبين

قد كانَ وجْهتهم لمؤتةَ حَسْبما أمرَ الأمين

جعلَ الرسولُ ثلاثةً لقيادةِ الجيشِ المتين

زيدَ بنَ حارثة وجعفرَ من خيارِ المؤمنين

والثالثَ ابنَ رواحةٍ هو شاعرٌ في المُرهفين

خرجَ الرسولُ مع الجميعِ مُودِّعًا للذَّاهبين

---

(١) روي لزيدٍ حديثان عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وروى عنه ابنُه أسامةُ، فيما أخرجه ابنُ قانع عن زيدِ بنِ حارثة قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بشِّرِ المشَّائين إلى المساجدِ في الظُّلم بنورٍ يومَ القيامة سَاطعٌ**». معجم الصحابة لابن قانع (١/ ٢٣٠) برقم (٢٥٧).
ويعدُّ ابنُه أسامة من أصحابِ المئات، رُوي له (١٢٠) حديثًا، وروى عنه أكابر علماء التَّابعين، وروى له الجماعةُ، وأخبارُهُ مع أبيه مستوفاة في تاريخِ مدينة دمشق لابن عساكر، وقد افتتحتُ ترجمته في كتابي: أبناء الصَّحابة، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.

* التقى المسلمون عدوَّهم في مؤتةَ، فما وهَنُوا ولا ضعفوا ولا استكانوا على الرغمِ من كثرةِ عددِ العدوِّ، وقاتلَ زيدٌ برايةِ رسولِ الله ﷺ؛ حتى شاطَ في سيوفِ القومِ ورماحِهم، ولقيَ اللهَ شهيدًا سعيدًا، ثم تقدَّمَ من بعده جعفرُ فقاتلَ حتى قُتِلَ شهيدًا، ثم عبدُ الله بنُ رواحةَ فقاتلَ حتَّى قُتِلَ شهيدًا(١). ثم اصطلح النَّاس على خالدِ بنِ الوليد، وأخذَ الرايةَ، ودافعَ عن المسلمين، ثمَّ استطاعَ أنْ ينصرفَ بالنَّاس بعد أنْ حاورَ الأعداءَ وداوَرَهُم.

* ولنقفْ هُنيهاتٍ مع هذه التغريدة التي تنطقُ عن خُطى المعركة:

زيدُ بنُ حارثة وجعفرُ أصْبحَا في الخالدين

قد كانَ عبدُ الله ثالثَهم كما أمرَ الأمين

قُتَلِ الثَّلاثةُ لم يَعُدْ أحدٌ يقودُ المسلمين

لكنْ تقدَّمَ خالدٌ لِيقودهُم فهوَ الفطين

حملَ اللواءَ وجنَّب الجيشَ الهلاكَ على اليقين

فتى الفَواضِل الخَالد:

* قدَّمَ سيدنا زيدٌ رضي الله عنه حياتَه لإعلاءِ كلمةِ الله، ولما قُتِلَ كان عمرهُ حوالي خمسين عامًا، ورثاهُ جماعةٌ من شُعراء الصَّحابة، وفي مقدمتهم سيدنا حسَّانُ بنُ ثابت رضي الله عنه.

* وقد ذكرَ النَّبيُّ ﷺ مصابَ زيدٍ ورفيقيه وهو فوقَ المنبر، يُعرفُ فيه الحزنُ، وكانت عيناه تذرفان وقال: «**وما يسرُّهُم أنَّهم عندنا**»، وشهدَ لهم بالشَّهادة، فهم ممَّنْ يُقْطعُ لهم بالجنَّة(٢)، رضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) قال سعيدُ بنُ هلال: «... وبلغني أنَّهم دَفَنوا يومئذٍ زيدًا وجعفرًا وابن رواحة في حفرةٍ واحدة». فتح الباري (٧/ ٥١١).

وقال النَّوويُّ رحمه الله في ترجمةِ جعفر بنِ أبي طالب رضي الله عنه: «وقبرُهُ، وقبرُ صاحبيه زيد بن حارثة، وعبد الله ابن رواحة مشهور بأرض مؤتة من الشَّام على نحو مرحلتين من بيت المقدس، رضي الله عنهم». تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٤٥١) بتصرف، وللقصة أصل في الصحيح وغيره.

* هذا هو الأبُ الحِبُّ المُحَبُّ زيدُ بنُ حارثة فتى الفواضلِ والفضائلِ، ومحاسنِ الخصائلِ، وسيدِ الأكابرِ والأفاضلِ؛ وأخبارُهُ ومناقبُهُ لا تُستوفى، وقد أوردنا منها ما يتوافقُ مع موضوعِ البحث.

* نسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يحشرَنا مع زمرةِ زيدٍ وابنِهِ تحتَ رايةِ سيِّدنا وحبيبنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنْ يظلَّنا بِظِلِّ عرشهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلّه، وحسبنا اللهُ وكفى، وسلامٌ على رسوله المصطفى، وجميع عبادهِ الذين اصطفى.





سَمُرَةَ بنُ جنَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ سَمُرةُ وابنُهُ جابرٌ ممَّن نَعِما بالصُّحبةِ النَّبويةِ.

❋ زوجةُ سمرةَ: خالدةُ أختُ سعدِ بنِ أبي وقَّاص.

❋ كان يحبُّ المجالسَ النَّبويةَ ويصحبُ ابنَه معه.

❋ له بعضُ الأحاديثِ منثورةٌ في المصادر.

سَمُرَةُ بْنُ جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لهُمَا صُحبةٌ:

* نعيشُ أويقاتٍ مباركةً مع سَمُرَةَ بنِ جنَادة بنِ جندب السُّوائيِّ[(١)]، وهو أبو جابر ابن سمرة، وكلاهما حظيَ بالحظِّ الأوفرِ الأوفى، ونَهلا من المنهل العذبِ الأصفى، وانتظما في حزبِ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه.

* اتَّفق مؤرِّخُو رجالاتِ الصحابة على أنَّ سمرةَ وابنَه ممن أسلمَ وبايعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَّ سمرةَ لمْ يأخذْ مساحةً كبيرةً من صحائفِ الكاتبين، بينما اشتُهِرَ ابنه جابرٌ عند الأكثرين.

* أفصحَ النَّوويُّ القولَ عن جابرٍ فقال: «وهو وأبوهَ صحابيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٢)]. وسكبَ ابنُ حجر ثوبًا من المعرفةِ على سمرة فقال: «سمرةُ بنُ جنادة السّوائيُّ، والد جابر، لهما صحبةٌ...». ثم قال: «كان مع سعدِ بنِ أبي وقَّاص بالمدائن، وتزوَّجَ أختَ سعد، ثم نزلَ الكوفة»[(٣)].

* وسبقَ ابنُ سعد غيرَهُ، حيثُ نجدُ عنده معلوماتٍ تزيدُ صورةَ سمرةَ وضوحًا، قال: «سمرةُ بنُ جنادةَ... صَحِبَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورآهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشَّمس، فقال: «**تحوَّلْ إلى الظِّلِّ فإنَّه مباركٌ**». نزلَ الكوفة؛ وله بها عَقِبٌ»[(٤)].

---

(١) معجمُ الصحابة (٣/ ٢١٥)، وأسد الغابة (٢/ ٥٥٣)، والمعجمُ الكبير (٧/ ٤٢٥)، وتهذيبُ الكمال (١٢/ ١٢٩، ١٣٠)، والمعارفُ (ص٣٠٥)، وغيرها كثير.

(٢) تهذيبُ الأسماء واللغات (١/ ١٤٢).

(٣) الإصابةُ (٣/ ١٣٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٠٥).

* ونحصلُ على معلوماتٍ أخرى عن سمرةَ محصّلها: «وممن نزلَ الكوفة: سمرةُ بنُ جنادة... صحبَ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو وابنُه جابرُ بنُ سمرة، وهم حلفاءُ في بني زهرة، وابتنى بها دارًا في بني سواءة... وأمُّ جابر بن سمرة: خالدةُ أختُ سعدِ بنِ أبي وقَّاص رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، وقد روى سمرةُ عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حديثًا داخلًا في حديث ابنه»(١).

سمُرَةُ وجابرٌ:

* كان سمرةُ متزوِّجًا من خالدةَ بنتِ أبي وقَّاص، فولدت له جابرًا، وبهذا يكونُ جابر ابنَ أختِ سعد بن أبي وقاص رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، فأكرمْ بهذه القرابة(٢).

* وابنهُ جابرٌ له صحبةٌ مشهورةٌ، ومعارفُ منيفةٌ، وروايةُ أحاديث، فقد روى عن عمر، وعن خالِهِ سعدِ بنِ أبي وقَّاص، وعن أبيه سمرة، وعن أبي أيّوب رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، وحدَّثَ عنه كبار التَّابعين وأعيانهم من مثل: عامرُ الشعبي، وأبو إسحاق السَّبيعي، وابنُ خاله عامرُ بنُ سعد بن أبي وقاص(٣).

* وكان لجابرِ بنِ سمرة وأبناء الصَّحابة منزلةٌ جميلةٌ عند النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيثُ كان يكرمُهم ويؤنسُهم ويشجعُهم على الصَّلاة معه، ففي بابِ طيبِ رائحةِ النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولَينُ مَسِّه، والتَّبرُّك بمسحه؛ أخرجَ مسلمٌ بسنده عن جابرِ بنِ سمرة قال: «صلَيتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاةَ الأولى، ثمَّ خرجَ إلى أهلِهِ، وخرجتُ معه، فاستقبله وِلْدانٌ، فجعلَ يمسحُ خَدَّي أحدِهم واحدًا واحدًا، وأَمَّا أنا فَمسحَ خدِّي وجدتُ لِيَدِهِ بردًا وريحًا؛ كأنَّما أخرجَها من جونةِ عطَّار»(٤).

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١١/ ٤٠٢)، والمعجم الكبير (٢/ ١٩٤)، وأسد الغابة (١/ ٤٨٨)، ومختصرُ تاريخ دمشق (٥/ ٣٥٦).

(٢) الوافي بالوفيات (١١/ ٢٢)، والإصابة (١/ ٢٢١).

(٣) سيرُ أعلام النبلاء (٣/ ١٨٦، ١٨٧) بتصرف.

(٤) أخرجه مسلمٌ في الفضائل برقم (٢٣٢٩). وأخرجه الطَّبراني بسنده عن جابر بن سمرة، قال: «كان الصبيان يمرّون بالنَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمنهم مَنْ يمسحُ خدَّه، ومنهم مَنْ يمسحُ خدَّيه، فمررتُ به =

* ولسمرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفتاتٌ تربويةٌ تفيدُ الآباء، فقد كان يصحبُ ابنَه إلى مجلسِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجلسُه وراءه كيما يتعلَّمَ.

* أخرجَ الإمامُ أحمدُ بسنده عن جابرِ بنِ سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنتُ في مجلسٍ فيهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي سمرة جالسٌ أمامي، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الفحشَ والتفحُّش ليسا من الإسلامِ، وإنَّ أحسنَ الناس إسلامًا أحسنُهم خُلُقًا**»[1].

* ومما ينبغي أنْ نطَّلعَ عليه ونعرفَه أنَّ سمرةَ واحدٌ من الصَّحابة الذين يحملون اسمَ سمرة، وهم بضعةُ رجالٍ مذكورون في الكتبِ المتخصصة[2].

سمرةُ والمجالسُ النَّبويَّة:

* سلكَ سيدنا سمرةُ بنُ جنادة مسلكَ العِلْم، فكان من الآباء الذين يحبّون المعالي، ويكثرون الجلوسَ مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستفادَ وروى[3] عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه ابنُه جابر، وكان سمرةُ يسأل رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعضِ الأحكام ليستزيدَ من الفقه والعِلْمِ وأمورِ الدِّين والدُّنيا.

=فمسحَ خدي، فكان الخدَّ الذي مسحه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنَ من الخدِّ الآخر». المعجم الكبير (٢/ ٢٢١) برقم (١٩٠٩).

(١) أخرجه أحمدُ برقم (٢٠٧٢٣). وفي روايةٍ أخرى قال: «كنتُ جالسًا في مجلسٍ فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأبي سمرة جالسُ أمامي، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الفحشَ والتفاحشَ ليسا من الإسلام في شيءٍ، وإنَّ خيرَ الناس إسلامًا أحسنُهم خُلُقًا**». أخرجه أحمد برقم (٢٠٨٣٩).

(٢) ذكر الزَّبيدي أنَّ السَّمرة نوعٌ من أنواعِ السَّجر الجيد، وذكرَ مَن اسمُه سمرة من الصَّحابة، وبدأ بسمرةَ بن جنادة، ثم سمرة بن جُنْدَب، وسمرة بن حبيب، وسمرة بن ربيعة، وسمرة بن عمرو، وسمرة بن فاتك، وسمرة بن معاوية، وسمرة بن مِعْيَر وهو أبو محذورة، صحابيون، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. تاج العروس (١٢/ ٧٧، ٨٨) بتصرف.

(٣) قال المِزيُّ: «روى سمرةُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه ابنه جابر بن سمرة، وروى له البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والترمذي حديث: «**كلّهم من قريش**»، يعني: الاثني عشر خليفة». تهذيب الكمال (١٢/ ١٣٠).

* فإلى هذا الحكمِ المهمِّ في الطَّعام الذي أخرجه الطَّبراني وأبو نُعيم بسندٍ عن سمرةَ قال: «سألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: إنَّا أهلُ باديةٍ وماشيةٍ، فهل نتوضأُ من لحومِ الإبل وألبانها؟ قال: «**نعم**»، فقلتُ: هل نتوضأُ من لحومِ الغنمِ وألبانها؟ قال: «**لا**»»(١).

* وأسفرتْ تلك الجلساتُ النَّبويةُ المباركةُ عن فوائدَ ومعارفَ عظيمةٍ، نقلهَا سيدنا سمرةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فيما أخرجه أبو نُعيم عنه قال: «كُنَّا عند النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءهُ رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله، ما أقرب الأعمالِ إلى الله؟ قال: «**صدقُ الحديث، وأداءُ الأمانة**»، قلتُ: يا رسولَ الله، زدنا، قال: «**صلاةُ الليل وصومُ الهواجر**»، قلتُ: يا رسولَ الله، زدنا، قال: «**كثرةُ الذّكر لي، والصلاةُ عليَّ تنفي الفَقْر**»، قلتُ: يا رسولَ الله؛ زِدْنا، قال: «**مَنْ أَمَّ قومًا فليخففْ، فإنَّ فيهم الكبيرَ، والعليلَ، والضعيفَ، وذا الحاجة**»»(٢).

ماذَا قَالَ:

* كان سمرةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجلسُ بقربِ النَّبيِّ ويصغى لما يقولُه، ويفهمُ عنه؛ وفيما يأتي مصداقُ ذلك.

* أخرجَ مسلمٌ وغيرهُ من أهلِ العلْم والحديثِ بسندٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: «خَطَبَنَا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفات فقال: «**لن يزالَ هذا الدينُ عزيزًا منيعًا على مَنْ نأواهُ، لا يضرُّه مَنْ حالفَه أو فارقَه حتى يملكَ اثنا عشر كلّهم**»، ثم لَغَطَ الناسُ؛ فلمْ أفهمْ ما بعد: «**كلّهم**»، فقلتُ لأبي: -وكان أقرب إليه مني- يا أبتاه، ما بعد قول النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلّهم**»؟ قال: «**كلّهم من قريش**»»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني (٧/ ٣٢٥) برقم (٧١٠٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (٣٥٧١).

(٢) أخرجه أبو نعيم برقم (٣٥٧٢).

(٣) أخرجه مسلمٌ في الإمارة برقم (١٨٢١)، وأحمد برقم (٢٠٦٩٣، ٢٠٦٩٦)، ومواضع أخرى والبغوي في معرفة الصحابة برقم (١١٤٩)، والمعجم الكبير (٢/ ١٩٦) برقم (١٧٩٥، ١٨٠٠)، والمستدرك (٣/ ٦١٧)، وغير ذلك من مصادر.

* وفي روايةٍ أخرى عن جابرِ بنِ سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جئتُ أنا وأبي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقولُ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ صالحًا حتى يكونَ اثنا عشر أميرًا**» ثم قال كلمةً لم أفهمْها، قلتُ لأبي: ما قال؟ قال: «**كلُّهم من قريش**»[(١)].

* ومما يندرجُ تحت هذا الأمر، ويدلُّ على أنَّ سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قريبًا من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما يتكلَّم، ما جاء عند أبي نُعيم بسنده عن جابرِ بنِ سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وهو يخطبُ: «**إنَّ بين يدي السَّاعة كذَّابين**»، فقال كلمةً لم أفهمْها، فقلتُ لأبي: ماذا قال؟ قال: «**فاحذروهم**»[(٢)].

* ولسمرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبارٌ أخرى متناثرةٌ في المصادر، أما وفاتُه فكانت في الكوفةِ[(٣)] أيام خلافة سيّدنا معاوية، واللهُ أعلم. فرضي الله عن سمرة بن جنَادة، وجعلنا ممن لهم الحسنى وزيادة.



(١) أخرجه أحمد برقم (٢٠٩٣٧).

(٢) معرفةُ الصحابة برقم (٣٥٦٩)، وأخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٩٢٣)، وأحمد برقم (٢٠٦٨١)، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٢٦) برقم (١٩٣٥، ١٩٦٩، ١٩٧٨، ١٩٨٨، ٢٠٤١).

(٣) قال ابنُ سعد: «ونزلَ الكوفة وله بها عقبٌ». طبقات ابن سعد (٦/ ٢٠٥).



عتبةُ بنُ مسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* جمعَ أرديةَ مجدِ الصُّحبة منِ جميعِ أطرافها.
* هاجرَ الهجرتَيْن وشهدَ غزوةَ أُحد وما بعدها.
* أبناؤُهُ وأحفادُهُ من مشاهيرِ عُلماء الدُّنيا.
* مناقبهُ جمةٌ وتوفي سنة (٢٣هـ) في المدينةِ.

عتبةُ بنُ مسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مع قُدماءِ الصَّحْبِ الكِرام:

* جمعَ مجدَ الصُّحبةِ من أطرافِه، فهو صحابيٌّ من قدماءِ السَّابقين، وأبو صحابيٍّ، وابنُ صحابيَّةٍ، وشقيقُ صحابيٍّ من علماءِ الصَّحابة وأعيانِهم وأذكيائِهم، وقد نالَ أخوهُ هذا شهرةً عظيمةً كادت تغطِّي سيرته، ممَّا جعل أخبارَهُ التي وصلَتْ إلينا يسيرة.

* وسنسعى بإذنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لمعرفةِ المزيد من سيرة سيِّدنا: عتبةُ بنُ مسعود الهذليُّ[١]، شقيقُ عبد الله بن مسعود، وأخوهُ لأُمِّه وأبيهِ، وأمُّهما: أمُّ عبد بنتُ عبد ودّ الهذلية[٢]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* تمدُّ أكفُّ بعض المصادر الباحثَ بمعلوماتٍ جميلةٍ تغازلُ عملَه، وتجعلُه ذا فائدة ونضارة، وتجعلُ البحثَ ذا رونقٍ ودلال.

* نمَّقَ ابنُ حبيب الكلمات عن أحلافِ قريش، فذكَرَ حلْفَ آل عبدِ الله بنِ مسعود الهذليِّ، وأفادَ ببعضِ الفِقْراتِ المُهمَّةِ التي تنيرُ الدربَ أمامَ محبِّي الصَّحابة فقال: «... وكان أمره أنَّ مسعودًا أبا عبدِ اللهِ بنِ مسعود قدمَ مكَّةَ بفرسٍ عربيٍّ، وناقةٍ مهريةٍ، فقال: مَنْ يأخذُ مني هذَيْن وأعقدُ حلفي إليه فإنِّي موثمٌ -والموثم: المطلوبُ بالدم-؟ فأخذهما منه عبدُ بنُ الحارث بنِ زهرة بن كلاب، وزوَّجه أُمَّ عبد بنتَ الحارث، فولدَتْ له عبدَ الله، وعتبةَ بنَ مسعود، وعقد حلْفه...»[٣].

---

(١) المنتظمُ (٤/ ٢٦٢)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٢٩٣)، وأسدُ الغابة (٣/ ٥٦٣)، وسيرُ أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠)، والعقدُ الثمين .(٥/ ١٣، ١٤)، وغيرها كثير جدًّا.

(٢) اقرأ سيرتها في الباب الثالث من كتابنا: أمّهات الصحابة.

(٣) المنمقُ (ص٣٤٤، ٣٤٥).

ذريةُ عتبيةُ طيبةُ:

* وهبَ اللهُ سيدنا عتبةَ بنَ مسعود ذريةً مباركةً ملأتِ الأقطارَ علمًا وتعليمًا، وكانوا نجومًا زواهرَ في جبين سماءِ العلماءِ وأهلِ الاجتهاد.

* فابنُه: عبدُ الله بنُ عتبة له إدراكٌ وصحبةٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروايةُ حديث.

* وحفيدُهُ: عُبيدُ الله بنُ عبد الله بنِ عتبةَ مُفتي المدينةِ وعالمُها، وأحدُ الفُقهاء السَّبعة، كان ثقةً، رجلًا صالحًا، فقيهًا، كثيرَ الحديث، جامعًا للعِلْم، بل بحرًا من بُحور العِلْم، وهو معلِّمُ عمرَ بنِ عبد العزيز، وكان فصيحًا بليغًا شاعرًا من أفْقَهِ الشُّعراء، وأشعرِ الفُقهاء، وأَنْبَهِ الظُّرفاء، وأظرفِ النُّبهاء، وكفاهُ بُرهانًا على جلالتِهِ وعلْمِهِ؛ ما كتبَ إلى عمرَ بنِ عبد العزيز منْ نَظْمٍ يرشحُ بالوعظِ، وينضحُ بجمالِ اللفظِ، ويصلحُ للمذاكرةِ والحفظِ، قال:

بسمِ الذي أُنزلَتْ منْ عنده السُّورُ ... والحمدُ للهِ أمَّا بعدُ يا عمرُ
إنْ كنتَ تعلمُ ما تأتي وما تذرُ ... فكُنْ على حذرٍ قد ينفعُ الحذرُ
واصبرْ على القَدَرِ المحتومِ وارضَ بهِ ... وإنْ أتاكَ بما لا تشتهي القدرُ
فما صَفَا لامرئٍ عيشٌ يُسَرُّ بهِ ... إلا سيتبعُ يومًا صفوَهُ كدرُ(١)

* وحفيدُ عتبةَ الآخر: عونُ بنُ عبد الله بنِ عتبة، إمامٌ قدوةٌ عابدٌ ثقةٌ، تربَّى على أيدي أكابرِ علماء الصَّحابةِ، ووفَدَ على عمرَ بن عبد العزيز، وسيرتُه مزدانةٌ بالفَضْل والنُّبل، وله روايةٌ عن أبيهِ عن جدِّه، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما مَنْ عينٍ بكَتْ من خشيةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيخرجُ منها منَ الدُّموع، وإن كان مثلَ رأس الذُّباب حتى يمرَّ على حُرِّ وجههِ إلا حرَّمَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على النَّار**»(٢).

---

(١) حليةُ الأولياء (٢/ ١٨٨، ١٨٩).

(٢) معجم الصحابة لابن قانع (٢/ ٢٦٨) برقم (٧٨٨).

* تُثْلجُ الذريةُ العتبيةُ صدورَ المحبِّين بأعمالها الطَّيبة، فابنُه عبدُ الله بنُ عتبة الهذليُّ المدنيُّ، والدُ عُبيد الله أحدُ الفُقهاء السَّبعة، وعونٌ أحدُ الزُّهاد المشهورين، أدركَ عبدُ الله النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورآه؛ فهو خُماسيٌّ، أو سداسيٌّ وروى عنه[١]، وعن عددٍ من كبراءِ الصَّحابة، وكان ثقةً رفيعًا، كثيرَ الحديث والفُتيا فقيهًا، وكان يؤمُّ النَّاسَ بالكوفةِ، وقد روى له الجماعةُ سوى التِّرمذي، وقد استعملَهُ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على السُّوق، واستعمالُ عمر له يدلُّ على أنَّه أدركَ زمنَ النَّبِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنين[٢]، واللهُ أعلمُ.

* كان عبدُ الله بنُ عتبةَ على عَهْدِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صغيرًا، وحفظَ عنه يسيرًا، روى عنه ابنُه حمزة أنَّه قال: «سألتُ أبي عبد الله بن عتبة: أيُّ شيءٍ تذكرُ من رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: أذكرُ أنَّه أخذني وأنا خُماسيٌّ أو سداسيٌّ، فأجلسَني في حجره، ومسحَ على رأسي بيده، ودعا لي ولذريَّتي منْ بعدي بالبركةِ»[٣]،وفي رواية: «أذكرُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعَ يده على رأسي»[٤].

* وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ بعضَ الصَّحابة كان إذا وُلدَ له ولدٌ؛ أتى به إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمسَحَهُ بيده، ودَعَا له.

سجلُّ المهاجرين والمُجَاهدين:

* دعا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام الحنيف، فسارعَ عتبةُ بنُ مسعود واستجابَ للهِ وللرسول[٥]، وهؤلاء السَّابقون الأوَّلون معرفُون بأسمائِهم وقبائِلهم وبيوتهم.

---

(١) قال الحاكم: «عبد الله بن عتبة أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع منه». المستدرك (٣/ ٢٥٨).
(٢) طبقاتُ ابن سعد (٧/ ٦٢)، وتهذيبُ الكمال (١٥/ ٢٧٠، ٢٧١)، مع الجمع والتصرف.
(٣) أسدُ الغابة (٣/ ٣٠٦، ٣٠٧).
(٤) الاستيعابُ (ص٤٣٠).
(٥) الدرر (ص٣٩).

* وصدعَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمْرِ ربِّه، فأخذَ يبلِّغُ الناسَ رسالةَ ربِّه، ويدعوهم إلى توحيدِ العزيزِ الغَفَّارِ، واتَّخذ من دارِ الأرقم عند الصَّفا دارَ دعوته، فأقبلَ عليه أهلُ قريش وغيرهُم مؤمنين مصدِّقين رسالَتَه، متَّبعين له في دينِه، فقد عرفوا نهجَ الحقِّ، وهجروا آلهةَ أسلافهم.

* اخلولقَتْ قريشٌ تفتكُ بِمَنْ آمنَ، ولم تتركْ طريقًا فيه أذىً للمؤمنين إلا سلكتْهُ؛ فوجَّههم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحبشَة، فشرعَ المسلمون يتوجَّهون تلقاءَهم، وخرجَ معهم عتبةُ وأخوهُ عبدُ الله بنُ مسعود، وكُتِبَ عتبةُ في سجلِّ هؤلاءِ الميامين الذين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ورضوا عنه[1].

* ثم توجَّه عتبةُ من هجرته الحبشية إلى مكةَ؛ لينتظمَ في سلْكِ المهاجرين إلى المدينةِ النَّبويَّة، وشهدَ أُحُدًا وما بعدها من المشَاهد النَّبويَّة. قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وعتبةُ بن مسعود الهذليُّ؛ هاجرَ مع أخيهِ لأبوَيْه عبدِ اللهِ إلى الحبشةِ، وشهدَ أُحُدًا وما بعدها...»[2].

* أسفرتْ بعضُ المصادر عن أحداثٍ تتعلَّقُ بعتبةَ ومفادها: «أنَّه شهدَ غزوةَ أُحد، وحينما اختلطَ الجيشان، والتبسَ العَسْكَران، فلمْ يتميزوا، فوقَعَ القَتْلُ على المسلمين، وصار يضربُ بعضُهم بعضًا وما يشعرون من العَجَلَةِ والدَّهش، والتقتْ أسيافُ المسلمين على اليمانِ بنِ جابر -والدِ حذيفةَ- وهم لا يعرفونه حينَ اختلطُوا، وحذيفةُ يقولُ: أبي، أبي، حتى قُتِل، فقال حذيفةُ: يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين. فيقال: إنَّ الذي أصابَهُ عتبةُ بنُ مسعود الهذليُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[3].

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٧٠)، والدرر (ص٥٠).
(٢) البدايةُ والنهايةُ (١٠/ ٢٠٣).
(٣) فتحُ الباري (٧/ ٣٦٣)، وإمتاع الأسماع (١/ ١٤٥، ١٤٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٤٣، ٣٤٤).

أقباسٌ عُتْبيَّةٌ:

* ما غابتْ مناقبُ هذا الأبِ الفاضل عن الأذهانِ، إذ إنَّ له مكانةً جليلةً عند الأعيان، من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان.

* أخرجَ الحاكمُ بسندِهِ عن الزُّهريِّ قال: «ما عبدُ الله بنُ مسعود أعلى عندنا من أخيهِ عتبة، ولكنَّه ماتَ سريعًا»[(١)].

* وعتبةُ معدودٌ من رواةِ الحديث، فقد أخرجَ الحاكمُ بسندِهِ عنه قال: «قامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلِّي صلاةَ الغَداة، فأهوى بيده قُدَّامَه، فسألهُ رجلٌ من القومِ حين قضى الصَّلاة، فقال: «**جاء الشَّيطانُ فانتهرتُهُ، ولو أخذتُهُ لربطتهُ إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتَّى يطوفَ به ولدانُ أهل المدينة**»[(٢)].

* ونقرأُ هذه الروايةَ المفيدةَ عنه حيثُ قال: «جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَمَةٍ سوداء، فقالت: يا رسولَ الله، إن عليَّ رقبةً مؤمنةً أفتجزئُ عنِّي هذه؟ فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ ربُّكِ؟**» قالت: ربِّي اللهُ، قال: «**فما دينُكِ؟**» قالت: الإسلام، قال: «**فَمَنْ أنا؟**» قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: «**فتصُلِّين الخمسَ وتقرِّين بما جئْتُ به مِنْ عندِ الله؟**» قالت: نعم، فضربَ على ظَهْرِها، وقال: «**اعتقيها، فقد أجزأَتْ عنكِ**»[(٣)].

* وأخرجَ أبو نُعيم بسنده: «أنَّ ديكًا صرخَ عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رجلٌ: اللهمَّ العنْهُ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تلعنْهُ، ولا تسبَّهُ، فإنَّه يدعو إلى الصَّلاة**»[(٤)].

---

(١) المستدركُ (٣/ ٢٥٨).

(٢) المستدركُ (٣/ ٢٥٨).

(٣) المستدركُ (٣/ ٢٥٨)، والمعجمُ الكبير (١٧/ ١٣٦، ١٣٧) برقم (٣٣٨)، مع الجمع بينهما. ولله درُّ مَنْ أشار إلى قصَّة هذه الجارية فقال:

لَقَدْ صحَّ إسلامُ الجُويريَةِ التي ... بإصبِعها نحو السَّماء تشيرُ

(٤) معرفةُ الصحابة برقم (٥٣٤٦).

* ولعتبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهمٌ ثاقبٌ، ولطائفُ أرقُّ من نسيم السَّحر، ناهيك أنَّهُ رأسٌ من العُلماء النُّبلاء، وعينٌ من الفضلاء الفقهاء، فقد ذكروا أنَّه أوَّل مَنْ سمَّى المصحف[1] مصحفًا[2].

أحبُّ النَّاسِ إليَّ:

* عاشَ سيدنا عتبةُ في المدينةِ المنورةِ شطرًا من الخلافةِ الرَّاشدة، وفي زمن عمرَ وافتْهُ المنيةُ، وكان عتبةُ قد فَقَدَ بَصَرهُ قُبيل موته[3]؛ قال الصَّفديُّ: «وكُفَّ بصُرهُ بأخرة»[4].

* ولما مات عتبةُ انتظرَ سيدنا عمرُ أمَّ عبدٍ، فجاءتْ فصلَّتْ عليهِ[5]. قال عبدُ الله ابنُ عتبة: «لما ماتَ أبي، بكى عليه عمِّي عبد الله بنُ مسعود، فقيل له: أتبكي؟ قال: نعم، أخي في النَّسَب، وصاحبي مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحبُّ النَّاس إليَّ إلا ما كان من عمرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[6].

* وأرَّخَ ابنُ كثير وفاتَه سنة (٢٣هـ)، وقال: «توفي زمنَ عمر على الصحيح»[7]. فرضي الله عن عتبةَ بنِ مسعود، وجعلنا ممَّن تشمله رحمته يوم الخلود.



---

(١) «المصحفُ»: -بتثليث الميم- ما جُعِلَ جامعًا للصُّحف المكتوبة. بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٨٨). وقال أهل العلم: «المُصحف: بضم الميم وكسرها، جامع الصّحف التي كتبَ فيها القرآن الكريم، مع ترتيب آياته وسوره». معجم علوم القرآن (ص٢٧١).

(٢) الروض الأنف (٢/ ١٣٨)، المطبعة الجمالية بمصر.

(٣) المحبرُ (ص٢٩٨)، وأشار ابن عبد البر إلى أن عتبة مات سنة ٢٣هـ. الاستيعاب (ص٥٦٨).

(٤) نكتُ الهميان (ص١٩٩).

(٥) المستدركُ (٣/ ٢٥٨).

(٦) المعجمُ الكبير (١٧/ ١٣٧)، وسيرُ أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠)، والعقدُ الثمين (٦/ ١١٤)، وغيرها.

(٧) البدايةُ والنهايةُ (١٠/ ٢٠٣). وقال ابن الجوزي: «توفي سنة ١٨هـ في خلافة عمر». المنتظم (٤/ ٢٦٢).



ياسرُ بنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❋ عميدُ الأسرةِ الياسريةِ وحليفُ بني مخزوم.

❋ صبرَ مع زوجتِهِ وابنَيْه على إيذاءِ قريش.

❋ كانت سميةُ زوجتُهُ أوَّل شهيدٍ في الإسلام.

❋ قضى ياسرُ بنُ عامر نَحْبَهُ تحتَ التَّعذيب.

ياسر بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

أبو عَمَّار:

* أرسلَ اللهُ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ، وأَمَرهُ أنْ ينذرَ النَّاس قريبهم وبعيدهم، فنهضَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَمْرِ ربِّه يدعو النَّاسَ، فاستجابَ له عددٌ من عليةِ قريش وغيرهم من حلفائِهم، وهجروا آلهةَ أسلافهم، وآمنوا باللهِ بارئهم وخالقهم.

* وممَّن سَلَكَ سُبُلَ الهدى والرَّشاد: ياسرُ بنُ عامر بنِ مالك العنسيّ، حليفُ بني مخزوم[١].

* أوضحَ أهلُ التَّاريخِ والطَّبقاتِ السِّيرةَ الياسريةَ، وأفادوا بأنَّه قدمَ من اليمن إلى مكَّةَ مع أخويه: الحارث ومالك؛ يطلبون أخًا لهم، فرجَعَ أخواه إلى اليمن، بينما ظلَّ ياسرُ في مكة، وحالفَ أبا حذيفة بنَ المغيرة المخزوميَّ، فزوَّجه أَمَةً له يُقال لها: سميَّة، فولدَتْ له عمَّارًا، فأعتقَهُ أبو حذيفة، ولم يزلْ ياسرُ وابنَهُ عمَّارُ مع أبي حذيفة إلى أنْ مات، وجاء اللهُ بالإسلام، فأسلمَ ياسرُ وعمَّارُ وسميَّةُ وأخوهُ عبدُ الله بنُ ياسر[٢].

الصَّابـرون:

* قُلنا: «إنَّ ياسرًا رجلٌ من عنس من اليمن، قدم مكَّة، وأقامَ فيها، وتزوَّجَ سميةَ بنتَ خَيْط -أو: خَيَّاط، أو: خبَّاط- جاريةَ أبي حذيفة، فولدتْ له عمَّار بنَ ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»[٣].

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والإصابةُ (٦/ ٣٢)، وأسدُ الغابة (٥/ ٤٣٣)، والمنمقُ (ص٢٥٨)، والدررُ (ص٣٨)، وغيرها كثير جدًّا.

(٢) انظر: المعارف (ص٢٥٦) بتصرف يسير.

(٣) انظر: المنمق (ص٢٥٨) بتصرف.

* وحينما أشرقتْ أمُّ القرى بالإسلام، أسلم ياسرُ وسميَّةُ وعمارُ وأخوه عبدُ الله بن ياسر[(١)]، ولما أسلمَ ياسُر أخذتْهُ بنو مخزوم فجعلوا يعذبونَه ليرجعَ عن دينه[(٢)].

* قامتْ كلُّ قبيلةٍ من قبائلِ قريش تعدو على مَنْ أسلمَ مِنْ حلفائِها، وتعذِّبُهم، وتذيقُهم ألوانَ الاضطهاد؛ فَثَبَتَ هؤلاء ثباتَ الرَّواسي، وصبروا صبرًا جميلًا، فسادوا وأصبحوا قدوةَ الأمم، وأعيانَ الأوائل في المكرمات.

* ففي حديثه الشَّائق عن مناقبِ عمار وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابنُ حجر: «... أمَّا عمَّارُ فهو ابنُ ياسر، وأمُّه سميّة... أسلم هو وأبوهُ قديمًا، وعُذِّبوا لأجل الإسلام، وقتَلَ أبو جهل أُمَّه، فكانت أَوَّلَ شهيدٍ في الإسلامِ، ومات أبوهُ قديمًا...»[(٣)].

* بلغتِ الأسرةُ الياسريةُ الجوزاءَ في مضمار الصَّبر والتَّسليم لأمْر الله، إذ انبرى بنو مخزوم يتفنّنون في عذابهم، فيخرجون بهم إذا حميتِ الظَّهيرةُ، ويلبسونهم دروعَ الحديد المُحمَّاة بالنَّار؛ ليردُّوهم عن سبيل الله، فما وهنوا ولا استكانوا، وازدادوا ثباتًا وصبرًا، وكان الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرُّ بهم وهم يُعذَّبون، فيأمرهم بالصَّبر والمُصابرة، ويدعو اللهَ لهم.

الدَّهْرُ هَكذا:

* شهدَ سيدنا عثمانُ بنُ عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جانبًا من تعذيبِ الأسرةِ الياسريةِ، ونقلَ هذه الصُّورة فقال: «أقبلتُ أنا ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخذٌ بيدي نتماشى في البطحاء؛

---

(١) عبدُ الله بنُ ياسر العنسيّ: أخو عمار، له ولأبيه صحبه، مات عبد الله وأبوه ياسر بمكة مُسلمَين، وكانوا جميعًا من السَّابقين إلى الإسلام، وومن عُذِّب في الله تعالى، وأما عمَّار فمن كبار الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. أسد الغابة (٣/ ٤١٢)، والاستيعاب (ص٤٤٢)، مع الجمع بينهما.

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ١٢٧)، وأنسابُ الأشراف (١/ ١٥٧)، وتاج العروس (١٤/ ٤٦٤، ٤٦٥). وذكروا أنه كان لياسر ابن آخر أكبر من عمار وعبد الله يُقال له: حريث، قتله بنو الديل في الجاهلية.

(٣) فتحُ الباري (٧/ ٩١) بتصرف يسير جدًّا.

حتى أتينا على أبي عمَّار وعمار وأمّه وهم يعذَّبون فقال ياسر: الدَّهرُ هكذا، فقال له رسولُ الله: «**اصبرْ، اللهمَّ اغفرْ لآلِ ياسر وقد فَعَلْتَ**»[(١)].

* وفي روايةٍ أخرى أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بعمار وأبي عمار وأمّه وهم يعذّبون بالبطحاء، فقال: «**اصبروا يا آل عمار، فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[(٢)]. وفي رواية: «**أبشروا آلَ عمار وآلَ ياسر، فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[(٣)].

* وجعلَ المشركون يضاعفون وجَبَاتِ العذاب لمن آمن بالرسالةِ المحمديةِ حتَّى ماتَ والدا عمَّار تحتَ التَّعذيب، فقد نقلَ ابنُ حجر، عن الطَّبريِّ: «أنَّ المشركين عذَّبوا عمارًا وأباه وأُمَّه، وصُهيبًا وبلالًا وخبَّابًا وسالمًا مولى أبي حذيفة، فماتَ ياسرُ وامرأتُه في العذاب، وصبرَ الآخرون»[(٤)].

* وفصَّلَ البلاذريُّ القصَّةَ، فنقرأُ عنده: «أنَّ عمارَ بنَ ياسر، وأباه ياسرًا، وأخاه عبدَ الله بنَ ياسر، وسميةَ أمَّ عمار كانوا يعذّبون في الله، فمرَّ بهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**صبرًا آلَ ياسر، فإنَّ موعدكم الجنَّة**»، فماتَ ياسر في العذاب، وأغلظتْ سميةُ لأبي جهل، فطعَنَها في قُبُلها، فماتت، ورُميَ عبدُ الله فَسَقَط»[(٥)].

* وبهذا كان ياسرُ وسميةُ أوَّلَ قتيلَيْن مُسلمَيْن نالا وسام الشَّهادة في الإسلام، بينما أغرقَ المشركون في إيذاء ابنهما عمار وتعذيبه، حتى أجبروهُ على أنْ يتلفَّظَ بكلمةِ الكفر بلسانِه. وروى جمهورُ المفسِّرين، وجهابذةُ العِلْم أنَّ أسبابَ نزولِ الآيةِ الكريمة: ﴿ مَن

(١) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ١٢٧)، وأنساب الأشراف (١/ ١٦١)، ومختصر تاريخ دمشق (١٦/ ١٧٥).
(٢) طبقاتُ ابن سعد (٤/ ١٢٨).
(٣) المستدركُ (٣/ ٣٨٨)، وقال الهيثميُّ: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣). وقال الألباني: «حسن صحيح». حاشية فقه السيرة لمحمد الغزالي (ص١٠٧، ١٠٨).
(٤) فتحُ الباري (١٢/ ٣١٢).
(٥) أنسابُ الأشراف (١/ ١٦٠).

كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]. هو موقفُ عمَّار بنِ ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

ابتغاء مرضاة الله:

* كان لياسرِ بنِ عامر وأسرته شأنٌ عظيمٌ في تاريخ الرِّجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد نزلتْ بعضُ الآيات الكريمة تؤيِّدَ ثباتَهم، وتثني عليهم.

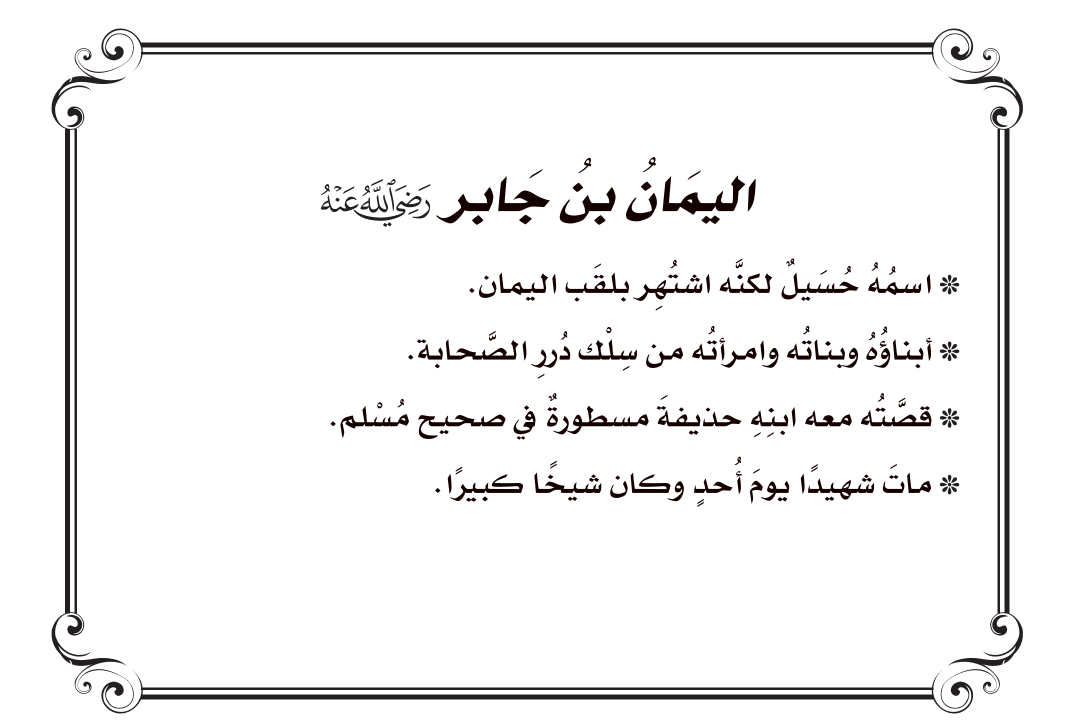
* أخرجَ ابنُ عساكر وغيره بسندٍ عن ابنِ عباس في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ... ﴾ [البقرة:٢٠٧]. قال: «نزلَتْ في صُهيب، وفي نَفَرٍ من أصحابه، أخذَهُم أهلُ مكَّة فعذَّبوهم ليردّوهم إلى الشِّرك بالله، منهم: عَمَّارُ، وأمُّه سميةُ، وأبوه ياسرُ، وبلالُ، وخبَّابُ، وعابسُ مولى حُويطب بن عبد العزَّى، أخَذَهم المشركون فعذَّبوهم»[(٢)].

* أجَل، صبرَ ياسرُ وأسرتُه في سبيلِ اللهِ، فكانوا من مشاهيرِ الدنيا، وكان ياسرُ من آباء الصَّحابة الذين تتناقلُ سيرهم الأجيالُ تلو الأجيال، والذِّكْرُ للإنسان عمر ثانٍ، فرضي الله عن ياسر وأرضاه.



(١) المقرَّرُ عند علماء المسلمين وفقهائهم أنَّ الأخذَ بالرُّخصة في مثل هذه المواقف ليس دليلًا على فَسَاد العقيدة، بدليل أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لسيّدنا عمارِ بنِ ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما عذّبوه وفتنوه: «**إنْ عادوا فَعُد**»، أي: إذا عادوا وطلبوا منك ذكر آلهتهم بخير فاذكرها؛ مادام قلبك مطمئنًا بالإيمان.

(٢) تاريخُ مدينة دمشق (٢٤/ ٢٢٢)، وانظر: معرفة الصحابة برقم (٣٠٨٤)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٨٧)، والدرر (ص٤١، ٤٢).



اليَمَانُ بنُ جَابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

❋ اسمُهُ حُسَيلٌ لكنَّه اشتُهِر بلقَب اليمان.

❋ أبناؤُهُ وبناتُه وامرأتُه من سِلْك دُررِ الصَّحابة.

❋ قصَّتُه معه ابنِهِ حذيفةَ مسطورةٌ في صحيح مُسْلم.

❋ ماتَ شهيدًا يومَ أُحدٍ وكان شيخًا كبيرًا.

اليمان بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حليفُ الأنْصَار:

* عرفَ النَّاسُ قصَّة هذا الأبِ بعد أنْ لقيَ الله شهيدًا في غزوةِ أُحد، وكان قبلَ ذلك أحد آباءِ الصَّحابة الذين لهم بعضُ الأخبارِ اليسيرة.

* اشتُهرَ بِلَقبِهِ أكثر من اسمِهِ، ولنتعرف اسمه أوَّلًا: حُسَيلُ بنُ جابر بنِ عمرو العبسيّ(١)، وأمَّا لقبُه: اليمَان، وإنَّما غَلَبَ عليه هذا اللقبُ؛ لأنهَّم زعموا أنَّه أصابَ دمًا في قومه، فهربَ إلى المدينةِ، وحالفَ بني عبد الأشهل من الأنصار، فسمَّاه قومُهُ اليمان(٢)، لأنَّه حالفَ الأنصار وهم منَ اليمن. وقيل: هو لقبٌ لأحدِ أجدادِه؛ واسمُهُ: جِروةُ بنُ الحارث العبسيُّ(٣).

* قال ابنُ قُتيبةَ: «وهو من بني عبس، وعدادُهُ في بني عبدِ الأشهل، وأسلمَ من بني عبس مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرةٌ، عاشرُهُم اليمانُ»(٤).

الذين يُوفُون بعَهْدِ الله:

* نَعِمَ اليمانُ مع أبنائه بنعمةِ الإسلام، وصدقُوا ما عاهدوا الله عليه. وأثبتَ اليمانُ وابنُه حذيفةُ وفاءهم لِدِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فقد روى أهلُ العِلْم أنَّهما أقبلا فلقيهما أبو جهل

---

(١) أسدُ الغابة (٥/ ٤٩١، ٤٩٢)، وطبقاتُ ابن سعد (٤/ ٢٤٩، ٢٥٠)، والاستيعابُ (ص١٧٨)، والوافي بالوفيات (١٢/ ١٩٥)، وغيرها كثير جدًّا.

(٢) «اليمانُ»: لقبٌ، واسمه حُسَيَل، وقيل: حَسِيل، بفتح أوله وكَسْر ثانيه.
قال الجوهريُّ: «الحسيلُ ولد البقرة، لا واحدَ له من لفظه». لسان العرب، مادة حسل.
وقال ابنُ عساكر والذهبيُّ: «وكان حُسيلٌ قد أصابَ دمًا في قومه، فهربَ إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل، فسمَّاه قومه اليمان لحلْفه لليمانية، وهم الأنصار...». تاريخُ مدينة دمشق (١٢/ ٢٦٢)، وسيرُ أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٢).

(٣) تخريجُ الدلالات السمعية (ص٢٤٠)، والمعارفُ (ص٢٦٣)، وتاجُ العروس للزبيدي (٣٦/ ٣٠٨).

(٤) المعارفُ (ص٢٦٣).

والمشركون؛ قالوا: إلى أين؟ قالا: حاجةٌ لنا، قال: ما جئتم إلا لتمدُّوا محمدًا، وأرادوا أن يقتلوهما، فأخذوا عليهما موثقًا وعهدًا ألا يُكَثِّرا عليهم، فَحَلَفَا لهم، فخلُّوا سبيلهما، فَأَتيَا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكَرَا له ذلك، وقالا: إنَّا حلفْنَا لهم ألَّا نعينَ عليهم، فإنْ شئْتَ قاتلْنَا معكَ، قال: «**بلى، نفي ونستعينُ اللهَ عليهم، ونفي بعهدهم**»، فانطلقْنَا إلى المدينة، فذاك الذي منعَنَا أن نشهَد بدرًا [(١)].

* أخرجَ مسلمٌ عن حذيفةَ بنِ اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «ما منعني أنْ أشهدَ بدرًا إلَّا أنِّي خرجتُ أنا وأبي حُسَيل فأخَذَنا كفَّارُ قريشٍ، قالوا: إنَّكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريدُهُ؛ ما نريدُ إلا المدينة، فأخذوا مِنَّا عهدَ اللهِ وميثاقَه لَننصرفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتلَ معه، فأتينَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرنَاهُ الخبر، فقال: «**انْصَرِفَا، نفي بعهدهم، ونستعينُ اللهَ عليهم**»[(٢)].

نَجَابَةُ الأَبنَاء:

* فازَ اليمانُ وزوجتُه وأبناؤه بِشَرفِ الصُّحبة النَّبويَّة، وكُتِبَ جميعهُم في ديوان الصَّحابة، وهذه منقبةٌ تكاد تكون فريدةً للأُسرةِ اليمانية[(٣)]، إذ لم تَحْظَ بها سوى أُسرٍ قليلةٍ في زمنِ النُّبوَّة.

* فأما زوج اليمان فهي: الرباب بنت حارثة، أو بنت كعب الأوسية الأنصارية، أسلمت وبايعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولدت لليمان؛ حذيفة، وسعدًا، وصفوان،

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٢، ٣٦٢)، وطبقاتُ ابن سعد (٤/ ٢٤٩)، مع الجمع والتصرف. وانظر: تخريج الدلالات السّمعية (ص٢٤١)، والمستدرك (٣/ ٢٠١، ٢٠٢)، وغيرها.

(٢) صحيحُ مسلم برقم (١٧٨٧)، باب الوفاء بالعهد. وقوله: «حُسَيل»: مُصغَّر، ويقال: حَسَل، مكبَّر بوزن علم.

(٣) «**اليمانيةُ**»: نسبةٌ إلى اليمن، واليمنُ بلادُ العرب، والنسبةُ إليهم يمني، ويَمَانٍ مخفَّفة، والألفُ عوضٌ عن ياء النَّسب ولا يجتمعان. وبعضُهم يقولُ: يمانيّ بالتَّشديد، وقومٌ يمانيةٌ، ويمانون مثل: ثمانيةٌ وثمانون، وامرأةٌ يمانية أيضًا، وأيمنَ الرجل ويمنَ ويامَنَ: إذا أتى اليمن، أو إذا أخذ في سيره يمينًا، يُقال: يامِنْ يا فلانُ بأصحابك، أي: خذْ بهم يمنةً، ولا تقلْ: تيامَنْ بهم، والعامةُ تقوله. الصّحاح، مادة: يمن.

ومُدلجًا، وليلى. وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكرم الرباب فقد دعا لها ذات يوم بالمغفرة حينما قال لابنها حذيفة: «**اللهمَّ اغفرْ لحذيفة ولأُمِّه**»[1].

* وكان لليمان بضعةُ أبناءٍ تشرَّفُوا بمبايعةِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن أبنائِهِ النُّجباء: حذيفةُ بنُ اليمان، وهو أشهرُهُم، كان هو وأبوهُ من ساداتِ المهاجرين، بل كان حذيفةُ من نُجباء أبناءِ الصَّحابة، ومن أذكياءِ المدرسة النَّبويَّة؛ فهو صاحبُ السِّرِّ النَّبويِّ، وله المواقفُ المحمودةُ المشهورةُ يوم الخندق وغيره. وسيرتُه مُستوفاةٌ في كتابنا (علماء الصَّحابة).

* وابنُه الآخر: صفوانُ بنُ اليمان، شهدَ أُحدًا مع أبيه وأخيه حذيفة، وكُتِبَ في صحائفِ المجاهدين من الصَّحابة[2].

* ولليمان بناتٌ صحابياتٌ، ومنهنَّ: خولةُ، وهي من راوياتِ الحديثِ، قالت: سمعتُ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لا خَير في جماعةِ النِّساء إلا عند ميتٍ، فإنَّهنَّ إذا اجتمعنَ قُلْنَ وقُلْنَ**»[3].

* وفاطمةُ بنتُ اليمان، لها صحبةٌ وروايةٌ، ومما أخرجهُ أحمدُ وغيرهُ بسندِهِ عنها، أنَّها قالت: «أتينا رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نعودُهُ في نساء، فإذا سقاءٌ مُعَلَّقٌ نحوه يقطرُ ماؤُه عليه من شدَّة ما يجدُ من الحمَّى، قُلْنا: يا رسولُ الله، لو دعوتَ اللهَ فشَفَاك، فقال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ مِنْ أشدِّ النَّاس بلاءً الأنبياءُ، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم**»[4].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١٢/ ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٥٢).

(٢) المعارفُ (ص٢٦٣)، والاستبصارُ (ص٢٣٥).

(٣) الإصابةُ (٨/ ٧٢)، والاستبصارُ (ص٢٣٥)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧١)، وغيرها.

(٤) أخرجه أحمدُ (١٨/ ٤١٩) برقم (٢٦٩٥٨)، والطَّبراني في الكبير (٢٤/ ٢٦٤)، والنَّسائي في السُّنَن الكبرى.

* وأخرجَ الإمامُ أحمد بسنده عنها قالت: «خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا معشرَ النِّساء؛ لا تحلينَ الذَّهبَ، أَمَا لَكُنَّ في الفضَّة ما تحليْنَ بهِ، ما منِ امرأةٍ تَحَلَّى ذهبًا تظهرُهُ إلَّا عُذِّبتْ به**»[(١)].

* قال أهلُ العِلْم عن بناتِ اليمان: «وأختُه -أي: حذيفة- ليلى بنتُ اليمان أمّ سلمةَ ابن ثابت بن وقش، وأختُه فاطمةُ بنتُ اليمان، وأختُه خولةُ بنتَ اليمان...»[(٢)].

أبي أبي:

* أخبرَ أهلُ المغازي أنَّ حُسيلًا كان شيخًا كبيرًا يومَ غزوةِ أُحد، وأنَّه حَضَرَ ميدانَ المعركةِ، فاستُشْهِدَ يومئذٍ، قَتَلَه بعضُ الصَّحابة غَلَطًا، ولم يعرفْهُ، لأنَّ الجيشَ يختفون في لأْمَةِ الحربِ، ويسترون وجوهَهم، فإنْ لم يكنْ علامةٌ بيِّنَةٌ، وإلَّا ربَّما قتلَ الأخُ أخاه، ولا يشعر.

* ولاستشهادِ اليمانِ قصةٌ مسطورةٌ في الصَّحيح، وكتبِ السِّيرة والطَّبقات والتَّراجم وغيرها.

* وممن أسهمَ في تسجيلها: البخاريُّ، حيثُ أخرجَ بسندٍ عن عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لمَّا كان يومُ أحد؛ هُزِمَ المشركون، فصرخَ إبليسُ لعنةُ اللهِ عليه: أيْ عبادَ الله، أُخْراكم، فرجَعَتْ أولاهم، فاجتلدتْ هي وأخراهم، فَبَصُر حذيفةُ، فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أيْ عبادَ الله؛ أبي أبي. قالت: فواللهِ ما احتجزوا حتى قتلوهُ. فقال حذيفةُ: يغفرُ اللهُ لكم. قال عروةُ: فواللهِ ما زالتْ في حذيفةَ بقية خيرٍ حتى لحقَ بالله»[(٣)].

(١) المسندُ (١٨/ ٤١٩) برقم (٢٦٩٥٧).

(٢) انظر: المعارف ص(٢٣٦)، والاستبصار (ص٢٣٥، ٢٣٦)، مع الجمع والتّصرف.

(٣) أخرجه البخاريّ برقم (٤٠٦٥)، يقال: بَصُرت: علمتُ، من البصيرة في الأمر، وأبصرتُ: من بَصَر العين. ويقال: بَصُرتُ وأبصرتُ واحد.

ما تَنْتَظِرُ؟

* أفردتْ بعضُ مصادرِ السِّيرةِ النَّبوية بابًا عنوانه: «ذكْرُ مَقْتل حُسَيل ومَقْتل ثابتِ ابنِ وقش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، وقالت: «... لما خرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أُحدٍ، دُفِعَ حُسَيل وثابتُ بنُ وقش في الآطام مع النِّساء والصِّبيان، فقال أحدهُما لصاحبِه -وهما شيخان كبيران-: لا أَبَا لكَ، ما تنتظرُ؟ فواللهِ ما بقيَ لواحدٍ مِنَّا من عمره إلا ظمءُ حمار إنَّما نحنُ هامةُ اليوم أو غدًا، أفلا نأخذُ أسيافنا، ثم نلحقُ برسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعلَّ اللهَ تعالى يرزقُنَا الشهادة؟! فأخذا أسيافَهما، ثم خرجَا حتى دخلا في النَّاسِ من جهةِ المشركين، ولم يعلمِ المسلمون بهما، فأَمَّا ثابتٌ فقتلَه المشركون، وأمَّا حُسَيل فاختلفَتْ عليه أسيافُ المسلمين، فقتلوهُ ولم يعرفوه[1]، فقال حذيفةُ: أبي! فقالوا: ما عرفْناهُ؛ وصدقوا، فقال حذيفةُ: يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الرَّاحمين، فأرادَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَدِيَهُ، فتصدَّقَ حذيفةُ بديَّتِهِ على المسلمين، فزادَهُ ذلك عندَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرًا»[2].

---

(١) قال عروةُ بنُ الزُّبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخطأَ به المسلمون يومئذٍ، فتوشَّقُوه بأسيافهم يحسبونَه منَ العدو؛ وإنَّ حذيفةَ ليقول: أبي أبي، فلم يفقهوا قولَه حتى فرغوا منه، قال حذيفةُ: يغفرُ اللهُ لكم، يغفرُ الله لكم، وهو أرحمُ الراحمين. قال: وَوَدَّاهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزادَ حذيفة عنده خيرًا». المغازي لموسى بن عقبة (ص١٩٦)، وانظر: السِّيرة الحلبية (٢/ ٣٨٧).

وقال أبو نُعيم الأصبهانيّ: «حُسيلَ بنُ جابر أبو حذيفة، عدادُهُ في الأنصار، في بني عبد الأشهل، أخطأ به المسلمون، فحسبوه من المشركين».

وقال: «قُتِلَ يوم أُحد، قتله رجلٌ من المسلمين، وهو يرى أنّه من المشركين، فوادَّه -دفع ديته- رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عنده، وكان اسمه: حُسيلُ بنُ اليمان». معرفة الصحابة برقم (٧٦١).

(٢) سبلُ الهدى والرشاد (٤/ ٣١٢)، ومصنَّف ابن أبي شيبة (٢٠/ ٤٤٣، ٤٤٤) برقم (٣٧٨٩٨)، والدرر (ص١٥١)، وصحيحُ السِّيرة النبوية (٢١٦)، وغيرها. و«أُحُد»: سُمِّي أُحدًا لتوحّده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، أو لِمَا وقَعَ من أهله من نُصرة التَّوحيد، ولا أحسَ من اسم مُشتق من الأحد، وحركات حروفه الرفعُ، وذلك يشعرُ بارتفاع دين الأحد وعلّوه. والله أعلم.

هيَّا لنلحقَ بالرَّسول:

* نَتَقَلَّبُ مع السُّطور الآتية في مِهاد الهمَسَات الأدبيَّةِ التي تهفو إليها الأرواحُ، وتنجذبُ إليها النُّفوس، فما أجملَ أنْ نستمتعَ بالأدبِ، ولنقرأ قصةَ مقتلِ حُسَيل وثابت ملَّخصة في هذه القَبْة:

واستُشهدَ اللذان قد تخلَّفا ... لِكِبرٍ فَلَحِقَا وزَحَفَا

هُما حُسَيلٌ اليماني أسْلَمه ... حذيفةُ إذْ أهلكته المُسلمه

وثابتُ بنُ وقش المُسْتَشَهد ... أخوهُ وابناهُ وكلٌّ وَتَد(١)

* ولا ريب في أنَّ الكلام عن هذَين الشَّيخين: حسيل وثابت؛ يعطي صورةً مشرقةً مشرِّفَةً عن رسوخِ الإيمان في قلوبِ الصَّحابة: شيوخهم وشبابهم، وأنَّ الدنيا عندهم لا تساوي شيئًا، فما عند اللهِ خيرٌ وأبقى، ومع هذه التَّغريدة البديعة نقرأُ صورة استشهاد هذين الأبوين:

هذا ابنُ وقْشٍ والحسيل أتاهما خيرُ المقال

قالا لبعضٍ إنَّنا شَيخان في عمرِ الزَّوال

---

(١) إنارةُ الدجى (ص٣٠٠، ٣٠١)، وقولُه: «المستشهد»: صفةٌ لثابتِ بنِ وقش، و«أخوه»: رفاعةُ بنُ وقش؛ فإنه استُشهد يوم أحد. و«ابناه»: أي: عمرو وسلمةُ ابنا ثابت بن وقش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. و«وتد»: شبَّههم بالجبال التي هي أوتادُ الأرض تشبيهًا بليغًا، لشرفهم في قومهم، وفضلهم في الإسلام.

ولما ترجم ابنُ الأثير لعمرو بنِ ثابتِ بنِ وقش قال: «عمرو هو أخو سلمة بنِ ثابت وابنُ عمّ عبَّادِ بنِ بشر، ويُعرف عمرو بأُصيرم بني عبد الأشهل، وهو ابنُ أخت حذيفةَ بنِ اليمان، استشهد يوم أحد، وهو الذي قيل: إنَّه دخل الجنة ولم يُصَلِّ صلاة». أسد الغابة (٤/ ١٩٠).

وقال ابنُ حجر: «عمرو بنُ ثابت، وأمّهُ بنتُ اليمان أخت حذيفة، وكان يلقَّب أُصيرم واستُشهد بأحد، وشهد له النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنَّة». الإصابة (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨) بتصرف.

وقال ابنُ عبد البر: «عمرو بنُ ثابت بن وقش، استُشهد يوم أحد، وكان ابن أختِ حذيفة بن اليمان، أمه لبابةُ بنتُ اليمان». الاستيعاب (ص٤٩٥).

هيا لِنلحقَ بالرَّسولِ وبالرِّجال إلى النِّضال
نالا بحقٍّ ما أرادا في رضاءٍ واحتمال[(١)]

طلبُ الشَّهادة:

* شجاعةُ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ملفتةٌ للنَّظر، وفيها تعليمٌ للأبناء، فعلى الرّغم من أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد عذَر الشّيوخ الضُّعفاء، إلا أنَّ اليمانَ أبى أن يظلَّ مع الذُّرِّيَّةِ والنِّساء، فلحقَ بالميدان طلبًا للشَّهادة، وقد سبقه ولداه: حذيفةُ وصفوانُ، فكان أنْ تقبَّلَهُ اللهُ شهيدًا[(٢)]: «إنَّ مَنْ عَذَرَهُ الله في التَّخلُّف عن الجهاد، لِمَرضٍ أو عَرَجٍ شديد، أو شيخوخةٍ، يجوزُ له الخروج إليه، وإنْ لم يجبْ عليه، كما خرجَ عمرو بنُ الجموح وهو أعرجُ شديدُ العَرج، واليمانُ وثابتُ بنُ وقش؛ وهما شيخان كبيران، وهؤلاء نالوا الشَّهادة في غزاةِ أُحدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[(٣)].

* رضي الله عن اليمانِ وزوجته وأبنائِهِ وبناتِهِ، ونفعنا بسيرتهم، وجَعلنا ممَّن يصحبهم في الجنَّة.



(١) تغريدةُ السِّيرة النبوية (٣/ ٦٦)، بانتقاء وتصرف.
(٢) انظر: البداية والنِّهاية (٥/ ٤٠٧)، وإمتاع الأسماع (١/ ١٤٥).
(٣) السّيرةُ النبويةُ في ضوء المصادر الأصلية (ص٤٠٤) بتصرف.

الخَاتمة

* الحمدُ لله وسلامُ على عباده الذين اصطفى، حمدًا إذا قابلَ النّعم وفَى، وصلاةً وسلامًا على نبيّنا المجتبى، ومَنِ احتذى حَذْوَه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفَّقنا الله لسلوكِ طريقهم فإنَّه إذا وفَّق كَفَى، وبعد:

* فقد طُفْنَا في رحلة مونقةٍ جامعةٍ لبعضِ محاسن آباء الصَّحابة، نادَمْنا أطلالَ معارفهم، وآثارهم، فقد كانوا أعيانَ السَّادات، وسادات الأعيان، وكانوا:

القَانتين المُخبتين لربِّهم ... النَّاطقين بأصدق الأقوال

في الليلِ رهبانٌ وعند جهادهم ... لعدوّهم من أشجع الأبطال

* وهم تلقَّوا عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا واسطة، ففهموا عن مقاصده، وعاينوا من أفعاله، وسمعُوا منه شفاهًا ما لم يحصل لغيرهم، فهم خيرُ أمة أُخرجت للنَّاس، وخير أهل الأرض.

* إنَّ الإطلالةَ على سيرِ هؤلاءِ الآباء؛ تمدُّ المحبَّ بتجاربَ جليلةٍ، يتعلَّمُ منها مرضاة اللهِ ورسولِهِ، وما يصلحُ أحوالَه من زاده لمعاده:

ومَن وعَى أخبارَ مَنْ قبله ... أضافَ أعمارًا إلى عمره

* وقد جمعَ المتقدمون وبعضُ المعاصرين أخبارَ أولئك الأخيار، وأجادوا، غير أنَّهم لم يخصُّوا آباءَ الصَّحابة -أو أمَّهاتهم- بمصنَّف خاص، فرأيتُ أنْ أبحثَ في هذا المضمار المبارك، وأصوغَه في هذا البحثِ الذي يضمُّ العِلْمَ والتَّاريخَ والقدوةَ والأدبَ والموعظةَ...

* **ومن خلال البحث توصَّلْتُ إلى نتائجَ منها:**

الأولى- تبيَّنَ لنا أنَّ بعضَ الآباءِ مشهورون أكثر من أبنائهم، كما أنَّ بعضَ الأبناء أشهرُ من آبائهم، وكلّهم صحابة.

الثَّانية- ظهرَ لنا أنَّ بعضَ الأبناء أفضلُ من آبائهم، وأبنائهم وأحفادهم، ومن الصَّحابة جميعهم، من مثل سيدنا أبي بكر الصِّديق، إذ إنَّه أفضلُ من أبيه وأمّه وأبنائه، ومن سائر الصَّحابة.

الثَّالثة- ظهرَ أيضًا أنَّ بعضَ الآباء والأبناء متقاربون في الفَضْل والشُّهرة، من مثل: عمرو بن العاص وابنه عبد الله.

الرابعة- أسهمَ الآباءُ وأبناؤهم في صنعِ مجدِ الإسلام وتاريخه، ولهم آثارٌ واضحةٌ في الفُتوحات، ونَشْر العلْم، وروايةِ الحديث، ونقْلِ الأحكام وأحداث السِّيرةِ النَّبويةِ، وغير ذلك من مكارم، ومحاسن المعالم.

الخامسة- ضرورةُ ردِّ المُفتريات الموجَّهة للصحابة؛ لأنَّها تصدرُ عن أحقاد وعصبيات تائهة في أودية الرَّدى، وعن مبشّرين من مستشرقين ومستغربين ومفتونين، وحاول هؤلاء أجمعون أن يغضُّوا من شأن رجال خير القرون، ولله درُّ مَنْ يقول:

إذا رضيتْ عني كرامُ عشيرتي فلا زالَ غضبانًا عليَّ لئامها

السادسةُ- اطَّلعنا على معلوماتٍ جديدة، وشخصيَّات ذات أثرٍ واضح في السِّيرة النَّبوية، ولكنَّها لم تُعْرضْ من قبلُ بهذا الوضوح من مثل: سيرة أبي سفيان، وآل البيت في الباب الثاني، والحارث بن هشام، وعُويم بن ساعدة، والحارث بن أبي ضرار، وغيرهم.

السابعة- تبيَّن لنا أنَّ أبناء هؤلاء الآباء من الصَّحابة، ومعظمهم من أهل العلمِ، ومن سادة السَّادات، من مشاهير الفاتحين، كما أنَّ أحفادهم سادوا وأفادوا ونشروا العلمَ في البلاد وبين العباد.

الثامنة- تأكَّدَ لدينا أنَّ استخراجَ المعلومات عن هؤلاء الآباء تطَّلب منَّا أنْ نغوصَ في أعماق المصادر، وأن ننتقي الجواهرَ واللآلئ والدُّرر، ومن ثم ننظمها في إطار من الجمالِ والجلالِ كي تتحلَّى بها المَجالِسُ، ويأنسُ بها المُجالِسُ، ويطمئنُ إلى صحتها ودقتها قدر الإمكان.

التاسعة- علمنا علمَ اليقين، أنَّ ربَّ العالمين، أثنى على هؤلاء الآباء الميامين، وذكر فضلهم في الذِّكر المبين، وكذلك مدحهم النبيُّ الأمين، فكلُّهم عدول، وكلّهم من أهل الجنَّة، فلا يُلْتَفَتُ إلى ما يثيرهُ المغرضون الأفّاكون؛ ومتى يحتاجُ النَّهار إلى دليل؟:

وهبني قلتُ هذا الصُّبح ليلٌ أيعمى العالمون عن الضِّياء

العاشرة- عرفنا أنَّ دراسة السِّيرة النَّبوية تحتاجُ إلى زاد علميٍّ، ودراية صحيحة، وبصيرة نقَّادة، وبُعد عن الهوى، فالعلمُ لا يُبنى ولا يُنشرُ على مزاجِ فلان وفلان، وإنَّما هناك ميزانٌ واضحٌ نعرفُ من خلاله الحقائق ودقائق التَّاريخ. والله تعالى أجلُّ وأعلمُ...

* اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا، واحشرنا مع هؤلاء الآباء تحت رايةِ سيد الأنبياء، واغفر لنا وارحمنا.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وكتب

محب الصحابة وخادمهم

أحمد خليل جمعة

الحرستاني الدمشقي

فهرس المصادر والمراجع[1]

١- القرآن الكريم: أحكامه، علومه، تفاسيره.

٢- الحديث النبوي: الصحيحان، السنن الأربعة، مع شروحها، المسانيد، المستدركات، المعاجم، مع علومها.

٣- معاجم اللغة العربية: القديمة والمعاصرة.

٤- الموسوعات الفقهية: نضرة النعيم، الموسوعة الفقهية الكويتية.

٥- الآداب الشرعية: لابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦- إتحاف الورى بأخبار أم القرى: لعمر بن فهد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧- الأخبار الموفقيات: للزبير بن بكار، تحقيق: د. سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ أو ذكر رقم الطبعة.

٨- أسباب نزول القرآن: للواحدي براوية الأرغياني، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار: لابن قدامة المقدسي، حققه: علي نويهض، دار الفكر، بيروت، طبعة مصورة.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر القرطبي، صححه: عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

---

(١) تجاوزت المصادر والمراجع التي استقينا منها البحث المئات، ولا يتسع المقام لذكرها، وسنذكر ههنا بعضها، وهي منثورة في الحواشي، ويمكن الرجوع إليها بسهولة، والله الموفق للصواب.

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير الجزري، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة: للخطيب البغدادي، أخرجه: د. عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٣- الاشتقاق: لأبي بكر بن دريد، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٤- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة عن طبعة كلكتا، سنة ١٨٥٣م.
١٥- إعراب القرآن الكريم وبيانه: لمحيي الدين الدرويش، دار اليمامة، ودار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٦- الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٧- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام: لعبد الله الغازي المكي، تحقيق: د. عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٨- ألفية السيرة النبوية: للحافظ العراقي، تحقيق: محمد علوي المالكي، دار المنهاج، السعودية.
١٩- إمتاع الأسماع بما للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: للمقريزي، تحقيق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٠- إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شرح القاضي حسن المشاط، دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م.
٢١- أنباء نجباء الأبناء: لابن ظفر المكي الصقلي، طبعة مصورة.
٢٢- الأنساب: لعبد الكريم السمعاني، حققه: عبد الرحمن المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٣- أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: عدد من المحققين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. ودار المعارف، مصر.
٢٤- البداية والنهاية: لابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٥- البرصان والعرجان والعميان والحولان: لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بغداد، ١٩٨٢م، وطبعة دار الجيل.
٢٦- البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الأوقاف، مصر، ط٣، ١٩٩٦م.
٢٨- بغية الطلب في تاريخ حلب: لابن العديم، حققه: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
٢٩- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: لمحمود شكري الألوسي، شرحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لشمس الدين الذهبي، تحقيق: د. عمر تدمري، دار الكتاب العرب، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
٣١- تاريخ بغداد؛ أو: تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي، حققه: د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣٢- تاريخ الخط العربي وآدابه: لمحمد طاهر الكردي المكي، المطبعة التجارية الكبرى بالسكاكيني، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٣٣- تاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم بن عساكر، تحقيق: عمر غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: لمحمد طاهر الكردي، دار خضر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥- التبصرة: لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٦- التبيين في أنساب القرشيين: لابن قدامة المقدسي، حققه: محمد نايف الديلمي، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٧- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام: لمحمد أحمد الصباغ، تحقيق: د. عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٨- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحِرَفِ والصنائع والعمالات الشرعية: لعلي بن محمد الخزاعي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٩- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة: لأبي المحاسن الحسيني، لا يوجد اسم دار ولا تاريخ الطباعة.

٤٠- التذكرة الحمدونية: لابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤١- التراتيب الإدارية: لمحمد الكتاني، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط٢، دون تاريخ.

٤٢- تغريدة السيرة النبوية: لمحمد عايش عبيد، مكتبة التراث، القاهرة، دون تاريخ.

٤٣- تلبيس إبليس: لابن الجوزي، تحقيق: د. أحمد المزيد، دار الوطن للنشر، الرياض، دون تاريخ.

٤٤- تلقيح فهوم الأثر: لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة الآداب، مصر، دون تاريخ.

٤٥- تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة مصورة دون تاريخ.

٤٦- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٢٥هـ . وطبعة بيروت.

٤٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، حققه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

٤٨- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: للثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م. وطبعة دار البشائر.

٤٩- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٥٠- جمهرة نسب قريش: للزبير بن بكار، حققه: محمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٥١- حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

٥٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٣- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري: إعداد: د. يحيى اليحيى، دار الهجرة، دون تاريخ.

٥٤- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. حسن العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

٥٥- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لعمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق: د. عبد الملك دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٦- الدرر في اختصار المغازي والسير: لابن عبد البر النمري، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥٧- دفاع عن حديث فضائل أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: د. سعد المرصفي، مكتبة المنار، الكويت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٨- دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصبهاني، حققه: د. محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٩- دلائل النبوة: للبيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٦٠- الدولة الأموية المفترى عليها؛ دراسة الشبهات ورد المفتريات: د. حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب، مصر، دون تاريخ.

٦١- ديوان حسان بن ثابت: حققه، د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م. وطبعة مصر.

٦٢- ديوان مجد الإسلام: لأحمد محرم، صححه: محمد إبراهيم الجيوشي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣١٣هـ - ١٩٦٣م.

٦٣- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: للمحب الطبري، حققه: أكرم البوشي، ط١، لا يوجد تاريخ ولا اسم دار.

٦٤- الرحيق المختوم: لصفي الدين المباركفوري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦٥- الرسالة المحمدية: لعبد العزيز الثعالبي، تحقيق: د. صالح الخرفي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٦٦- الروض المعطار في خبر الأقطار: لمحمد عبد المنعم الحميري، حققه: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٦٧- الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦٨- زاد المعاد: لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٥، ١٩٩١م.

٦٩- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: لمحمد يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عدد من العلماء، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٠- السلطان: لابن قتيبة، تحقيق: أيمن البحيري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٧١- سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، تحقيق: مجموعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٢- السيرة الحلبية: لابن برهان الدين الحلبي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٦٤م.

٧٣- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٤- السيرة النبوية في فتح الباري: جمع وتوثيق: د. محمد الأمين الشنقيطي، لا يوجد تاريخ طباعة.

٧٥- السيرة النبوية: لابن هشام، حققها: مصطفى السقا، ورفيقاه، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.

٧٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٧- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: صححه: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

٧٨- الشريعة: للآجري، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٩- صب العذاب على من سب الأصحاب: لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

٨٠- صحيح السيرة النبوية: لإبراهيم العلي، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨١- صحيح وضعيف تاريخ الطبري: للطبري، حققه: محمد البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨٢- صفة الصفوة: لابن الجوزي، حققه: محمود فاخوري ورفيقه، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٣- الطبقات الكبير: لمحمد بن سعد الزهري، تحقيق: د. محمد علي العمير، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٤- العرب قبل الإسلام: د. محمود عرفة محمود، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٨٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لتقي الدين الفاسي المكي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٨٦- عمود النسب الشريف: لأحمد البدوي بن محمد الشنقيطي، أعدّه: محمد محفوظ بن أحمد، المكتب العربي للخدمات الثقافية، مورتانيا، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٨٧- عمرو بن العاص؛ القائد والسياسي: د. محمد عبد الرحيم محمد، عمان، دار زهران للنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٨- عيون الأثر في فنون المغازي والسير: لابن سيد الناس، تحقيق: د. محمد الخطراوي ورفيقه، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

٨٩- غاية الأماني في الرد على النبهاني: لمحمود شكري الألوسي، اعتنى به: أبو عبد الله آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

٩٠- غربال الزمان في وفيات الأعيان: ليحيى العامري اليماني، صححه: محمد ناجي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩١- غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة: لأبي إسحاق الوطواط، ضبطه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٨م.

٩٢- الغوامض والمبهمات: لابن بشكوال، تحقيق: محمود معرواي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٣- قريش قبل الإسلام؛ دورها السياسي والاقتصادي والديني، إعداد: عواطف أديب سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، دون تاريخ.

٩٤- الكامل في التاريخ: لعز الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٥- مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية: د. عبد الله الخلف، مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

٩٦- مجمع الأمثال: لأبي الفضل الميداني، حققه: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٩٧- المحبر: لابن حبيب: صححه: د. ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجدية، بيروت، دون تاريخ.

٩٨- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: لابن منظور، تحقيق: عدد من أهل العلم، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: لأبي محمد اليافعي اليمني المكي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٠- المستفاد من مبهمات المتن والإسناد: لأبي زرعة العراقي، تحقيق: د. عبد الرحمن البر، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠١- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق: لأبي زكريا بن النحاس، تحقيق: إدريس محمد علي ورفيقه، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٢- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي: لابن أبي حديدة الأنصاري، صححه: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠٣- المعارف: لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.

١٠٤- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: لمحمد شراب، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٥- معاوية بن أبي سفيان: لمحمد منير الغضبان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٠٦- معجم البلدان: لشهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠٧- معجم الصحابة: لأبي القاسم البغوي، تحقيق: محمد الأمين الجنكي، مكتبة دار البيان، الكويت، دون تاريخ.

١٠٨- معجم الصحابة: لأبي الحسين بن قانع، ضبطه: صلاح المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية.

١٠٩- معرفة الصحابة: لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١١٠- المغازي: لموسى بن عقبة، جمع ودراسة: محمد باقشيش أبو مالك، المغرب، ١٩٩٤م.

١١١- المغازي: للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١١٢- المغازي النبوية: لابن شهاب الزهري، حققه: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

١١٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج ابن الجوزي، دراسة: محمد عبد القادر عطا ورفيقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٥- المنمق في أخبار قريش: لابن حبيب البغدادي، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١١٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للحافظ الذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردي، قدم له: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١١٨- نسب قريش: لمصعب الزبيري، تحقيق: ليفي بروفسنال، دار المعارف، مصر، ط٣، دون تاريخ.

١١٩- نكت الهميان في نكت العميان: للصفدي، وقف على طبعه: أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

١٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين النويري، تحقيق: عدد من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير الجزري، تحقيق: محمود الطناحي ورفيقه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

١٢٢- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ورفيقه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٢٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

وهناك عشراتٌ بل مئات المصادرِ والمراجعِ والأبحاثِ العلمية منثورةٌ في حواشي الكتاب، نسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يتقبَّلَ منَّا، وأنْ يغفرَ لنا ويرحمنا.



المحتويات

تم بحمد الله





تأليف

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

عفا الله عنه





الشهادتان ﷺ

أول واجب على كل إنسان

ومعه

الإلحاد غير مستطاع

و

اليقين والشك

عدوان لا يلتقيان، ونقيضان لا يجتمعان

و

علم الكلام في الميزان

إعداد

محمد أحمد إسماعيل المقدم

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي



الكلمة المقدسة

تأليف

محمد إسماعيل المقدم

